مظاهر الاهتمام بالحج والحرمين الشريفين فى العصر الأموى

الدكتور
حجازى حسن على طراوة
كلية الآداب ـ جامعة حلوان

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة
تليفون ٣٩٢٩١٩٢

اسم الكتاب	مظاهر الإهتمام بالحج والحرمين الشريفين في العصر الأموي
اسم المؤلف	الدكتور / حجازى حسن على طراوة
رقم الطبعة	الأولى
رقم الإيداع	١٦٤٧٧
الترقيم الدولي	I. S. B. N 977 - 19 - 7621 - 4
سنة النشر	٢٠٠٣م ـ ١٤٢٣هـ
الناشر	مكتبة زهراء الشرق
عنوان الناشر	١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة
بلد الناشر	القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
التليفون	٣٩٢٩١٩٢ ـ ٠١٢/٣١٧٧٥١٠
فاكس	٣٩٢٩١٩٢ ـ ٣٩٣٣٩٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً ، وملاذاً للإسلام . وحضّنا على زيارته تطهيراً لنفوسنا من الأوزار ، والصلاة والسلام على هادي الأمم من غوايتها ، ومنقذ البشرية من ضلالها سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، الذي طهّر البيت الحرام من الأوثان والأصنام ، ونشر على ربوعه راية السلام ، وعلى آله وصحبه الأخيار الكرام .

وبعد ..

فيقول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

فالحج ركن من أركان الإسلام الخمسة التي لا يتم الإسلام بدونها ، فقد ورد في الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » (٢) .

ومنذ أن فُرض الحج على المسلمين في المدينة المنورة بعد الهجرة ، وهم يقبلون كل عام أفواجاً من مشارق الأرض ومغاربها إلى مكة المكرمة لحج بيت الله الحرام .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٩٧ .

(٢) صحيح البخاري جـ ١ ص ١٢ ، صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٥ ، طبع دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة .

وقد أرسى الرسول ﷺ أسس وقواعد تنظيم الحج ، وبيّن للمسلمين مناسكهم ، ووضح لهم سلوك وآداب الحج ، ومن بعده سار الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ على نفس المنهج .

وفي العصر الأموي زاد الاهتمام بالحج وما يتعلق به ، حيث كان للخلفاء الأمويين دور بارز في توفير سبل الأمن والراحة للحجيج ، وقدموا لهم كل عون ومساعدة ، وذلك بتأمين طرق الحج ، وتيسيرها ، وتوفير الخدمات بها ، وتأمينها بشتى الوسائل ، فضلاً عن تنظيم الإشراف على قافلة الحج التي كانت تخرج بانتظام ودون خلل في كل سنة من مدينة دمشق بقيادة أمير الحج ، بل إن بعض الخلفاء الأمويين ، كمعاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠هـ) ، وعبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) ، والوليد ابن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) ، وسليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ)، وهشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) ، كانوا جميعا يخرجون على رأس قافلة الحج ، وفي بعض الأحيان كانوا يعينون أميراً للحج، ويزودونه بما يحقق له وللقافلة الأمن والاستقرار من مال ورجال وعتاد ، ويوصونه بالرفق بالحجيج ، وأن يسير بهم في الطريق الآمن ، بعيداً عن قطاع الطرق والعربان ، وأن يعالج المرضى حرصا على سلامة زوار بيت الله الحرام .

ولم يكتف الخلفاء الأمويون بذلك ، بل إنهم أغدقوا الكثير من الأموال على أهل الحرمين الشريفين ، واهتموا بتوفير المياه والمسكن لهم ، وللوافدين عليهم من الحجاج والعمار ، بالإضافة إلى اهتمامهم بتعمير البيت الحرام والكعبة المشرفة والمسجد النبوي الشريف ، وكسوة الكعبة المشرفة .

ولما كان هذا الموضوع ـ حسب علمي ـ لم يتناوله أحد من الباحثين بالدراسة المتخصصة ، فقد آثرت أن أتناوله في هذا البحث بالدراسة والتحليل ، حتى يتبين لنا إلى أي مدى حافظ المسلمون في تلك الفترة على هذه الفريضة المحكمة ، وهي فريضة الحج ، ومعرفة مدى اهتمام خلفاء بني أمية وأمرائهم بالحرمين الشريفين وعمارتهما ، وكذلك حرصهم الشديد على إغداق الأموال والعطايا على أهل مكة والمدينة ، وتوفير المياه والطعام والمسكن لهم وللوافدين عليهم من الحجاج والعمار .

وقد قسمت هذا البحث إلى : مقدمة ، وفصول أربعة ، وخاتمة .

ففي **المقدمة** شرحت أهمية هذا الموضوع ، وسبب اختياري له ، والخطة التي سلكتها ، مع دراسة أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها .

أما الفصل الأول وعنوانه « إمارة الحج في العصر الأموي » ، فقد بدأته أولا بالحديث عن « نشأة إمارة الحج وتطورها في العصر الأموي » ، فتحدثت عن ابتداء إمارة الحج من مكة في السنة الثانية للهجرة ، وأول من عُيِّن أميراً للحج في الإسلام ، وحرص الخلفاء الراشدين على تولّي إمارة الحج بأنفسهم في بعض سنوات عهدهم ، مبينا كيف ارتبطت إمارة الحج في تلك الفترة بمقر حاضرة الدولة الإسلامية ، وهي المدينة المنورة ، وخاصة في فترة خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ، وتغيُّر هذا الوضع في عهد علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ .

ثم تحدثت بعد ذلك عن إمارة الحج في العصر الأموي ، وخروج أمير الحج من مدينة دمشق عاصمة الأمويين على رأس قافلة الحجيج ، وحرص الخلفاء الأمويين على الاهتمام بشئون الحج ورعايته ، ومن أدلة ذلك قيام عدد من هؤلاء الخلفاء بتولي إمارة الحج بأنفسهم في بعض سنوات خلافتهم ، وتعيينهم أمراء الحج نيابة عنهم في السنوات التي لم يتولوا فيها إمارة الحج بأنفسهم ، وقد ذكرت من وُلِّي هذه الإمارة في عهد كل خليفة من الخلفاء الأمويين ، مستنتجاً أنها كانت مقصورة في الغالب على كبار القواد ، أو أمير الحرمين الذي كان في بعض الأحيان يتولاها عدة سنوات متتالية ، وقد ظهر ذلك واضحاً في أواخر العصر الأموي .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن كيفية اختيار أمير الحج وشروطه ، وواجباته ، فوضحت أولا أهمية هذه الإمارة من الناحيتين : الدينية والسياسية . ثم قسمتها إلى قسمين ، أحدهما : الإمارة على تسيير الحجيج ، والثاني : الإمارة على إقامة الحجيج . وقد ذكرت شروط الأمير في كل منهما واختصاصاته أو واجباته . وختمت هذا الفصل بما توصلت إليه من نتيجة هامة ، وهي أن أمير الحج ينبغي أن يكون على علم تام بأمور الحج وجميع مناسكه ، لأنه مسئول عن تأدية الحجاج لمناسكهم على أكمل وجه وأيسر سبيل ، فإن كان يجهل هذه الأمور أو بعضها فعليه أن يصحب معه عددا من العلماء ليعلموه إيّاها ، وقد حدث ذلك خلال فترة هذا البحث وتحدثت عنه بالتفصيل .

وأما **الفصل الثاني** وعنوانه " **طرق الحج إلى مكة المكرمة ومظاهر الاهتمام بها** " ، فقد ذكرت فيه وصفاً للطرق الأربعة التي

كان يسلكها حجاج الأمصار الإسلامية إلى مكة والمدينة في هذا العصر ، معتمداً في ذلك على المصادر الجغرافية التي يقرب عهد مؤلفيها من أحداث فترة هذا البحث ، مبينا ما أقيم في هذه الطرق من مرافق ، وما تم بها من إصلاحات ، وما قدم بها من خدمات خلال العصر الأموي .

وبعدئذ خصصت الفصل الثالث لموضوع « **عمارة الحرمين الشريفين في العصر الأموي** » ، وقد بدأته بالحديث عن عمارة الكعبة المشرفة ، فذكرت عمارة عبد الله بن الزبير لها ، موضحا الظروف والأسباب التي مهدت لذلك ، ووصف الكعبة بعد أن أعاد بناءها ابن الزبير ، كما تحدثت عن عمارة الحجاج بن يوسف الثقفي للكعبة ، وحالها بعد هذه العمارة التي جاءت مخالفة لما بناه ابن الزبير ، ومحاولة الخليفة عبد الملك بن مروان رد بناء الكعبة على الوضع الذي كانت عليه زمن عبد الله بن الزبير ، موضحا سبب ذلك ونتائجه ، وتلوت ذلك بالحديث عن كسوة الكعبة المشرفة ، فبينت بإيجاز كيف كانت تُكسى في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ، ثم تحدثت بالتفصيل عن كسوتها في العصر الأموي ، مبينا مدى اهتمام الخلفاء الأمويين بذلك ، وخاصة معاوية بن أبي سفيان ، الذي كان أول من خصّص لها كسوتين في العام ، وأول من أخدمها العبيد . وتحدثت كذلك عن موعد كسوة الكعبة ، وتخصص مصر في صناعة هذه الكسوة بعد فتحها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبينت كيف كانت الكعبة تُجرَّد من كسوتها في هذا العصر ، وكيف كانت تُطيّب بصورة منتظمة ، وذكرت الأسباب التي جعلت الخليفة معاوية بن أبي سفيان يجري للكعبة وظيفة الطيب عند كل صلاة ، ثم اقتداء الخلفاء الأمويين به في كسوة الكعبة المشرفة وتطييبها حتى نهاية العصر الأموي .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن عمارة المسجد الحرام ، فتحدثت في البداية بإيجاز عن عمارته في عهد عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ﷺ ، ثم فصلت الحديث بعد ذلك عن عمارته في العصر الأموي على يد معاوية بن أبي سفيان ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الملك بن مروان ، ثم الوليد بن عبد الملك ، مبينا الجهود التي بذلها كل منهم في هذا التعمير وأهم مظاهره .

وختمت هذا الفصل بالحديث عن عمارة المسجد النبوي الشريف ، فتحدثت بإيجاز عن بنائه في عهد النبي ﷺ ، ثم عن توسعته في عهد عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ﷺ ، ثم فصلت الحديث بعد ذلك عن عمارته في العصر الأموي ، وخاصة في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) ، والجهود التي بذلت في هذا التعمير ، والجوانب التي شملها .

أما **الفصل الرابع والأخير** فقد جعلته بعنوان « **أعمال البر على سكان الحرمين الشريفين والوافدين عليهم** » ، وقد بدأته أولا بالحديث عن أعطيات الخلفاء والأمراء لأهل الحرمين الشريفين ، وخاصة الهاشميين من أهل المدينة ، عملا على كسب ودهم وتأييدهم لهؤلاء الخلفاء ، وقد ذكرت أمثلة متعددة على ذلك في عهد هؤلاء الخلفاء وأمرائهم ، مبيّناً أثر هذه العطايا على نفوس الهاشميين ، وغيرهم من أهل الحرمين الشريفين .

ثم انتقلت إلى الحديث بعد ذلك عن توفير المياه لأهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم ، فتحدثت عن مشاريع المياه التي أقيمت في مكة ، والآبار والعيون التي حفرت وأجريت بها خلال العصر الأموي ،

كما تحدثت عن اهتمام الخلفاء الأمويين وأهالي المدينة كذلك بتوفير المياه في المدينة المنورة ، عن طريق حفر الآبار والعيون والقنوات وبناء السدود والذي كان من نتائجه توفير المياه في المدينة المنورة ، وعدم تعرضها لأي أزمة في المياه خلال العصر الأموي ، كذلك تحدثت عن توفير المياه للحجيج في الطريق من مكة إلى المدينة ، ومدى حرص الأمويين على ذلك ، وكذلك مدى حرصهم على توفير المياه والخدمات في أماكن الزيارة مثل مسجد قباء ، ومسجد ظفر ، ومسجد القبلتين .

كما تحدثت في هذا الفصل عن اهتمام بني أمية بتوفير الطعام لأهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم ، والجهود التي بُذلت في هذا المجال ، وكذلك اهتمامهم بتوفير المسكن للحجاج ، والعمار في مكة والمدينة ، وقيامهم بإنشاء الدور والأربطة حول المسجد النبوي الشريف ، وتسكينها للحجاج والعمار .

وختمت هذا الفصل بالحديث عن أهم الدور التي كانت موقفة لسكنى هؤلاء الحجاج والعمار خلال العصر الأموي .

وفي خلال هذه الفصول الأربعة ما مررت بمدينة ولا علم من الأعلام إلا وعرّفت بكل ذلك بقدر المستطاع .

أما الخاتمة فقد لخصت فيها أبرز نقاط البحث ، والنتائج التي تضمنها .

وبعد ذلك أتيت بثلاثة ملاحق للبحث ، ثم بقائمة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها ، وفي النهاية جئت بفهرست لموضوعات البحث .

وقد اعتمدت في إعداد هذا البحث على عدد من المصادر والمراجع ، من أهمها كتاب « تاريخ خليفة بن خياط » المتوفي سنة ٢٤٠هـ ، وهو يعتبر أقدم تاريخ حولي وصل إلينا ، حيث فُقدت كتب الحوليات التي ألّفت قبله ، وتظهر أهمية هذا الكتاب في دقة معلوماته ، وحسن انتقاء رواياته ، وانتماء مؤلفه إلى مدرسة المحدثين ، حيث يهتم بذكر الأسانيد ، مما جعله مصدراً تطمئن إليه نفوس الباحثين في تاريخ صدر الإسلام ، وقد استفدت منه كثيرا في هذا البحث ، خاصة في الفصل الأول عند الحديث عن أمراء الحج في العصر الأموي .

كذلك من أهم المصادر كتاب « تاريخ اليعقوبي » لمؤلفه أحمد بن اسحاق ـ أبي يعقوب ـ بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي ، المتوفي سنة ٢٩٢هـ . واليعقوبي مؤرخ شيعي ، عمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية ، وهو رحالة جغرافي ، أفاد من الدواوين الرسمية ، والملاحظة المباشرة في رحلاته في تأليف كتابه هذا ، الذي بدأ تأريخه ببدء الخليقة ، ثم أخبار الأنبياء ، وتواريخ الأمم قبل الإسلام ، وذلك في القسم الأول من كتابه ، أما القسم الثاني ـ وهو الذي اعتمدت عليه ـ فتناول السيرة النبوية ، وعصر الخلافة الراشدة ، والدولة الأموية والعباسية حتى سنة ٢٥٩هـ ، وهذا الكتاب يحتاج إلى دراسة نقدية تعيد الروايات إلى مصادرها الأولية ، وتنظر في أسانيدها ومتونها ، ومدى سلامتها من العلل ، وما وافق روايات الثقات من أهل الأخبار أو خالفها وقد استفدت منه كثيرا في هذا البحث ، خاصة في الفصل الأول .

ومن هذه المصادر كتاب « تاريخ الرسل والملوك » للطبري ، المتوفي سنة ٣١٠هـ ، وهذا الكتاب يُعَد في مقدمة الكتب التي تعني بتاريخ الأمم

والدول بشكل عام قبل الإسلام وبعده ، كما أنه أكثر المصادر التاريخية إفاضة في ذكر أخبار الخلفاء الراشدين والأمويين ، وخاصة في الجوانب السياسية والنشاط العسكري ، وهو يذكر الحادثة الواحدة بأكثر عدد من الروايات ، مع ذكر أسانيدها ، ولا يعلق عليها ، بل يحيل الأمر إلى الباحث المدقق ، ليصل إلى الحقيقة التاريخية من خلال هذه الروايات ، ومهما يكن من شيء فإن هذا الكتاب يعتبر من أوثق ما صُنِّف في سيرة النبي ﷺ ، والخلفاء الراشدين والأمويين ، ومن هنا كانت أهميته للباحث في تلك الفترة بصفة خاصة ، وفي التاريخ الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري بصفة عامة ، وقد استفدت منه في جميع فصول هذا البحث .

ومنها : كتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموي ، المتوفي سنة ٦٢٦هـ ، وقد وصف لنا ياقوت في هذا الكتاب المدن والأماكن التي تقع على طول طريق الحج ، كما أمدّنا بمعلومات عن القبائل التي تسكن على طول هذه الطرق ، وقد استفدت منه كثيراً في هذا المجال .

أما كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ، المتوفي سنة ٦٣٠هـ ، فقد رتّبه المؤلف حسب السنين ، ووضح في بعض هذه السنين الأحداث التي تعرض لها الحجاج في طريقهم إلى مكة ، وقد أمدنا بمعلومات عن الإصلاحات التي قام بها الخلفاء في طرق الحج ، وعن أمراء الحج في فترة هذا البحث .

وأما كتاب « البداية والنهاية في التاريخ » لابن كثير ، المتوفي سنة ٧٧٤هـ ، فيعتبر موسوعة تاريخية شاملة ، أرخ فيها لبدء الخليقة ، وتاريخ الأنبياء ، وتاريخ العرب قبل الإسلام ، كما أرخ للسيرة النبوية بتفصيل

كبير ، معتمداً في سيرة ابن هشام على البكائي ، وعدد آخر من رواة السيرة عن ابن اسحاق ، وأما في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين فكان جل اعتماده على تاريخ الطبري ، وأضاف إليه في مادة التراجم من تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، وخاصة في الوفيات .

وترجع الأهمية الحقيقية لهذا المصدر التاريخي في تاريخ صدر الإسلام إلى سعة نطاق وظهور بدايات النقد التاريخي فيه أكثر من حفظه لنصوص تاريخية أولية ، وكان هذا الكتاب من أهم المصادر التي اعتمدت عليها بقدر كبير في هذا البحث .

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها أيضا كتاب « درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة » للجزيري ، المتوفي في القرن العاشر الهجري ، وهو يعتبر من أهم المصادر التي اهتمت بذكر طرق الحج ، مع ذكر الحوادث التي وقعت في هذه الطرق ، كما أنه ذكر أمراء الحج منذ فتح مكة وحتى سنة ٩٥٧هـ ، وأوضح شروط إمارة الحج وواجباتها .

ومن هذه المصادر كتاب « وفاء الوفا بأخبار مدينة المصطفى » للسمهودي ، المتوفي سنة ٩١١هـ ، وقد أورد السمهودي في هذا الكتاب أهم الخدمات التي قدمت للحجاج في المدينة المنورة خلال العصر الأموي ، كما تحدث عن هذه المرافق في المدينة المنورة وعن أماكنها ، وقد استفدت منه كثيرا في هذا البحث ، وخاصة في الفصلين : الثالث والرابع .

أما كتاب « حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج » للرشيدي ، المتوفي في القرن الثاني عشر للهجرة ، فقد أمدني بمعلومات

كثيرة عن إمارة الحج ، وأمراء الحج ، ودورهم في توفير الأمن للحجاج على طول طرق الحج .

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها أيضا وأفادتني كثيراً في معظم فصول هذا البحث : كتاب « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » لأبي الوليد محمد الأزرقي ، المتوفي سنة ٢٥٠هـ ، وكتاب « المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة » لإبراهيم بن إسحاق الحربي ، المتوفي سنة ٢٨٥هـ ، وكتاب « الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك » للمقريزي ، المتوفي سنة ٨٤٥هـ ، وكتاب « تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف » لابن الضياء ، المتوفي سنة ٨٥٤هـ ، وكتاب « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » لابن فهد ، المتوفي سنة ٨٨٥هـ ، وكتاب « إعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام » لمحب الدين القطبي ، المتوفي سنة ٩٩٠هـ ، وكتاب « تاريخ مكة » للفاكهي ، وغيرها .

ومن أهم كتب الحديث التي اعتمدت عليها : صحيحا البخاري ومسلم ، ومسند الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) ، وسنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ، و« السنن الكبرى » للبيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، و« المستدرك على الصحيحين في الحديث » للحاكم (ت ٤٠٥هـ) .

كذلك من أهم كتب الطبقات والتراجم : كتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، المتوفي سنة ٢٣٠هـ ، و« الاستيعاب في معرفة الأصحاب » لابن عبد البر ، المتوفي سنة ٤٦٣هـ ، و« أسد الغابة في معرفة الصحابة » لابن الأثير ، المتوفي سنة ٦٣٠هـ ، و« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » لابن خلكان ، المتوفي سنة ٦٨١هـ ، و« تاريخ

الإسلام » و« سير أعلام النبلاء » للذهبي ، المتوفي سنة ٧٤٨هـ ، و« تهذيب التهذيب » لابن حجر ، المتوفي سنة ٨٥٢هـ ، و« شذرات الذهب في أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلي ، المتوفي سنة ١٠٨٩هـ .

وأما كتب اللغة والأدب فكان منها : « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، المتوفي سنة ٣٢٨هـ ، و« لسان العرب » لابن منظور ، المتوفي سنة ٧١١هـ ، و« القاموس المحيط » للفيروزآبادي ، المتوفي سنة ٨١٧هـ .

أما المراجع الحديثة التي استفدت كثيراً منها في هذه الدراسة ، فمن أهمها كتاب « مرآة الحرمين » لإبراهيم رفعت باشا ، وكتاب « الملامح الجغرافية لدروب الحجيج » لمؤلفه : سيد عبد المجيد ، وكتاب « التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم » لمحمد بن طاهر عبد القادر ، وكتابا « تاريخ عمارة المسجد الحرام » و« تاريخ الكعبة المعظمة » لمؤلفهما حسين عبد الله باسلامة ، وكتاب « تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف » للدكتورة فوزية حسين مطر ، وكتاب « كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ » للدكتور سيد الدقن ..إلى غير ذلك من المصادر والمراجع التي ذكرتها في القائمة الخاصة بذلك في نهاية هذا البحث .

وغاية ما أرجوه أن أكون قد وفقت في هذا البحث ، الذي قد بذلت فيه من الجهد ما وسعته طاقتي ، وأن أكون قد مهدت السبيل إلى دراسات أخرى في هذا المجال ، والله ولي التوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

د. حجازي حسن علي طراوه

الفصل الأول

إمارة الحج في العصر الأموي

أولا : نشأة إمارة الحج ، وتطورها في العصر الأموي .

ثانيا : كيفية اختيار أمير الحج ، وشروطه ، وواجباته .

الفصل الأول

إمارة الحج في العصر الأموي

أولا : نشأة إمارة الحج ، وتطورها في العصر الأموي

منذ أن أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج ، وهم يقبلون على مكة كل عام أفواجا من مشارق الأرض ومغاربها لتعظيم الكعبة ، وزيارة البيت الحرام .

وبعد أن فُرض الحج على المسلمين في المدينة المنورة بعد الهجرة ، أخذوا يفدون إلى مكة جماعات لحج بيت الله الحرام ، وكان لزاماً على هذه الجماعات أن تنطوي تحت قيادة أمير يحل مشاكلهم ، ويراعي مصالحهم ، فنشأ ما عرف في التاريخ الإسلامي بـ « إمارة الحج » .

وقد كان ابتداء إمارة الحج من مكة في السنة الثامنة للهجرة حين فتحها رسول الله ﷺ ، واستخلف عليها عتّاب بن أسيد [1] ، وجعله

---

(١) هو أبو عبد الرحمن ـ وقيل أبو محمد ـ عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس القرشي الأموي ، وأمه أروى بنت أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، أسلم يوم فتح مكة ، واستعمله النبي ﷺ على مكة عام الفتح سنة ٨هـ حين خروجه إلى غزوة حنين ، وكان لعتّاب من العمر عشرون سنة فحج بالناس عامئذ ، ولم يزل عتّاب أميرا على مكة حتى قُبض رسول الله ﷺ ، وأقره أبو بكر عليها ، فلم يزل إلى أن مات ، وكانت وفاته بمكة في نفس اليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٣ هـ ، وله حديث واحد رواه عن النبي ﷺ ، وقد ذكره أهل السنة الأربعة .

انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٤٤٦ ، دار صادر بيروت ، وابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٨ ص ٣ - ٤ ، تحقيق د. طه ==

على الصلاة والحج ، وجعل معه معاذ بن جبل [١] ، وقد حجّ عتاب بالمسلمين في هذا العام [٢] .

== محمد الزيني ، طبع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، الطبعة الأولى ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٧ ص ٣٤ ، طبع النور الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع (د.ت.) .

(١) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابدين بن عدي بن كعب بن عمرو الأنصاري الخزرجي ، وأمه هند بنت سهل بن جهينة ، شهد بيعة العقبة والمشاهد كلها ، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة آخى بين معاذ هذا وبين ابن مسعود ، وقيل : بينه وبين جعفر بن أبي طالب ، وكان أحد الأربعة من الخزرج الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ ، وقال عنه الرسول : « إنه أعلم الصحابة بالحلال والحرام » ، وقد بعثه إلى اليمن ليكون قاضيا وحاكما فيهم ، وكذلك أقره أبو بكر الصديق على ذلك ليعلم الناس الخير باليمن ، وكان معاذ من أجمل الرجال ، روى عن النبي ﷺ أحاديث ، وروى عنه ابن عباس ، وابن عدي ، وابن أبي أوفى الأشعري ، وغيرهم ، وقد هاجر إلى الشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وظل بها حتى توفي سنة ١٧هـ ، وقيل ١٨هـ في طاعون عمواس وهو ابن ثمان وثلاثين سنة .

انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، مجلد ٣ ص ٥٨٣ - ٥٩٠ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٧ ص ٩٢ ، وابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة جـ ٨ ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، تحقيق د. محمد طه الزيني ، الطبعة الأولى ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٣ ص ٩٥ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٢ ، دار المعارف بمصر ، وابن عبد البر : الاستيعاب جـ ٨ ص ٣ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٧ ص ٣٤ ، وأحمد الرشيدي : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج ص ٩٠ ، تحقيق د. ليلى ==

وكان أبو بكر الصديق ﷺ هو أول من نُصّب أميراً للحج ، فسار معه ركب الحجيج خارج مكة في السنة التاسعة للهجرة ، حيث فوضه الرسول ﷺ للحج بالناس ، وسارت معه قافلة الحجيج من العاصمة الإسلامية الأولى ـ آنذاك ـ وهي المدينة المنورة إلى مكة المكرمة (١) .

ويذكر لنا الرواة أنه عقب خروج أبي بكر الصديق ﷺ من المدينة ليقيم للناس الحج ، نزلت سورة « براءة » على رسول الله ﷺ ، فقيل له : يا رسول الله ، لو بعثت بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدّي عني إلا رجل من أهل بيتي ، ثم دعا علي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا

== عبد اللطيف أحمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٠م .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٤ ص ١٣٩ ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، وابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ص ٩٣ ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، منشورات دار طيبة ، الرياض ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، والبخاري : صحيح البخاري جـ ٤ ص ١٧١٠ ، الطبعة الأولى ، دار العلم ، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٣ ص ١٢٢ - ١٢٣ ، والمسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ ٤ ص ٣٩٦ ، نشر دار الأندلس ـ بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٥ ص ٣٢ - ٣٣ ،وجواد علي : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٤ ص ١٨٦ - ٢٠٦ ، بيروت ١٩٦٩م .

ولعل السبب في عدم حج النبي ﷺ في تلك السنة ، وإنابة أبي بكر ﷺ في إمارة الحج هو أن المشركين لا زالوا يحجون إلى مكة المكرمة على الطريقة الجاهلية ، فخشي النبي ﷺ أن يكون حضوره فريضة الحج مع المشركين إقراراً منه بحجهم على الأسلوب الذي كانوا يمارسونه بمكة المكرمة .

اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته ، فخرج علي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ على ناقة رسول الله ﷺ القصواء حتى أدرك أبا بكر الصديق ، فلما رآه أبو بكر قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا ، وأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى مدته ، ولقد أعلنت بقية قبيلة قريش التي لم تكن قد دخلت في الإسلام إسلامها . وبعد الفراغ من هذه الحجة ذهبت بعض القبائل إلى المدينة المنورة لتعلن إسلامها للرسول ﷺ ، ويسمى هذا العام بـ « عام الوفود » (١) .

وفي السنة العاشرة للهجرة حج النبي ﷺ بنفسه حجة الوداع(٢) التي عرف الناس فيها أمور دينهم ، وشرح لهم مناسكهم ، وذلك في

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٤ ص ١٤١ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٣ ص ١٢٣ ، وابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٨ ص ٣ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٥ ص ٣٢ - ٣٤ .

(٢) سميت بـ « حجة الوداع » لأن النبي ﷺ ودَّع الناس فيها وبعدها . وتسمى أيضا « حجة الإسلام » ، لأنه لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها ، كما تسمى « حجة البلاغ » ؛ لأنه ﷺ بلّغ الناس الشرع في الحج قولا وفعلا ، وكذلك تسمى « حجة التمام والكمال » لنزول قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ . ==

خطبته التي أوفى فيها تعاليم الإسلام ، وحدّد أيام الحج في شهر ذي الحجة من كل عام . وفي هذا الصدد قال الرسول ﷺ : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » ، ويقصد بذلك أن الحج قد عاد إلى ما كان عليه زمن إبراهيم الخليل عليه السلام (١) .

وقد استمرت إمارة الحج بعد السنة العاشرة للهجرة ـ وهي السنة التي حج فيها النبي ﷺ حجة الوداع ـ ، وارتبطت هذه الإمارة بمقر حاضرة الدولة الإسلامية .

فكان أمير الحج في عهد أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ يخرج من المدينة معيّنا من قبل الخليفة إذا لم يقم الخليفة نفسه بها (٢) .

وقد اهتم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإمارة الحج ، وقيادة الحجيج بنفسه إلى مكة المكرمة ، فقد حج بالناس في جميع سنوات خلافته ، إلا السنة الأولى منها ، وهي السنة الثالثة عشر للهجرة (٣) ،

== انظر : الزرقاني : شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني جـ ٣ ص ١١٨ - ١٢١ ، دار الطباعة ، القاهرة ١٢٩١هـ .

(١) الحلبي : إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المسمى بـ « السيرة الحلبية » جـ ٢ ص ١٤٥ ، القاهرة ١٣٤٩هـ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ص ٨١ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، الروضة ـ القاهرة ١٣٨٤هـ .

(٢) الجزيري : نفس المصدر الأخير ص ١٨٩ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب جـ ٤ ص ٣٩٦ ، واليعقوبي : تاريخ اليعقوبي مجلد٢ ص ١٥٩ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٣ ص ٤٧٩ . ==

حيث حج بالناس فيها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (١) .

وفي عهده ازداد عدد المسلمين الوافدين إلى مكة كل عام لأداء فريضة الحج ، بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية نتيجةً للفتوح في بلاد الشام والعراق ومصر ، وأصبحت القوافل الإسلامية الخارجة من هذه الأمصار - قاصدة مكة للحج - تنضم تحت لواء أمير الحج من المدينة المنورة .

كذلك حج الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالناس في كل سنة من

== أمّا ابن الأثير فيذكر أن عمر رضي الله عنه حج بالناس سنيه كلها بما فيها سنة ١٣هـ : الكامل في التاريخ ، مجلد ٢ ص ٤٤٩ ، دار صادر - بيروت .

(١) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو ، فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم « عبد الرحمن » ، ويكنى أبا محمد ، وأمه الشفاء بنت عوف ، أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان سخيا جوادا كريما ، تصدق على عهد النبي ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف درهم ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة ، وكان أبيض مشربا بحمرة ، حسن الوجه ، دقيق البشرة ، أعين ، أهدب الأشفار ، ضخم الكفين ، غليظ الأصابع . توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ عن خمس وسبعين سنة ، ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وحمله في جنازته سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . راجع ترجمته بالتفصيل في : الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٣ ص ١٢٤ - ١٢٩ ، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير جـ ٧ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

فترة خلافته، ما عدا السنة الأولى منها، وهي سنة أربع وعشرين للهجرة حيث حج بالناس فيها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وكذلك السنة الأخيرة من خلافته، وهي سنة خمس وثلاثين للهجرة حيث حج بالناس فيها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (١).

وبعد انتقال عاصمة الخلافة إلى الكوفة (٢) في عهد علي بن أبي

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي مجلد ٢ ص ١٧٦، والطبري: تاريخ الرسل والملوك مجلد ٤ ص ٢٤٩ - ٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٨٧، ٣٠٣، ٣٢٩، ٣٣٩، ٤٠٥، وابن الأثير الكامل: مجلد ٢ ص ٨٠، ٨٦، ٩٤، ٩٨، ١٠٣، ١٢٩، ١٤٦، ١٥٣، وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ ٧ ص ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٦، ١٧٠، ١٨٨، جـ ٨ ص ٣٠٢.

(٢) الكوفة (بالضم): المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسميها قوم «خد العذراء»، وسميت الكوفة لاستدارتها، وقيل: لاجتماع الناس بها. وقد تم إنشاء هذه المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٧هـ، ويرجع السبب في إنشائها هي ومدينة البصرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد لاحظ تغيّراً في وجوه الوفود التي جاءته من المدائن بعد فتح تكريت، كما لاحظ ضعفا في أجسامهم، فسألهم عن سبب ذلك، فقالوا: غيرتنا وخومة البلاد. وقيل إن حذيفة بن اليمان هو الذي كتب للخليفة عمر بذلك، فأرسل الخليفة إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن ذلك، فكتب إليه يقول: إن الذي غيرهم وخومة البلاد، فإن العرب لا يوافقها إلا ما وافق أهلها من البلدان، فكتب إليه عمر بأن يرسل سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان ليرتادا منزلا مناسبا ينزلون فيه ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر. فأتيا موضع الكوفة - وهو حصاً ورمل - فأعجبهما، وبعد أن وافق الخليفة على هذا المكان، انتقل إليه سعد، واتخذه معسكراً للمسلمين، وأقاموا أول الأمر في خيام، ولما استقروا طلبوا بناء البيوت ==

طالب ـ كرم الله وجهه ـ (٣٥ - ٤٠هـ) ، أصبح أمير الحج الذي يوليه الخليفة يخرج من تلك المدينة ، وقد حدث أثناء خلافته ﷺ وفي سنة ٣٩هـ أن كاد يقع في مكة قتال ـ في موسم الحج ـ بين قثم بن العباس [1] ـ عامل مكة لعلي بن أبي طالب ـ ، وبين يزيد بن شجرة الرهاوي [2]

== بالقصب ، فأذن لهم عمر في ذلك ، ولكنه حذرهم قائلا : إن العسكر ـ الأعداء ـ أشد لحربكم وأذكى لكم ، وما أحب أن أخالفكم ، فابتنوا بيوتا من القصب ، وعندما أصابتها الحريق أذن لهم في اتخاذها من الطوب اللبن . وقد قام أبو الهياج بن مالك بتخطيط الكوفة ، وكان المسجد أول ما خط فيها ، ثم دار الإمارة وبيت المال ، وكان عرض الشوارع فيها أربعون ذراعا . وقد خططت الكوفة تخطيطا قبليا مثل الفسطاط في مصر ، فقسمت تقسيما قبليا تنزل كل قبيلة في ناحية ، وإن كان ذلك لم يمنع من وجود الصلات الكثيرة بين القبائل في المدينة الجديدة في الجوار ، وفي المسجد ، وفي الأسواق ، وغير ذلك من الصلات التي جعلتها تتألف مع بعضها ، وتكون كتلا جديدة يسميها المؤرخون بـ « الأسباع » ، وهي خطوة جديدة في تنظيم المدن والمجتمعات تقلل من كثرة القبائل وانفرادها في مناطق بعينها .

راجع تفصيل ذلك عند : البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٩٦ وما بعدها ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، وعمرو أحمد عطوة ، القاهرة ، دار ابن خلدون ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ٤٠ - ٤١ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان مجلد ٤ ص ٤٩٠ - ٤٩٤ ، وصالح أحمد العلي : المجتمع العراقي ص ٤٦ ـ طبع بغداد ١٩٨٨م .

(١) قثم بن العباس بن عبد المطلب ، كان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، تولى نيابة مكة والمدينة للإمام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ ، وشهد فتح سمرقند ، واستشهد بها سنة ٥٥هـ . ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٧٧.

(٢) يزيد بن شجرة الرهاوي ، أمير حازم شجاع من أصحاب معاوية بن أبي سفيان ، سيره معاوية إلى مكة في ثلاثة آلاف فارس ، فدخلها وخطب بها ، وأراد أن ==

الذي بعثه معاوية بن أبي سفيان لإقامة الحج ، وأخذ البيعة له من أهل مكة ، ونفي عامل علي بن أبي طالب عنها ، ثم وقّع الصلح بينهما على أن يعتزل كل منهما الصلاة بالناس ، ويختار الناس من يصلي بهم ويحج بهم ، فوقـع الاختيار علـى شيبة بن عثمان الحجبي (١) ، فصلى وحـج بهم (٢) .

== يقيم الحج ، فنازعه قثم بن العباس ـ وكان من قبل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ـ ، فاصطلحا على أن يقيم الموسم حاجب الكعبة ، وهو شيبة بن عثمان الحجبي ، ثم عاد يزيد إلى الشام ، فكان يغزو الثغور ، ويشهد الفتوح ، إلى أن قتل في إحدى غزواته سنة ٥٤هـ ، وقيل سنة ٥٨هـ .

راجع ترجمته وأخباره بالتفصيل عند : ابن قتيبة : المعارف ص ١٩٨ ، والبكري : معجم ما استعجم ص ٦٧٨ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٥٠٠ ، وابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١١٨ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، طبع دار الكتب المصرية ١٣٤٨هـ .

(١) هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري الحجبي ، صاحب مفتاح الكعبة ، كان أبوه من قتلة علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ يوم غزوة أحد كافراً ، وأظهر شيبة الإسلام يوم فتح مكة ، وشهد غزوة حنين وفي قلبه شيء من الشك ، وقد هم بالفتك برسول الله ﷺ ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، فأخبر شيبة بما هم به ، فأسلم باطنا وحسن إسلامه ، وقاتل يومئذ وصبر فيمن صبر . ولي الحجابة بعد عثمان بن طلحة ، واستقرت الحجابة في بنيه وبيته إلى اليوم . وإلى شيبة هـذا ينسب بنو شيبة حجبة الكعبة ، وتوفـي شيبة سنة ٦١هـ ، وقيل ٥٩هـ .

ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي مجلد ٢ ص ٢١٣ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك مجلد ٥ ص ١٣٦ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٧ ص ٣٢٣ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ١٩٥ ، والرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ص ٩٣ وما بعدها . ولم يحج الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ بالناس في أي ==

وبعد انتقال الخلافة إلى البيت الأموي ، أصبحت دمشق حاضرة الدولة الإسلامية ، وأصبح أمير الحج يخرج منها معيّنا من قبل الخليفة الأموي ، ومعه الكسوة الشريفة والهدايا التي يقدمها الخليفة للحرمين الشريفين وأهلهما . وكانت جموع الحجيج من مختلف أنحاء العالم الإسلامي يجتمعون تحت لواء أمير الحج الأموي ، مما ترتب عليه زيادة الاهتمام بطريق الشام ـ الحرمين الشريفين ، وهو الطريق الذي يربط بين العاصمة السياسية (دمشق) ، والعاصمة الروحية (المدينة المنورة) (١) .

وقد حرص الخلفاء الأمويون على الاهتمام بشئون الحج ورعايته ، حيث قام عدد منهم بتولي إمارة الحج بنفسه ، وهم الخلفاء : معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠هـ) ، وعبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) ، والوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) ، وسليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) ، وهشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) (٢) .

ومنهم من حج أكثر من مرة ، مثل : معاوية بن أبي سفيان ،

= سنة من سنوات خلافته .

(١) الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، جـ ١ ص ٢٥٥ ، دار الأندلس ـ بيروت ١٩٦٩م .

(٢) ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٣٠٣ ، ٣١٤ ، ٣٣٦ ، واليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ٢٢٥ ، ٢٤٠ ، ومجلد ٦ ص ٤٣٨ ، ٤٦٥ ، ٥٢٩ ، ومجلد ٧ ص ٣٥ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٤٤٦ ، ٤٧١ ، دار صادر ـ بيروت ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٧ ، ٤٣ ، جـ ٩ ص ١١ ، ١٧٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

والوليد بن عبد الملك ، وكانوا يقومون بعد أداء الفريضة بتقديم خدمات جليلة في الحرمين الشريفين لتوفير الراحة والطمأنينة لحجاج بيت الله الحرام [١] .

وحينما كانوا يتخلفون عن قيادة الحجيج في موسم الحج ، فإنهم كانوا يكلفون أحد الأمـراء من البيت الأمـوي بإقامـة الموسم نيابـة عنهم - بإمارة الحج - سواء من أبناء الخلفاء ، أو من أمراء مكة والمدينة ، أو غيرهم من كبار رجال الدولة .

وكان معاوية بن أبي سفيان [٢] أول خليفة أموي يحج من دمشق ،

---

(١) ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، واليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ص ٢٣٩ ، ٢٩١ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ٢١٥ ، ٢٤٠ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٤٤٦ ، ٤٧١ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٧ ، ٤٣ ، والمقريزي : الذهب المسبوك ص ١٤ - ٣٦ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥م ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، والرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) هو الصحابي الجليل : معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه هند بنت عتبة بن أبي ربيعة ، وكان يلقب بـ « خال المؤمنين » ، لأن أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ . ولد معاوية قبل الهجرة بنحو خمسة عشر عاما ، وأسلم يوم فتح مكة سنة ٨هـ ، وقيل في عمرة القضاء سنة ٧ هـ . وكان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ ، وفي عهد أبي بكر الصديق شارك في الفتوح الإسلامية في بلاد الشام ، ثم انفرد بإمارة الشام في عهد عمر بن الخطاب وظل أميراً عليها في عهدي عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ﷺ . وكان له دور كبير في إنشاء الأسطول الإسلامي وغزو جزر ==

وقد ولي إمارة الحج بنفسه في فترة خلافته (٤١ - ٦٠هـ) مرتين : الأولى في سنة أربع وأربعين ، والثانية في سنة خمسين للهجرة [(١)].

أما في السنوات التي لم يتول فيها إمارة الحج بنفسه فكان يعين لها أحد الأمراء من البيت الأموي ، وهؤلاء الأمراء هم :

* عتبة بن أبي سفيان [(٢)] الذي تولى إمارة الحج في سنة إحدى

== البحر المتوسط . بويع له بالخلافة سنة ٤١ هـ بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب ، وتنازل الحسن عن الخلافة ، وقد ظل في الخلافة ما يقرب من عشرين عاما ، وطد فيها أركان الدولة الإسلامية ، وكانت وفاته في منتصف شهر رجب سنة ٦٠هـ .

انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ٣٢ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير جـ ٥ ص ٢٠٩ ، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا وآخرين ، طبع دار الشعب ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ١١٥ - ١٤٣ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر جـ ٩ ص ٢٣١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٩ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ٢١٥ ، ٢٤٠ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٤٤٦ ، ٧٧١ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٧ ، ٤٣ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ١٩٥ - ١٩٦ ، وحسن الصفاء والابتهاج ص ٩٣ .

(٢) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ـ أخو معاوية بن أبي سفيان ـ ، ولد عتبة على عهد الرسول ﷺ ، ولاه عمر بن الخطاب على بلاد الطائف وصدقاتها ، ثم ولاه أخوه معاوية مصر بعد وفاة عمرو بن العاص سنة ٤٣ هـ ، فأقام عليها سنة ، ثم توفي فيها ودفن بمقبرتها سنة ٤٤هـ ، وكان عتبة فصيحا بليغا حتى يقال : إنه لم يكن في بني أمية أخطب منه .

انظر : ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ ٨ ص ٧ - ٨ ، ==

وأربعين للهجرة (١) .

* عنبسة بن أبي سفيان (٢) ، وقد تولى إمارة الحج في سنة اثنتين وأربعين ، وسبع وأربعين للهجرة (٣) .

* مروان بن الحكم (٤) ، وقد تولى إمارة الحج في سنوات : ثلاث

== والزركلي : الأعلام ، مجلد ٤ ص ٢٠٠ ، ط ٢ دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٩٧م .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٩ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ١٧١ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٤١٩ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ١٩٥ . وقد ذكر كل من الطبري ، وابن الأثير رواية أخرى تقول أن الذي حج بالناس في تلك السنة هو عنبسة بن أبي سفيان .

(٢) عنبسة بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية من الأمراء ، كان أخوه معاوية ابن أبي سفيان يوليه ويعتمد عليه ، وآخر ما وليه إمرة مكة ، وتوفي بالطائف سنة ٥٠هـ . الزركلي : الأعلام ، مجلد ٥ ص ٩١ ، ط ٢ ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٩٧م .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ١٨ ، ٢٣٠ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٤١٩ ، ٤٥٦ ، أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي حج بالناس في تلك السنتين هو عتبة بن أبي سفيان (تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٩) ، كما ذكر الجزيري أن الذي حج بالناس في سنة ٤٢هـ هو مروان بن الحكم ، وفي سنة ٤٧هـ عتبة بن أبي سفيان (درر الفوائد ١٩٥ - ١٩٦) ، وهذا ليس بصحيح ، لأن عتبة توفي سنة ٤٤هـ .

(٤) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، ولد في السنة الأولى للهجرة ، وروى حديثا عن النبي ﷺ ، كما روى الحديث عن طائفة من كبار الصحابة ، وكان كاتبا للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وصاحب سره ، شهد موقعة الجمل مع طلحة والزبير وعائشة ، ولاه معاوية بن أبي ==

وأربعين ، وخمس وأربعين ، وثمان وأربعين ، وأربع وخمسين ، وخمس وخمسين [١] .

* سعيد بن العاص [٢] ، وقد تولى إمارة الحج في سنوات : تسع وأربعين ، واثنتين وخمسين ، وثلاث وخمسين [٣] .

== سفيان على المدينة أكثر من مرة ، وكان يحج بالناس أثناء إمارته عليها ، وبويع له بالخلافة في مؤتمر الجابية سنة ٦٤هـ ، وتوفي في شهر رمضان سنة ٦٥هـ عن أربع وستين سنة .
انظر ترجمته بالتفصيل عند : الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ٤٧٦ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، وابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٣٥ ، ومصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٥٩ ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٦م .

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٩ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٤٣٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٥ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٦٥ ، ٧٠ .

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن أحيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وأمه أم كلثوم بنت عمرو بن عبد الله بن أبي قبيس ، وهو أحد الكتاب الذين كتبوا للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، واستعمله على الكوفة ، واعتزل الفتنة في عهد عثمان وعلي ، إلى أن ولاه معاوية على الحجاز ، وتوفي سنة ٥٩هـ ، وقيل سنة ٥٨هـ .
انظر ترجمته بالتفصيل عند : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص ٣٠ - ٣٥ ، وابن الأثير : أسد الغابة جـ ٢ ص ٣٠٩ - ٣١١ ، طبع مصر ١٢٨٤هـ ، وابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ص ٨٢ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٩ ، والطبري : تاريخ الرسل ==

* الوليد بن عتبة [١] ، وقد تولى إمارة الحج في سنوات : ست وخمسين ، وسبع وخمسين ، وثمان وخمسين [٢] .

* عثمان بن محمد بن أبي سفيان [٣] ، وقد تولى إمارة الحج في

== والملوك ، مجلد ٥ ص ٢٣٣ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٣٢ ، ٥٩ ، ٦٥ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ١٩٦.

(١) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن ضمر بن حرب بن أمية بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب القرشي الأموي ، ولي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، وجاء نعي معاوية والوليد عليها ، ثم عزله يزيد بن معاوية حين تولى الخلافة ، ثم أرجعه بعد ذلك واليا على بلاد الحجاز كلها ، وكان الوليد حكيما كريما ، توفي سنة ٦٤هـ . لمزيد من التفاصيل عن سيرته انظر : نسب قريش للزبيري جـ ٣١ ص ١٣٣ ، والفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين جـ ٧ ص ٣٩١ ، تحقيق فؤاد السيد ، القاهرة ١٣٨١هـ ، والزركلي : الأعلام ، مجلد ٨ ص ١٢١ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٩ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ولم يذكر أحداً تولى إمارة الحج في سنة ٥٧هـ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٥٠٣ ، ٥١٤ ، ٥٢٠ ، وابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ص ٧٧ ، ٨٠ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) عثمان بن محمد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي ، وأمه أم عثمان بنت أسيد بن الأخنس بن شريق ، ولاه يزيد بن معاوية مكة بعد الوليد بن عتبة الذي عُزل بتدبير من عبد الله بن الزبير وذلك في سنة ٦٢هـ ، وقد ظل عثمان أميراً على المدينة حتى ثار أهل المدينة على الأمويين وحاصروا دار الإمارة ، وأعلنوا خلع البيعة ليزيد من معاوية ، وطلبوا من الأمير عثمان بن محمد أن يغادر المدينة ، فخرج منها بأهله وزاده ، ولجأ إلى الشام . ابن سعد : الطبقات الكبرى ، مجلد ٥ ص ٣٨ ، ٢٢٥ ، والفاسي : العقد الثمين جـ ٦ ص ٣٧ .

السنة التاسعة والخمسين للهجرة (١) .

* يزيد بن معاوية (٢) ، وقد تولى إمارة الحج في سنة إحدى

---

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٩ ، وتاريخ الطبري : مجلد ٥ ص ٣٢١ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٥٢٥ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٩٥ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ١٩٧ .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين ، وأمه ميسون بنت جحدل بن أنيف الكلبي ، ولد يزيد أثناء لاية أبيه على الشام في عهد عثمان بن عفان سنة ٢٦هـ فنشأ في عز الإمارة ومجدها ، وعنى أبوه بتربيته تربية عربية إسلامية ، فقد أرسله في طفولته إلى البادية عند أخواله من بني كلب ، ليشب في خشونة البادية وينشأ على الرجولة والفتوة ، ويتعلم اللغة العربية الفصحى ، ولقد أثمرت هذه التربية في يزيد ، فكان شاعراً فصيحاً وأديباً لبيباً ، حاضر البديهة ، أبي النفس كريما ، عالي الهمة ، يحسن التصرف في المواقف ، ويعد يزيد من الطبقة الأولى من التابعين ، وله أحاديث ، روى عن أبيه معاوية ، وروى عنه ابنه خالد ، وعبد الملك بن مروان ، وقد لقبه كل من الليث بن سعد فقيه مصر ، وابن كثير بأمير المؤمنين ، وقد كان في يزيد خصال محمودة من الكرم ، الحلم ، والفصاحة ، والشعر ، والشجاعة ، وحسن الرأي في الملك ، وكان ذا جمال ، حسن المعاشرة ، وقد أسند إليه أبوه قيادة الجيش الذي أرسله لغزو القسطنطينية سنة ٤٩هـ ، وكان تحت إمرته في هذا الجيش عدد كبير من الصحابة ، ومنهم : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وغيرهم ، كما كان أبوه يؤمره على الحج ، وقد أخذ له البيعة بالخلافة من سائر الأمصار قبل وفاته ، ولما توفي معاوية في منتصف شهر رجب سنة ٦٠ هـ آلت الخلافة إلى ابنه يزيد في اليوم نفسه ، وقد ظل في الخلافة ما يقرب من أربع سنوات ، وفي عهده وقعت أحداث أليمة منها : ثورة أهل المدينة ، وموقعة الحرة سنة ٦٣هـ ، ثم مقتل الحسين بن علي في كربلاء سنة ٦٤هـ ، وكانت وفاة يزيد في قرية حوارين بالشام لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٦٤هـ .

==

وخمسين للهجرة [1] .

أما الخليفة يزيد بن معاوية فلم يذكر عنه المؤرخون أنه تولى إمارة الحج بنفسه خلال فترة خلافته القصيرة (٦٠ - ٦٤هـ) ، وإنما كان يُعين أميراً للحج في كل عام نيابة عنه .

ففي سنة ستين للهجرة عين عمرو بن سعيد بن العاص [2] ـ عامله

== انظر ترجمة يزيد وأخباره في : نسب قريش للمصعب الزبيري ص ١٢٧ ، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٦م ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ٤٩٩ وما بعدها ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ١٢٥ وما بعدها ، وسير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٣٥ - ٤٠ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٢٦ وما بعدها .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٩ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ٢٨٦ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٤٩٠ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٥٤ ، أما الجزيري والرشيدي فقد ذكرا أن الذي حج بالناس فيها هو معاوية بن أبي سفيان (درر الفوائد المنظمة ص ١٩٦ ، وحسن الصفا والابتهاج ص ٩٣) ، والراجح أنه يزيد بن معاوية ، حيث أجمع عليه معظم المؤرخين .

(٢) عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن أبي أحيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وأمه أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، كان من رجال قريش ، ولاه يزيد بن معاوية على المدينة المنورة ، وحج بالناس سنة ٦٠هـ وكان أحب الناس إلى أهل الشام ، لذا كانوا يسمعون له ويطيعون ، فلما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة خافه ، ولم يزل مُرصداً له لا يأمنه حتى بعث إليه يوما خاليا فعاتبه على أشياء قد عفاها عنه ، ثم وثب عليه فقتله سنة ٦٩هـ وقيل سنة ٧٠هـ ، وكان عمرو هذا يكنى أبا أمية . وقد روى الحديث عن عمر وعثمان وعلي وعائشة ـ رضوان الله عليهم أجمعين . ==

على الحرمين ـ أميرا على الحج (١) .

وفي سنة إحدى وستين ، واثنتين وستين عين لهذه الإمارة الوليد ابن عتبة (٢) .

وبعد وفاة يزيد بن معاوية ، عمل عبد الله بن الزبير على الاستقلال بحكم الحجاز عن الدولة الأموية ، واتخذ مكة المكرمة مقراً له (٦٣ - ٧٤هـ) ، وفي تلك الفترة التي استقل فيها كان يقيم الحج بالناس في كل عام ، ما عدا سنة اثنتين وسبعين للهجرة (٣) التي وقعت فيها الحرب بينه

== راجع سيرته بالتفصيل عند : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٣٠٥ - ٣١٠ .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٥٣ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ٣٩٩ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٤٣ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ١٦٨ ، أما الجزيري فقد ذكر روايتين ، إحداهما تقول : إن الذي تولى إمارة الحج في سنة ٦٠هـ هو عمرو بن سعيد بن العاص ، والثانية تقول : إن الذي تولاها في تلك السنة هو الوليد بن عتبة (درر الفوائد المنظمة ص ١٩٧) ، ولا شك أن الرواية الأولى هي الأصح ، لأنها تتفق مع روايات باقي المؤرخين .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٥٣ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٥ ص ٤٧٧ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ١٠١ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٠٩ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ١٩٧ ، وقد ذكر الجزيري رواية أخرى تقول إن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو عمرو بن سعيد ، والأصح الرواية الأولى .

(٣) يذكر لنا المؤرخون أنه في سنة ٦٨هـ وقف بعرفات أربعة ألوية : لواء مع محمد ابن الحنفية وأصحابه ، ولواء مع ابن الزبير ، ولواء مع نجدة بن عامر الحروري ، ولواء مع بني أمية . وكان أول من دفع رايته ابن الحنفية ، ثم نجدة الحروري ، ==

وبين الحجاج بن يوسف الثقفي قائد جيش عبد الملك بن مروان الذي حاصر ابن الزبير ومن معه في المسجد الحرام .

ويقول المؤرخون [١] : « إن الحجاج بن يوسف الثقفي [٢] حج

= ثم بنو أمية ، ثم دفع ابن الزبير فدفع الناس معه .

انظر : تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٦٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ١٣٨ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٢٩٦ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ٨ ص ٢٩٢ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ١٩٩ .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ١٧٥ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٣٥٠ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٣٢٤ ، والمقريزي : الذهب المسبوك ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود .. بن ثقيف ، ولد في قبيلة ثقيف سنة ٤٢هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وأمه مطلقة المغيرة ابن شعبة ، لذا كان الحجاج يسمى « عبد ثقيف » ، وقد كان منذ صغره يحب « العراك » ، ولذا عرف بـ « كليب » ، وكان هو وأبوه يعلمان الأطفال بالطائف ، ولكنهما تركا الكلام ليأخذا السيف ، فاشتركا في موقعة الحرة سنة ٧٣هـ ، وفي موقعة الربذة . بعثه الخليفة عبد الملك بن مروان في ألفي فارس إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير سنة ٧٣هـ ، فأنجز مهمته وقضى على ابن الزبير في جمادى الآخرة من نفس العام ، ثم ولاه عبد الملك على المدينة سنة ٦٤هـ ، وحج بالناس فيها ، كما ولاه العراق سنة ٧٥هـ ، وقام ببناء مدينة واسط سنة ٧٨هـ ، وقد سماها « واسط » ، لأنها بين البصرة والكوفة ، كما قام بجهود كبيرة في خدمة الأمويين ، والقضاء على الثورات التي واجهتهم ، وتوفي الحجاج في مدينة واسط سنة ٩٥هـ ، ودفن بها وعمره ثلاث وقيل أربع وخمسون سنة .

انظر ترجمة الحجاج وأخباره بالتفصيل عند : المسعودي : مروج الذهب جـ ٥ ص ٢٨٨ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ، مجلد ٢ ص ٢٩ - ٥٤ ، تحقيق =

بالناس في تلك السنة وعليه وعلى أصحابه الدروع وهم وقوف بعرفات ولم يتمكنوا من الطواف بالبيت ، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هو وأصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة » .

غير أنني لا أجد في نفسي ميلاً إلى ما ذكره هؤلاء المؤرخون ، إذ كيف يجوز أن يقال : بأن الحجاج بن يوسف الثقفي قد حج في تلك السنة هو وأصحابه ، مع أنهم لم يتمكنوا من الطواف بالبيت ، مع أن الطواف بالبيت ركن من أركان الحج مثل الوقوف بعرفة ، الذي كان عدم تحققه لابن الزبير وأصحابه سبباً في عدم حجهم هذا العام ، فكما أن الحج لا يكون بدون الوقوف بعرفة ، كذلك لا يكون بدون الطواف بالبيت . ويظهر أن المؤرخين الذين نقلوا لنا هذا الخبر لم يكونوا على دراية بهذا الحكم الفقهي .

ويبدو لي أنه إما ألا يكون قد وقع حج هذا العام ، وإما أن يكون الطرفان قد اتفقا على هدنة مؤقتة أيام الحج ، وهذا هو أقرب الاحتمالين إلى الصواب ، لأن المسلمين مهما كان الخلاف بينهم لا يمكن أن يعطلوا هذه الشعيرة المقدسة ، كما أن ابن كثير قد ذكر في كتابه « البداية والنهاية في التاريخ » أن الخليفة عبد الملك بن مروان قد أناب عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [1] للحج بالناس ، وكتب إلى الحجاج أن يأتم بابن عمر في

= الدكتور إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، وابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٣ ص ٦ وما بعدها ، القاهرة ١٢٩٤هـ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ١٢١ - ١٤٤ .

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أسلم مع أبيه ولم يبلغ الحلم ، وهاجر وعمره عشر سنين ، وشهد غزوة الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة ، =

المناسك [١] .

أما الخليفة عبد الملك بن مروان [٢] ، فقد تولى إمارة الحج بنفسه

== كما شهد المشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ ، كما شهد اليرموك وجلولاء وما بينهما من وقائع الفرس ، وشهد فتح مصر ، واختط بها دارا ، وقدم البصرة ، وشهد غزو فارس ، وورد المدائن مراراً ، وكان عمره عندما مات النبي ﷺ اثنتين وعشرين سنة ، وكان جوادا كريما ، أعتق ألف رقبة قبل موته ، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفا ، وكان أعلم الناس بمناسك الحج ، ومكث ستين سنة يفتي الناس من سائر البلاد ، وروى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، كما روى عن الصديق وعن عمر وعثمان وعائشة وغيرهم ، توفي ابن عمر سنة ٧٤هـ ، وقيل سنة ٧٣هـ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، مجلد ٣ ص ٣٠ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٥ - ٦ .

(١) ابن كثير : المصدر السابق جـ ٨ ص ٣٢٩ .

(٢) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وأمه عائشة بنت المغيرة بن أبي العاص بن أمية ، ولد في المدينة سنة ٢٦هـ في خلافة عثمان بن عفان ، ونشأ بها نشأة علمية ، وتتلمذ على كبار الصحابة ، وروى عنهم الحديث ، كما روى عنه جماعة من التابعين ، وكان من فقهاء المدينة المعدودين ، ولقب بـ « حمامة المسجد » لملازمته مسجد الرسول ﷺ ، بويع له بالخلافة في شهر رمضان سنة ٦٥هـ في نفس اليوم الذي مات فيه أبوه مروان . وتجمع المصادر التي ترجمت وأرخت له على أنه كان من عقلاء الرجال وأفذاذهم ومن أكثرهم دهاءاً وحزما وشجاعة وإقداما ، ولقد برهن عبد الملك على كفاءته العالية سواء في إعادة توحيد الدولة الإسلامية ، وفي الإدارة والسياسة ، حيث استطاع في مدة خمس سنوات أن يتخلص من سائر خصومه ، وأن يعيد الوحدة للأمة الإسلامية ، ولذا اعتبره المؤرخون المؤسس الثاني للدولة الأموية ، واعتبروا عام ٧٣هـ الذي تولى فيه الخلافة بالإجماع ، عام الجماعة الثاني ، توفي ==

في السنة الخامسة والسبعين للهجرة [١]، وأناب عنه في تولي هذه الإمارة خلال فترة خلافته - بعد مقتل ابن الزبير - عدداً من الأمراء هم :

* الحجاج بن يوسف الثقفي في سنتي : ثلاث وسبعين ، وأربع وسبعين للهجرة [٢] .

* أبّان بن عثمان بن عفان [٣] ، فـي سنوات : ست وسبعين ،

== عبد الملك في منتصف شهر شوال سنة ٨٦هـ .
انظر ترجمته وأخباره في : طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٢٢٣ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٣٥٥ ، تحقيق د. ثروت عكاشة ، دار المعارف ، ط ٤ - القاهرة ، وتاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٦٩ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٥١٩ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٦٠ ، وسير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٢٣٦ وما بعدها ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي جـ ١ ص ٢١٢ .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٨١ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٢٠٩ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٣٩١ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ١٠ ، والمقريزي : الذهب المسبوك ص ٢٧ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠١ ، والرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ص ٩٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٨١ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ١٩٤ ، ٢٠١ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٣٣٢ ، جـ ٩ ص ٤ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ٢٠٠ ، وحسن الصفا والابتهاج ص ٩٤ .

(٣) أبّان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وأمه أم عمر بنت جندب بن عمرو بن حُمَمَة بن الحارث ، ولَي المدينة لعبد الملك بن مروان لمدة سبع سنوات ، وحج فيها بالناس ثلاث مرات ، ثم عزله عبد الملك عنها ، وولاها هشام بن إسماعيل المخزومي ، وقد أصيب أبّان بالفالج قبل أن يموت بسنة ، وكان يقال بالمدينة : « فالج أبّان » لشدته ، وقد توفي أبّان في المدينة في خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ ، وقيل سنة ١٠٦هـ . وكان أبان من ==

وسبع وسبعين ، وثمان وسبعين ، وتسع وسبعين ، وثمانين ، واثنتين وثمانين (١) .

* سليمان بن عبد الملك (٢) الذي تولى إمارة الحج في سنة إحدى

== فقهاء التابعين وعلمائهم ، روى عن أبيه ، وكان ثقة وله أحاديث .
انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ١٥١ - ١٥٢ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٢٣٩ .

(١) تاريخ اليعقوبي مجلد ٢ ص ٢٨١ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٢٥٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٥٦ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٤١٨ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ١٦ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٢ .
وقد ذكر كل من الطبري وابن كثير أن الذي تولى إمارة الحج سنة ٧٨هـ هو الوليد بن عبد الملك ، ولم يذكر ابن الأثير من تولى إمارة الحج في سنة ٨٢هـ ، كذلك لم يذكر ابن كثير من تولى هذه الإمارة سنة ٧٨هـ ، أما الجزيري فقد وافق معظم المؤرخين في ذكر من تولى إمارة الحج في سنوات ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩هـ وهو أبان بن عثمان ، ثم خالفهم في ذكر رواية ثانية في سنتي ٨٠ ، ٨٢هـ ، فذكر في سنة ٨٠هـ غير أبان : سليمان بن عبد الملك ، وذكر في سنة ٨٢هـ غير أبان أيضا : هشام بن إسماعيل المخزومي (درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٢) ، والراجح أن الذي حج بالناس في تلك السنوات المذكورة كلها هو أبان ابن عثمان ، حيث أجمع عليه معظم المؤرخين .

(٢) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه ولادة بنت العباس العبسية ، ولد بالمدينة المنورة ، ونشأ بالشام ، وكان يحب البادية والإقامة فيها ، بويع له بالخلافة في منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ ، وتوفي في شهر صفر سنة ٩٩هـ ، وكان من أفضل الخلفاء في نشر العلم والجهاد ، كما كان ديّنا فصيحا ، مفوها ، عادلاً ، محبّا للغزو . ==

وثمانين [١] .

* هشام بن إسماعيل المخزومي [٢] ، وقد تولى إمارة الحج في السنة الثالثة والثمانين ، والرابعة والثمانين ، والخامسة والثمانين [٣] .

وأما الخليفة الوليد بن عبد الملك [٤] فقد تولى إمارة الحج بنفسه

= انظر ترجمته في : تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٩٣ ، والطبري جـ ٦ ص ٥٠٥ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٥ ص ١١١ ، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير جـ ٩ ص ١٧٧ وما بعدها .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٨١ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٣٤١ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٣٤١ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٢ . أما ابن كثير فقد ذكر أن الذي حج بالناس في تلك السنة هو إسحاق بن عيسى ، والراجح ما اتفق عليه معظم المؤرخين السابقين .

(٢) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، أمير المدينة المنورة ، كانت ابنته زوج الخليفة عبد الملك بن مروان ، الذي ولّى هشاما هذا على المدينة سنة ٨٢هـ ، واستمر في الإمارة إلى سنة ٨٧هـ ، حيث عزله الوليد بن عبد الملك ، وولى مكانه عمر بن عبد العزيز ، وقد تولى هشام بن إسماعيل إمارة الحج عدة سنوات متتالية أثناء إمارته على المدينة ، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق ، وتوفي بها سنة ٨٩هـ .

راجع سيرته بالتفصيل عند : ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٨ ، والزركلي : الأعلام جـ ٨ ص ٨٤ ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٩م .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٨١ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٤١٧ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٢ ، والرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ص ٩٤ .

(٤) هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء =

في السنة الحادية والتسعين للهجرة [1] ، وعيّن لها في السنوات الأخرى من خلافته عدداً من الأمراء هم :

* هشام بن إسماعيل المخزومي ، وقد تولى إمارة الحج في السنة السادسة والثمانين للهجرة [2] .

= ابن الحارث العبسي ، ولد حوالي سنة ٥٠هـ ، وهو أكبر أولاد أبيه ، وقد أولاه عناية خاصة لأنه ولي عهده ، وقد شب الوليد على الصلاح والتقوى ، وحب القرآن الكريم والإكثار من تلاوته ، ولقد كان الوليد من الرجال المحظوظين في التاريخ ، بويع له بالخلافة في منتصف شوال سنة ٨٦هـ في نفس اليوم الذي مات فيه أبوه عبد الملك ، وكان عهده غرة في جبين الدولة الأموية ، حيث شهد ذلك العهد المبارك فتوحات كبرى ، وبناء وتعمير ، ونعم الناس فيه بالهدوء والاستقرار والبناء والعمران ، وعمهم الرخاء الواسع والازدهار العظيم ، وسبق الوليد كل دول العالم في رعاية المرضى وأصحاب العاهات وعلاجهم على حساب الدولة ، توفي الوليد في منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦هـ .
انظر ترجمة الوليد وأخباره في : المعارف لابن قتيبة ص ٣٥٩ ، وتاريخ اليعقوبي مجلد ٢ ص ٢٨٣ ، وتاريخ الطبري جـ ٦ ص ٤٩٦ ، وسير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ٣٤٧ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ١٩٥ - ١٦٩ .

(١) تاريخ الرسل والملوك مجلد ٦ ص ٤٦٥ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٥٥٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٨٦ ، ودرر الفوائد المنتظمة ص ٢٠٣ . أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو عمر ابن عبد العزيز (تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٩١) ، والراجح أنه الخليفة الوليد بن عبد الملك ، حيث أجمع على ذكره معظم المؤرخين .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٩١ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٤٢٦ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٥٢٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٦٥ ، ودرر الفوائد المنتظمة ص ٢٠٢ . وقد ذكر الجزيري رواية =

* عمر بن عبد العزيز [1] الذي تولى إمارة الحج في سنوات :

== ثانية تقول : إن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة (٨٦هـ) هو العباس بن الوليد بن عبد الملك . والراجح أنه هشام بن إسماعيل المخزومي ، حيث أجمع على ذكره باقي المؤرخين .

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ﷺ ، ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة المنورة سنة ٦٢هـ على الأرجح ، ونشأ بها بناء على رغبة أبيه الذي تولى إمارة مصر بعد مولده بثلاث سنوات (٦٥هـ) ، وقد أخذ عمر العلم عن علماء المدينة ، وروى الحديث عن كثير من الصحابة والتابعين ، منهم : أنس بن مالك ، وعبد الله بن جعفر ، وسهل بن سعد ، وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم. وكان عمر فقيها مجتهدا ، وتابعاً جليلاً ، وهو حجة عند العلماء ، وقد روى عن عمر كثير من التابعين ، منهم : أبو بكر بن حزم ، ورجاء بن حيوة ، والزهري ، وكثيرون غيرهم . وقد ظل عمر يقيم في المدينة المنورة حتى وفاة أبيه سنة ٨٥هـ ، فأخذه عمه عبد الملك بن مروان إلى دمشق ، وخلطه بأولاده ، وزوجه ابنته فاطمة ، ثم عيّنه على إمارة خناصرة ـ وهي إمارة صغيرة في الشام من أعمال حلب ـ وظل عمر في ولايته هذه حتى وفاة عبد الملك سنة ٨٦هـ ، ولما تولى الوليد الخلافة بعد موت أبيه ظل على الإحسان إلى ابن عمه عمر ، وعامله كما كان يعامله أبوه ، ثم عينه واليا على المدينة المنورة سنة ٨٧هـ ، وقد ظل والياً على المدينة حوالي سبع سنوات ، كان فيها موضع الرضا من أهلها ، وبعد أن توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك ، بويع لعمر بن عبد العزيز بالخلافة في شهر صفر سنة ٩٩هـ ، واستمر فيها حوالي سنتين وبضعة شهور ، قام خلالها بعدة إصلاحات هائلة في الداخل والخارج ، وأصبح موضع الرضا والاحترام من أشد الفرق عداءا لبني أمية ، كالخوارج والشيعة ، أما عند علماء الأمة من أهل السنة فهو من الخلفاء الراشدين المهديين ، والعلماء العاملين ، وكانت وفاته في أواخر شهر رجب سنة ١٠١هـ . ==

سبع وثمانين ، وثمان وثمانين ، وتسع وثمانين ، وتسعين ، واثنتين وتسعين ، وثلاث وتسعين [١] .

* مسلمة بن عبد الملك [٢] الذي تولاها في سنة أربع

= انظر ترجمته وأخباره بالتفصيل في : فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٤٠ ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ـ القاهرة ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، مجلد ٥ ص ٣٨ وما بعدها ، والطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص ٣٣٠ وما بعدها ، وسير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٥ ص ١١٤ ، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير جـ ٩ ص ١٩٢ وما بعدها .

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٩١ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٤٣٣ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٧ ، ٤٦٨ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٤٨ ، ٥٦٩ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٧٦ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٨ ، ولم يذكر ابن كثير من تولى إمارة الحج سنة ٩٠هـ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، والرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ص ٩٤ ، وقد ذكر اليعقوبي أن الذي حج بالناس سنة ٨٨ هـ هو الخليفة الوليد بن عبد الملك ، كما ذكر كل من الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، أن الذي حج بالناس سنة ٩٣هـ هو عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك (تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٤٨٢ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٥٧٨ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٩٣) ، كذلك ذكر الجزيري رواية أخرى فيمن حج بالناس سنة ٩٢هـ تقول : إنه عثمان بن الوليد بن عبد الملك ، والراجح أنه عمر بن عبد العزيز حيث ذكره معظم المؤرخين .

(٢) مسلمة بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي ، كان من رجال بني أمية ، وكان يلقب بـ « الجرادة الصفراء » ، وله آثار كثيرة وحروب ونكاية في العدو من الروم وغيرهم ، وقد فتح حصوناً كثيرة من بلاد الروم ، وحاصر القسطنطينية ، =

وتسعين (١) .

* بشر بن الوليد بن عبد الملك (٢) ، وقد تولاها في سنة خمس وتسعين (٣) .

== وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ، ثم عزله وتولى أرمينية ، وروى الحديث عن كثير من التابعين ، وتوفي في شهر المحرم سنة ١٢١هـ في خلافة هشام بن عبد الملك وقيل سنة ١٢٠هـ ، وكانت وفاته بموضع يقال له : « الحانوت » .

انظر : ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٩١ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٩١ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٥٨٢ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ١٠٢ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٣ . وقد ذكر كل من الطبري وابن الأثير رواية ثانية تقول : إن الذي حج بالناس في تلك السنة هو عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، وشاركهما في هذه الرواية أيضا الجزيري ، وأضاف رواية ثالثة تقول : إن الذي حج فيها هو سليمان بن عبد الملك ، ورواية رابعة تقول : إن الذي حج فيها هو عثمان بن حبّان المزني . أما ابن كثير فقد ذكر رواية ثانية تقول : إن الذي حج بالناس فيها هو العباس بن الوليد بن عبد الملك . وأرجح أن الذي حج بالناس في تلك السنة (٩٤هـ) هو مسلمة بن عبد الملك ، حيث نص عليه اليعقوبي وحده ، ولم يذكر أحداً غيره ، كما أن كل واحد من باقي هؤلاء المؤرخين قد ذكره ضمن رواياته .

(٢) بشر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . قال عنه ابن قتيبة : إن كان عالم بني الوليد . ابن قتيبة : المعارف ص ٣٥٩ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٤٩٣ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٥٩١ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ١٢١ . أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة (٩٥هـ) هو أبو بكر محمد بن حزم (تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٩١ ، كما ==

أما الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) فقد تولى إمارة الحج بنفسه في سنة سبع وتسعين للهجرة [١] ، وأناب عنه لتلك الإمارة في سنة ست وتسعين أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري [٢] ، الذي كان أميراً على المدينة المنورة [٣] ، كما أناب عنه لها في سنة ثمان وتسعين عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي [٤] الذي كان

== ذكر الجزيري والرشيدي أن الذي حج بالناس في تلك السنة هو الخليفة الوليد ابن عبد الملك (درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٣ ، وحسن الصفا والابتهاج ص ٩٤) ، والراجح أنه بشر بن الوليد بن عبد الملك حيث ذكره أغلب المؤرخين .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣٠٠ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٥٢٩ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٢٦ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ١٧٧ ، والمقريزي : الذهب المسبوك ص ٣٣ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٣ ، والرشيدي : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج ص ٩٤ .

(٢) أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، كان تلميذ الفقهاء الكبار في المسجد النبوي ، وما لبث أن تصدر للحديث والفتيا ، وقد أعجب به عمر بن عبد العزيز منذ أن كان يدرس معه في حلقات المسجد ، فلما تولى عمر إمارة المدينة ولاه قضاءها ، وثبّته الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وقد ظل واليا على قضاء المدينة حتى تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة ، فولاه على إمارة المدينة ، وظل على إمارتها حتى عزله الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١هـ .
انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٤٣٣ ، ٤٨٢ ، ٥٠٥ ، ٥٢٢ ، ٥٥٤ ، ٥٦٣ ، ٥٧٤ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣٠٠ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٥٢٢ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٢٠ ، والبداية والنهاية جـ ٩ ص ١٧٣ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ٢٠٣ .

(٤) عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أبي أسيد بن أبي العاص بن أمية بن ==

أميراً على مكة المكرمة (١) .

وبعد وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك ، تولى بعده الخلافة عمر ابن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) ، وعلى الرغم من قصر مدة خلافته ، ومع أنه لم يتولى إمارة الحج بنفسه فيها ، إلا أنه عُنِي بشئون الحج ، وتعيين الأمير الذي يحج بالناس ، وتزويده بكل ما يحتاج إليه الحجيج ، وقد ذكر لنا المؤرخون أنه عيّن لهذه الإمارة في سنتي تسع وتسعين ومائة أمير المدينة أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم (٢) .

أما الخليفة يزيد بن عبد الملك فلم يثبت أنه تولى إمارة الحج بنفسه

= عبد شمس بن عبد مناف الأموي ، المكي ، ولي إمرة مكة سنة ٩٦هـ ، وعزل عنها من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك ، حيث ولى بدلا عنه على مكة طلحة ابن داود الحضرمي ، ثم أعيد في سنة ٩٧هـ لإمارة مكة بعد ولاية طلحة عليها ستة أشهر ، وظل أميراً على مكة حتى سنة ١٠٣هـ ، حيث عزل عنها ، وضمت إمارتها مع إمرة المدينة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهري .

انظر تفصيل ذلك في : نسب قريش ١٩٠ - ١٩١ ، وتاريخ مكة للأزرقي جـ ٢ ص ١٦٣ ، وتاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٧٠ - ١٧٣ ، ٥٢٢ ، ٥٢٩ ، ٥٤٥ ، ٥٥٤ ، ٥٨٩ - ٦٨٦ ، والفاسي : العقد الثمين جـ ٥ ص ٤٥٠ .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣٠٠ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٥٤٥ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٣٦ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٤٠ ، وقد ذكر الجزيري رواية أخرى يقول فيها : إن الذي حج بالناس في تلك السنة (٩٨هـ) هو أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، والأرجح الرأي الأول الذي أجمع عليه معظم المؤرخين .

(٢) نفس المصادر السابقة على الترتيب ، صفحات : ٣٠٨ - ٥٥٤ ، ٥٦٢ - ٦٤٣، ٥٥ - ١٨٩ ، ١٩٤ - ٢٠٤ .

خلال فترة خلافته (١٠١ - ١٠٥هـ) ، وإنما كان يعين أميراً للحج في كل عام نيابة عنه .

* ففي سنوات : إحدى ومائة ، واثنتين ومائة ، وثلاث ومائة للهجرة عين لهذه الإمارة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري(١) ، الذي كان أميراً على الحرمين الشريفين (٢) .

* عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النصْري (٣) ، أمير الحرمين

---

(١) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك الفهري ، أمير الحرمين ، ولاه يزيد ابن عبد الملك إمارة المدينة سنة ١٠١هـ ، فحج بالناس ثلاث سنوات متتاليات ، ثم ضمت إليه مكة مع المدينة ، ثم عزل عنهما للنصف من شهر ربيع الأول سنة ١٠٤هـ ، فكانت إمارته على المدينة ثلاث سنين وشهور ، وكان يأبى أن يستشير العلماء إذا أشكل عليه أمر ، فأبغضه الناس وذمه الشعراء ، وهذا يتناقض مع ما ذكره ابن عساكر من ثناء الناس عليه بعد عزله .
راجع أخباره عند : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٨ ص ٤٧٤ وما بعدها ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ١٢ - ١٤ ، وابن عساكر : مختصر تاريخ دمشق جـ ١٤ ص ٢٧٠ ، والفاسي : العقد الثمين جـ ٥ ص ٣٥٩ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣١٤ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٦ ص ٥٨٩ ، ٦١٧ ، ٦٢٠ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٧٧ ، ١٠١ ، ١٠٥، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ولم يذكر ابن الأثير من تولى إمارة الحج سنة ١٠٢هـ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٤ ، قد ذكر رواية أخرى تقول : إن الذي حج بالناس سنة ١٠١هـ هو عبد العزيز بن عبد الله بن خالد أمير مكة .

(٣) عبد الواحد بن عبد الله بن كعب بن بشر النصْري الدمشقي ، أبو بشر ، ==

والطائف ، وقد تولى إمارة الحج في سنة أربع ومائة للهجرة (١) .

أما الخليفة هشام بن عبد الملك (٢) فقد تولى إمارة الحج بنفسه في

== التابعي ، من رجال الحديث الثقات ، ولي مكة ، والمدينة ، والطائف سنة ١٠٤هـ ، واستمر سنة وثمانية أشهر ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٦هـ ، توفي بعد تلك السنة .

انظر : الزركلي : الأعلام ، مجلد ٤ ص ١٧٦ .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣١٤ ، وتاريخ الطبري ، مجلد ٧ ص ٢٠ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ١١٦ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٢٣٤ . أما الجزيري فقد ذكر أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة (١٠٤هـ) هو أمير الحرمين عبد الواحد بن كعب بن عمرو بن منيع بن عباد بن عوف بن فضل بن معاوية بن هوازن النصري (درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٤) .

والراجح الرأي الأول ، حيث أجمع عليه باقي المؤرخين .

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان ، ولد في دمشق سنة ٧١هـ ، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ ، وخرج على زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٠هـ بأربعة عشر ألفا من الكوفة ، فوجه إليه من قتله وشتت جمعه ، ونشبت في أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك فيما وراء النهر ، انتهت بمقتل خاقان ، واستيلاء المسلمين على بعض بلاده ، واجتمع في خزائنه من المال ما لم يجتمع في خزانة أحد من خلفاء بني أمية في الشام ، وبني مدينة الرصافة التي تقع على أربعة فراسخ من الرقة ، وهي غير رصافتي بغداد والبصرة ، وكان يسكنها في الصيف وتوفي فيها سنة ١٢٥هـ ، وكان حسن السياسة ، يقظا في أمره ، يباشر الأعمال بنفسه ، ومن كلامه : « ما بقي عليّ من لذات الدنيا إلا أخ أرفع مؤنة التحفظ بيني وبينه » .

راجع سيرته وأخباره عند : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ص ٣٥٦ ، واليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ص ٣١٦ وما بعدها ، وابن قتيبة : المعارف ص ٣٦٥ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ ص ٣٥١ - ٣٥٣ ، وابن كثير : البداية ==

السنة السادسة بعد المائة للهجرة [1] .

وفي السنوات الأخرى من خلافته كان يعين أميراً للحج في كل عام نيابة عنه من أبنائه وأفراد أسرته والمقربين منه ، وقد اشتهر في عهد الخليفة هشام عدد من الأمراء ارتبطت أسماؤهم بإمارة الحج ، وهم :

* إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي [2] ، أمير الحرمين والطائف ، وخال الخليفة هشام بن عبد الملك ، وقد ولي الحج في سنوات : خمس ومائة ، وسبع ومائة إلى ثلاث عشرة ومائة للهجرة [3] .

== والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٣٥١ .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣٢٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٣٥ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ١٣٠ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ٢٠٥ .

(٢) إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي القرشي ، أمير المدينة المنورة ، وخال هشام بن عبد الملك ، اشتهر بشدته وعتوه ، وهو الذي ضرب يحيى بن عروة حتى مات ، حج بالناس سنة ١٠٥هـ وبعض السنين التي بعدها ، وولي المدينة ومكة والطائف سنة ١٠٧هـ ، وكثرت شكوى آل الزبير وغيرهم منه ، وعزله هشام سنة ١١٥هـ ، فانقطع خبره ، وتوفي بعد سنة ١١٥هـ .
انظر : الزركلي : الأعلام ، مجلد ١ ص ٧٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣٢٨ ، وقد ذكر اليعقوبي أن الذي تولى إمارة الحج سنة ١٠٣هـ هو سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٢٦ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٨٧ ، ٨٩ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ١٢٦ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٧٦ ، وقد ذكر كل من الطبري وابن الأثير رواية أخرى فيمن تولى إمارة الحج سنة ١١٢هـ تقول أنه سليمان بن هشام بن عبد الملك ، والبداية والنهاية في ==

* خالد بن عبد الملك بن الحارث بن عبد الحكم [١] ، وقد تولى إمارة الحج في سنتي أربع عشرة وسبع عشرة بعد المائة [٢] .

* محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي [٣] ، الخال الآخر

== التاريخ جـ ٩ ص ٢٣٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ولم يذكر ابن كثير من تولى إمارة الحج في سنتي ١٠٨ ، ١١٢هـ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، وقد ذكر الجزيري أن الذي تولى إمارة الحج سنة ١١٢هـ هو سليمان بن هشام بن عبد الملك .

(١) خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن العاص الأموي ، ولي المدينة للخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١١٤هـ ، ثم غضب عليه الخليفة هشام وعزله سنة ١١٨هـ ، وقد حج بالناس مرتين أثناء إمارته على المدينة .

راجع سيرته وأخباره عند : ابن مصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٧٠، ٢٨٠، والطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٩٠ ، ١٠٧ ، ٢٢٦ ، والرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ص ٩٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣٢٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٩١ ، ١٠٧ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ١٧٩ ، ١٩٥ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ . وقد ذكر كل من الطبري ، وابن الأثير ، والجزيري رواية أخرى فيمن تولى إمارة الحج سنة ١١٤هـ تقول : إنه محمد بن هشام ، والراجح أنه خالد بن عبد الملك ، حيث أجمع عليه الكثيرون .

(٣) محمد بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، لجده هشام صحبة ، وهو أخو خالد بن الوليد ، وقد ولي إمارة مكة والمدينة للخليفة هشام بن عبد الملك ، ويروى أنه قد منع النساء من أن يطفن مع الرجال ، وعندما تولى الوليد بن يزيد الخلافة بعد وفاة هشام بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦هـ) كتب إلى يوسف بن عمر ، فقبض على هشام هذا ، وعلى أخيه إبراهيم الذي كان أميراً على المدينة ، فعذبهما حتى ماتا سنة ١٢٥هـ .

انظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٥ .

للخليفة هشام بن عبد الملك ، وقد ولي إمارة الحج في سنوات : خمس عشرة ومائة ، وثمان عشرة ومائة ، وعشرين ومائة ، وإحدى وعشرين ومائة ، واثنتين وعشرين ومائة ، وأربع وعشرين ومائة للهجرة [١] .

* الوليد بن يزيد بن عبد الملك [٢] ، ولي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، وقد ولي إمارة الحج في السنة السادسة عشرة بعد المائة [٣] .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ، مجلد ٢ ص ٢٣٨ (ولم يذكر اليعقوبي من تولى إمارة الحج سنة ١١٨هـ) ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٩٢ ، ١١٢ ، ١٥٩ ، ١٧٩ ، ١٩١ ، ١٩٩ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ١٨١ ، ١٩٩ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٩ ، وقد ذكر كل من الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير رواية أخرى فيمن تولى إمارة الحج سنة ١٢٠هـ تقول : إنه سليمان بن هشام بن عبد الملك . والأرجح الرواية الأولى .

والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ، ولد الوليد في مدينة دمشق سنة ٩٠هـ ، وقيل سنة ٩٢هـ ، بويع له بالخلافة في نفس اليوم الذي مات فيه عمه الخليفة هشام بن عبد الملك في ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ ، وقتل في قصره بقرية تسمى « البخراء » على بعد أميال من « تدمر » في يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ على إثر ثورة أطاحت به .

راجع سيرته بالتفصيل في : تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٦٣ ، وتاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٣١ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٢٨٩ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي جـ ٥ ص ٣٧٠ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٩٨ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ١٨٥ ، والبداية والنهاية في التاريخ =

* مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وقد ولي إمارة الحج في سنة تسع عشرة بعد المائة [١] .

* يزيد بن هشام بن عبد الملك ، وقد ولي إمارة الحج في السنة الثالثة والعشرين بعد المائة [٢] .

وعندما ضعفت الدولة الأموية في أواخر عهدها ، أصبحت إمارة الحج تسند إلى كبار القواد ، أو إلى أمير الحرمين ، الذي كان في بعض الأحيان يتولاها لعدة سنوات متتاليات .

* ففي سنة خمس وعشرين بعد المائة تولى إمارة الحج يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي [٣] ، أمير الحرمين والطائف ، وذلك في خلافة

== جـ ٩ ص ٣٣١ ، والرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ص ٩٥ .

(١) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ١٣٨ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٢١٤ ، أما الجزيري والرشيدي فقد ذكرا أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة (١١٩هـ) هو محمد بن هشام المخزومي (درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٨ ، وحسن الصفا والابتهاج ص ٩٥) .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٣٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ١٩٧ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٢٥٣ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٣٤٧ . أما الجزيري ، والرشيدي فقد ذكرا أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو محمد بن هشام المخزومي (درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٨ ، وحسن الصفا والابتهاج ص ٩٥) ، والراجح أنه يزيد بن هشام بن عبد الملك الذي أجمع على ذكره باقي المؤرخين .

(٣) يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ، أحد من تولوا إمارة مكة من غير الأشراف ، وهو ابن أخ الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولاه الوليد بن يزيد بن عبد الملك إمارة مكة والمدينة والطائف سنة ١٢٥هـ ، ودامت ولايته إلى انقضاء عهد الوليد ==

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٧هـ) [١] .

* وفي سنوات ست وعشرين ، وسبع وعشرين ، وثمان وعشرين بعد المائة تولى هذه الإمارة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز [٢] ، أمير الحرمين والطائف أيضا [٣] ، وذلك في عهد آخر الخلفاء الأمويين ، وهو مروان بن محمد [٤] .

= سنة ١٢٦هـ ، وتوفي يوسف بعد سنة ١٢٦هـ .
انظر : الزركلي : الأعلام ، مجلد ٨ ص ٢٤٦ .

(١) تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٢٢٨ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٢٧٥ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ١ ص ٦ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ٢٠٨ ، أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو محمد ابن موسى الثقفي (تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣٣٤) .

(٢) عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي ، أمير من سكان المدينة ، ولاه يزيد بن الوليد إمارة مكة والمدينة سنة ١٢٦هـ ، وأقره مروان بن محمد عليها ، ثم عزله عنها وولى عليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، توفي عبد العزيز بن عمر سنة ١٤٧هـ .
انظر : الزركلي ، مجلد ٤ ص ٢٣ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٢٩٩ ، ٣٢٩ ، ٣٤٨ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٣١٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥١ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ١٠ ص ١٧ ، ٢٦ ، ٢٩ . وقد ذكر كل من الطبري ، وابن الأثير رواية أخرى تقول : إن الذي حج بالناس في سنة ٢٦هـ هو عمر بن عبد الله بن عبد الملك .
والراجح الرواية الأولى ، حيث أجمع عليها معظم المؤرخين .

(٤) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وأمه أمة كردية ، ولد حوالي سنة ٧٠هـ ، ويعتبر من فرسان بني أمية وشجعانهم ، ولاه ابن عمه الخليفة هشام بن عبد الملك على أرمينية وأذربيجان سنة ١١٤هـ ، وظل واليا عليها حتى مقتل الوليد بن =

• كما تولاها في سنة تسع وعشرين بعد المائة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك [١] ، الذي كان أميراً على الحرمين والطائف [٢] .

= يزيد سنة ١٢٦هـ ، فغضب لقتله وخرج من أرمينية قاصدا دمشق ليطالب بدمه ولكن الخليفة الجديد يزيد بن الوليد ترضاه وأضاف إليه إقليم الجزيرة والموصل ، فرضي وبايع ليزيد ، ولكن يزيد توفي سريعا وترك الأمر لأخيه إبراهيم بن الوليد الذي لم يستطع السيطرة على الموقف ، حيث اندلعت في وجهه الثورات ، فما كان من مروان إلا أن زحف على دمشق ـ وكان إبراهيم قد هرب منها ـ وأخذ البيعة لنفسه وذلك في شهر صفر سنة ١٢٧هـ ، وقد ظل في الخلافة حتى قتل في شهر ذي الحجة سنة ١٣٢هـ على أيدي العباسيين ، فكانت مدة خلافته خمس سنين ، وعشرة أشهر ، وستة عشر يوما .

انظر في ترجمة مروان وأخباره : تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٧٢ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٣١١ ، ٣١٢ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ١٠ ص ٤٦ .

(١) عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، أمير مرواني أموي ، ولي إمرة مكة والمدينة سنة ١٢٩هـ لمروان بن محمد ، وله خبر مع الخوارج الحرورية أيام فتنة المختار بن عوف (أبي حمزة) بمكة ، وفر منهم عبد الواحد إلى المدينة ، فعيّره أحد الشعراء بأبيات ، منها :

ترك الإمـارة والحلائل هاربا ومضى يخبط كالبعير الشارد

ولما ظفر العباسيون بالأمويين ، كان عبد الواحد في جملة من قتلهم صالح بن علي العباسي سنة ١٣٢هـ .

انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٤٣٠ ، والزركلي : الأعلام ، مجلد ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣٤٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٣٧٦ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٣٧٦ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ١٠ ص ٣٥ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ٢٠٨ .

* وفي سنة ثلاثين ومائة تولاها محمد بن عبد الملك بن مروان [١] أمير الحرمين والطائف [٢] .

* وفي سنة إحدى وثلاثين ومائة تولاها آخر أمير من قبل الخلفاء الأمويين وهو الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي [٣] أمير

---

(١) محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ، أمير من بني أمية في الشام ، له رواية للحديث ، أخذ عنه الأوزاعي وآخرون ، ولي الديار المصرية لأخيه هشام ، وقال لهشام : أنا أليها على أنك إن أمرتني بخلاف الحق تركتها . فقال : لك ذلك . فوليها سنة ١٥٥هـ ، وأقام فيها شهراً ، فأتاه كتاب لم يعجبه ، فرفض العمل وانصرف إلى الأردن ، وكان منزله بها في قرية يقال لها « ريسون » ولما قتل الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك والي دمشق من قبل مروان بن محمد سنة ١٣٢هـ ، استقل محمد بالأردن ، وظفر به عبد الله بن علي العباسي الهاشمي قرب الرملة بفلسطين ، فقتله سنة ١٣٢هـ .

انظر : الذهبي : تاريخ الإسلام جـ ٥ ص ٢٩٧ ، وابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣٢٣ ، والزركلي : الأعلام ، مجلد ٦ ص ٢٤٨ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٤٠٢ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٣٩٣ ، والبداية والنهاية في التاريخ جـ ١٠ ص ٣٨ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ٢٠٨ . أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو عبد الملك بن محمد بن مروان (تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٣٤٨) . والراجح أنه محمد بن عبد الملك بن مروان ، حيث أجمع على ذكره باقي المؤرخين .

(٣) الوليد بن عروة بن محمد بن عطية بن عروة السعدي ، ولي مكة والمدينة والطائف من قبل عمه عبد الملك بن محمد السعدني ، الذي كان أميرا على تلك البلاد ، ثم سافر إلى اليمن سنة ١٣٠هـ لمقاتلة الخوارج بها ، ولما قتل عبد الملك في تلك السنة أقر الخليفة مروان بن محمد بن الوليد بن عروة على إمارته لتلك البلاد ، فظل أميراً عليها حتى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية . ==

المدينة [١] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدولة الأموية في أواخر عهدها قد بدأت في الانهيار ، في الوقت الذي بدأت فيه الدعوة العباسية في الظهور والانتشار ، وقد ساعد على ذلك ظهور الفتن والانقسامات في الدولة الأموية ، وانعكس هذا الوضع المتردي على عدم ظهور قافلة الحجيج من العاصمة دمشق كما كانت ترد في فترة قوة الدولة .

* * *

--- ولما علم الوليد بن عروة بقدوم داود بن علي العبّاسي إلى مكة بعد استيلاء ابن أخيه أبي العباس السفاح على الخلافة ، هرب الوليد إلى اليمن .

راجع سيرة الوليد بن عروة وأخباره في : تاريخ خليفة بن خياط ص ٦٠٣ ، ٦١٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٤١٠ ، ٤١١ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ١٦٣ ، والعقد الثمين جـ ٧ ص ٣٩٧ وما بعدها .

(١) تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٧ ص ٤١٠ ، والكامل في التاريخ ، مجلد ٥ ص ٤٠٢ ، ودرر الفوائد المنظمة ص ٢٠٨ . أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو محمد بن عبد الملك بن عطية السعدي . والراجح ما ذكره باقي المؤرخون المذكورين .

ثانيا : كيفية اختيار أمير الحج وشروطه وواجباته

لإمارة الحج أهميتها الدينية والسياسية الكبيرة ، فصاحبها يعني بإدارة أمور الحج ، وتدبير شئونه ، وحل المشكلات التي تواجه الحجيج في هذا التجمع الإسلامي الكبير ، لذا فإن هذه الإمارة لا تسند إلا لمن هو كفء لها ، حتى يقوم عليها خير قيام ، ولا يوجد أفضل منه عند تقليده لهذه الإمارة ، فقد قال رسول الله ﷺ : « من استعمل رجلا من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ، وخان رسوله ، وخان المؤمنين »[١] .

كما يجب على ولي الأمر ألا ينساق خلف عواطفه وميوله ، فيقدم فلاناً لقرابة أو نسب ، فقد قال رسول الله ﷺ : « من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمّر عليهم أحداً محاباة ، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلاً حتى يدخل جهنم »[٢] .

وهذه الإمارة نوعان ، أحدهما : أن تكون على تسيير الحجيج ، والثاني : على إقامة الحجيج .

---

(١) الحاكم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) : المستدرك على الصحيحين في الحديث جـ ٤ ص ٩٢ ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٢) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .

١ ـ الإمارة على تسيير الحجيج :

شروط الأمير :

هي ولاية سياسية ، وزعامة تدبير ، ويشترط فيمن يتولاها عدة شروط ، هي :

أن يكون مطاعاً ، ذا رأي وشجاعة ، وهيبة وهداية ، وأن يكون موثوقا بخبرته وعلمه بأمور الحج ، وأن يكون موصوفاً بالأمانة ، لأن الحجاج أمانة في عنقه [١] ، وأن يكون موصوفا بالعدل ، حتى يعدل بين الحجيج ولا يظلمهم [٢] .

واجباته :

والذي عليه من حقوق هذه الإمارة عشرة أشياء [٣] :

الأول : أن يجمع الناس في مسيرهم ونزولهم ، حتى لا يتفرقوا ، فيخاف عليهم التَوى [٤] والتغرير .

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص ٩٤ ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٢م ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٢ ، تحقيق محمد علي الفقي ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ـ مصر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

(٢) عبد العزيز محمد سلمان : أوضح المائدة إلى أحكام المناسك ص ٢٣ ، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ .

(٣) الماوردي ، والفراء : مصدران سبق ذكرهما ص ١٩٤ ، ١١٣ .

(٤) التَوى ـ بفتح التاء المثناه ـ : الهلاك ، من « تَوَى » بوزن « رضى » : أي هلك ، وأتواه الله : أذهبه أو أهلكه . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ١ ص ٤٥٨ =

الثاني : ترتيبهم في المسير والنزول بإعطاء كل طائفة منهم مقاداً (١) ، حتى يعرف كل قوم منهم مقاده إذا سار ، ويألف مكانه إذا نزل ، فلا يتنازعون فيه ولا يضلون عنه (٢) ، وهذا الأمر الثاني هو المسمى بالتقطير ، والتعقيب ، وهو من المهام الكبار لمراعاة مصلحة الحجاج وراحتهم من الازدحام ، والاصطدام ، والشرور ، والفتن مع بعضهم البعض (٣) .

الثالث : أن يرفق بهم في السير حتى لا يعجز عنه ضعيفهم ، ولا يضل عنه منقطعهم ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « المُضْعِف أمير الرفقة » (٤) ، والمراد : من ضعفت دابته كان على القوم أن يسيروا بسيره . وعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير فيزجي (٥) الضعيف ، ويردف ويدعو له » (٦) .

= طبعة دار المعارف ـ القاهرة .

فلو سار هؤلاء الناس دون دليل ومُوَجّه لتفرقوا ، وكانوا عرضة للتيهان والهلاك المحتوم ببعدهم عن مكان الحجاج .

(١) المقاد : من الانقياد ، أي : انقدت لفلان ، والمراد أن يعرف كل واحد منهم رئيسه الذي هو تابع له ، وجماعته التي انضم إليها ، وقافلته التي يسير معها .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٤ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٣.

(٣) الجزيري : درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ص ١٠٠ .

(٤) المعروف أن « ضعف » ضده : قوة ، وضعيف ضده : قوي ، وأضعف : صيّره ضعيفا ، والمضعف : الذي دابته ضعيفة . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٤ ص ٢٥٨٩ .

(٥) يزجي ـ بالزاي والجيم ـ : يسوق الضعيف ليلحقه بالرفاق . ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ٣ ص ١٨١٥ .

(٦) رواه أبو داود بإسناد حسن ، رياض الصالحين ، أبو زكريا النووي ص ٣٧٩ .

الرابع : أن يسلك بهم أوضح الطرق وأخصبها ، ويتجنب أوعرها وأجدبها [١] ، أي يسير بهم في الطرق الواضحة المسالك ، التي لا تسبب عناءاً ومشقة للحجاج ، والتي تكون خصبة يتوفر فيها الكلأ والماء ، وبما أنه قد ندب لإمارة الحج ، فلا بـد أن يكون المندوب مُلماً بالطرق الخصبة ، والمسالك الآمنة ، فيأخذ مرافقيه بعيداً عن الطرق الوعرة والمُجدبة ، ويتجه بهم نحو أخصب الطرق ما أمكن ، وبهذا يكون قد قام بهذا الشرط خير قيام .

وعلى أمير الحج إذا سار بهم في الخصب أن يعطي الإبل حظها من الأرض ، كي ترعى في سيرها ، وإذا اضطر للسير في جدب فعليه أن يحث الناس على سرعة المسير ، وإذا ساروا في الليل عليه أن يجنب الناس طرق الدواب والهوام ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سافرتم فاعطوا الإبل حظها من الأرض ، وإذا سافرتم في الجدب فأسرعوا عليها المسير ، وبادروا بها نِقْيها ، وإذا عرستم فاجتنبوا الطريق ، فإنها طرق الدواب ، ومأوى الهوام بالليل » [٢] .

الخامس : أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت ، والمراعي إذا قلت [٣] .

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٤ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٣.

(٢) رواه مسلم . ومعنى اعطوا الإبل حظها في الأرض : أي أرفقوا بها في السير لترعى في حال سيرها ، ومعنى « نِقْيها » ـ بكسر النون وتسكين القاف وبالياء المثناه من تحت ـ : وهو كل عظم ذي مخ ، والمعنى : أسرعوا بها حتى تصلوا القصد قبل أن يذهب مخها من شدة السير . والتعريس : نزول المسافر آخر الليل مكانا للنوم والاستراحة فيه . أبو زكريا النووي ، رياض الصالحين ص ٢٧٦ ، وابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٦ ص ٤٥٣٢ - ٤٥٣٣ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٤ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٣.

فإذا انقطعت المياه من قافلة الحج ، ولم يجدوا شيئا منها ، انتدب من يثق فيهم لإحضار الماء من الوارد إذا كان الماء بعيداً عنهم ، أما إذا كان قريبا فيعرج بهم للتزود بالمياه ، وكذلك المراعي ، فيتحرى المراعي القريبة على طريقهم ، فيرتادها لترعى الإبل فتقوى على سيرها ، كما أن على أمير الحج أن يُعِدَّ الابار ، ويوفر المياه بالمنازل [1] .

السادس : أن يحرسهم إذا نزلوا ، ويحوطهم إذا رحلوا حتى لا يتخطفهم داخل [2] ، ولا يطمع فيهم متلصص [3] ، ويسأل المترددين على الدرب وأهل الخبرة على المحارس التي لا تكون طريقا للمفسدين وقطاع الطرق ، فيجهز إليها بعض الفرسان راكبين خيولهم إذا اقتضى الحال ذلك ، وإلا بسلاحهم فقط ، إلى أن يمر الحاج ويحوز ذلك المحرس [4] .

السابع : أن يكف عنهم من يصدهم عن المسير ، ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج ، بقتال إن قدر عليه ، أو يبذل مال إن أجاب الحجيج إليه ، ولا يسعه أن يجبر أحدا على بذل الخفارة [5] إن امتنع منها ، حتى

---

(١) د. ليلى عبد اللطيف ، مقدمة كتاب حسن الصفا والابتهاج للرشيدي ص ٧٤ .

(٢) الفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٣ ، وعند الماوردي : « حتى لا يتحفظهم داعر » - بالعين - ، الأحكام السلطانية ص ٩٤ ، والداغل - بالغين بعدها لام - : الذي يبغي أصحابه الشر ، يُدخل لهم الشر : أي يبغيهم الشر ، ويحسبونه يريد لهم الخير . أما الداعر : فهو الخبيث المفسد ، وجمعه : دُعَّار ، وهم قطاع الطرق. ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٢ ص ١٣٩٠ ، ١٣٧٩ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٤ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٣.

(٤) الجزيري درر الفوائد المنظمة ص ١٠٤ .

(٥) الخُفَارة والخِفارة والخَفَارة - بضم الخاء وكسرها وفتحها - : جُعل الخفير ، ==

يكون باذلاً لها عفوا ومجيبا إليها طوعاً ، فإن بذل المال على التمكين من الحج ، لا يجب إلا أن تكون الخفارة يسيرة .

وقد يعترض قافلة الحج مانع ، كقطاعي الطرق ، أو من يضمرون شراً لهؤلاء القوم أو بعضهم ، مما يتسبب في تعطيل المسير ، لذا فعلى الأمير الدفاع عنهم ، ولو تطلب الأمر القتال إذا استطاع إليه سبيلا ، فتواجد العشائر على طريق سيرهم قد يسبب قلقا ومتاعب لهؤلاء الحجاج ، فهي قبائل تحتاج للترويض والتعامل بالحسنى ، ودفعهم بالتي هي أحسن ، فإن لم يمكن دفع أذاهم باللين وجب قتالهم .

الثامن : أن يصلح بين المتشاجرين ، ويتوسط بين المتنازعين ، ولا يتعرض للحكم بينهم إجباراً ، إلا أن يفوض إليه الحكم بشرط أن يكون فقيها ، فيجوز له حينئذ أن يحكم بينهم (١) .

فإن دخلوا بلداً فيه حاكم جاز له (لأمير الحج) ولحاكم البلد أن يحكم بينهم ، فأيهما حكم نفذ حكمه ، ولو كان التنازع بين أحد الحجيج وأهل البلد لم يحكم بينهما إلا حاكم البلد (٢) .

= وخَفَرَتُه خَفْرا وخُفُوراً ، ويقال : أخفرته إذا بعثت معه خفيرا ، وخفرت الرجل : أي أجرته وحفظته ، وخفرته : إذا كنت له خفيراً ، أي حاميا وكفيلا ، وتخفرت به : إذا استمرت به ، والخفرة : الخفير الذي هو المجير ، قال الليث : خفير القوم : مجيرهم الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده ، وهو يخفر القوم خفارة . ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ٢ ص ١٠٢٩ .

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٤ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٣.

(٢) نفس المصدرين السابقين والصفحة .

وحلُّ النزاع يكون بطريق مقنع للطرفين من غير تحامل على أحد لحساب الآخر ، والعدل مطلوب في الحكم ، بل هو أساس كل شيء .

ولا شك أن وجود النزاع والمشاحنة والمشاجرة بين الأشخاص من ركب الحجيج شيء وارد ، وأمر طبيعي ، كما أن صفاء النفوس ، وتطييب الخواطر شيء محبب ومطلوب ، من شأنه خلق المودة ، وتيسير الرحلة ، فقد قال الله تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ (١) ، وقال سبحانه : ﴿ والصلح خير ... ﴾ (٢) ، وقال جل وعلا : ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ (٣) ، وقال أيضا : ﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ (٤) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتُميط (تزيل) الأذى من الطريق صدقة » (٥) .

---

(١) سورة النساء ، آية ١١٤ .

(٢) سورة النساء ، من الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأنفال ، من الآية ١ .

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٥) متفق عليه . والسُّلامي : أصله عظام الأصابع وسائر الكف ، ثم استعمل في سائر عظام البدن ومفاصله . ومعنى تعدل بينهما : تصلح بينهما بالعدل . أبو زكريا : رياض الصالحين ص ٨٢٧ ، وابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٣ =

التاسع : أن يُقَوّم زائغهم (١) ، ويؤدب جانبهم ، ولا يتجاوز التعزير إلى الحد إلاّ أن يؤذن له فيه فيستوفيه إذا كان من أهـل الاجتهاد فيه ، فإن دخلا بلداً فيه من يتولى إقامة الحدود على أهله نظر ؛ فإن كان ما آتاه المحدود ـ فعله ـ قبل دخول البلد ، فأمير الحج أولى بإقامة الحد عليه من والي البلد ، وإن كان من آتاه المحدود في البلد ، فوالي البلد أولى بإقامة الحد عليه من أمير الحج (٢) .

وقد يتفاوت الناس في الفقه والفهم ، فلا يقيم الحد إلا إنسان لديه فهم وعمق في الفقه .

العاشر : أن يراعي اتساع الوقت حتى يأمن الفوات ، ولا يلجئهم ضيقه إلى الحث في السير ، فإذا وصل إلى الميقات أمهلهم للإحرام وإقامة سننه ، فإن كان الوقت متسعاً عدل بهم إلى مكة ليخرجوا مع أهلها إلى المواقف ، وإن كان الوقت ضيقا عدل بهم عن مكة إلى عرفة ، خوفا من فواتها فيفوت الحج بها (٣) ، فإنّ زمان الوقوف بعرفة ما بين زوال الشمس من يوم عرفة إلى طلوع الفجر من يوم النحر ، فمن أدرك

= = ص ٢٠٨٣ .

(١) زائغ : من « زاغ » ، أي « قال » أو « انحرف » أو « عدل » ، يقال : زاغ عن الطريق زوغاً وزَيْغًا : عدل عنه ، كما يقال : « زاغ » في كل ما جرى في المنطق يزوغ زوغانا ، وتقول : أنت أزغته في كل ما جرى فـي المنطق ، وأنا أزيغـه أزاغة ، وزاوغته مزاوغة ، وزغت به زوغانا . والمعنى هنا : يُقَـوّم منحرفهـم . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٣ ص ١٨٩٠ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٤ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٤.

(٣) نفس المصدرين السابقين والصفحة .

الوقوف بها في شيء من هذا الزمان من ليل أو نهار ، فقد أدرك الحج [١] وإن فاته الوقوف بها حتى طلع الفجر من يوم النحر فقد فاته الحج ، ويتحلل بعمرة ، وقيل : يصير إحرامه بالفوات عمرة ، جبره يدم ، وقضاؤه في العام المقبل إن أمكن ، وفيما بعد إن تعذر عليه [٢] .

روى الإمام أحمد ، وأهل السنن أن عروة بن مضرس بن حارثة الطائي ، قال : أتيت رسول الله ﷺ بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة ، فقلت : يا رسول الله ، إني جئت من جبلي طئ ، أكللت راحلتي ، وأتعبت نفسي ، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه ، فهل لي من حج ؟ فقال رسول الله ﷺ : « من شهد صلاتنا هذه ، فوقف معنا حتى ترفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهاراً ، فقد تم حجه ، وقضى

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٥ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٤. وقد روى الإمام أحمد ، وأصحاب السنن ، وابن حيان ، والحاكم ـ وقال صحيح الإسناد ـ ، والدار قطني ، والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن يعمر ، قال : « شهدت رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفات ، وآتاه ناس من أهل نجد ، فقالوا : يا رسول الله ، كيف الحج ؟ فقال : الحج عرفة ، من جاء قبل صلاة الفجر من ليلة جمع فقد تم حجه » ، هذا لفظ الإمام أحمد ، وفي رواية لأبي داود « من أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج » ، واكتاظ الباقين نحوه ، وفي رواية للدارقطني والبيهقي : « الحج عرفة » .

(٢) قال الماوردي : وإن فاته الوقوف بعرفة حتى طلع الفجر من يوم النحر فقد فاته الحج ، وعليه إتمام ما بقي من أركانه ، وجبرانه يدم ، وقضاؤه في العام المقبل إن أمكنه ، وفيما بعده إن تعذر عليه ، ولا يصير حجه عمرة بالفوات ، ولا يتحلل بعد الفوات إلا بإحلال الحج. وقال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ : يتحلل بعمل عمرة. وقال أبو يوسف : يصير إحرامه بالفوات عمرة . (الأحكام السلطانية ص٩٥) .

تفثه » (١) .

وإذا وصل الحجيج إلى مكة ، فمن لم يكن على العود منهم - أي لم يكن على نية العود إلى بلاده بل على نية الإقامة بمكة - فقد زالت عنه ولاية الوالي على الحجيج ، فلم يكن له عليه يد ، ومن كان منهم على العود ، فهو تحت ولايته ، وملتزم أحكام طاعته (٢) .

وإذا قضى الناس حجهم ، أمهلهم الأيام التي جرت بها العادة في إنجاز علاقاتهم ، ولا يرهقهم في الخروج فيضربهم ، فإذا عاد بهم سار على طريق المدينة لزيارة مسجد الرسول ﷺ رعاية لحرمته ، وقياماً بحقوق طاعته ، وإن لم يكن ذلك من فروض الحج ، فهو من مندوبات الشرع المستحبة ، وعادات الحجيج المستحسنة (٣) .

ويسن للحاج زيارة مسجد رسول الله ﷺ ، وذلك لأفضلية الصلاة في مسجده لما روي عنه أنه قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (٤) ، وزيارة مسجد رسول الله ﷺ مستحبة في زمن الحج أو غيره لما روي عنه ﷺ أنه

---

(١) النسائي : سنن النسائي الكبرى جـ ٥ ص ٢٦٣ ، ط ١ دار الكتب العلمية . والتفث : الوسخ : يقال قضى تفثه ، أي أزال وسخه . وقال الجوهري : التفث في المناسك ما كان نحو قص الأظفار والشارب ، وحلق الرأس والعانة ، ورمي الجمار ، ونحر البدن ، وأشبه ذلك . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ١ ص ٤٣٥ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٥ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٤ .

(٣) نفس المصدرين السابقين .

(٤) صحيح مسلم جـ ٩ ص ١٦٣ ، طبعة إحياء الكتب العربية .

قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى »[1] .

وقد يجد الحاج أن من الأفضل له زيارة قبر الرسول ﷺ ، ففي ذلك المزيد من الأجر الذي جاء للحج من أجله ، واستذكار لما كان عليه رسول الله ﷺ من سيرة كريمة ، وما جاء به من هدي ورسالة خالدة ، وما كان عليه صحابته رضوان الله عليهم أجمعين من سلوك قويم ، وفي ذلك أيضا إستذكار لحياة الإسلام الأولى ، وما تميزت به من الصدق والإخلاص ، والعمل على إعلاء كلمة الله وإبلاغ رسالته للعالمين .

ثم يكون أمير الحج في عوده بهم ملتزماً فيهم من الحقوق ما التزمه في صدره حتى يصل بهم إلى البلد ، فتنقطع ولايته بالعود إليه[2] .

٢ ـ الإمارة على إقامة الحجيج :

شروط الأمير وواجباته :

أما إذا كانت الإمارة أو الولاية على إقامة الحج ، فهو فيها بمنزلة الإمام في إقام الصلاة ، فمن شروط الولاية عليها مع الشروط المعتبرة في أئمة الصلوات :

١ ـ أن يكون عالما بمناسك الحج وأحكامه ، عارفا بمواقيته[3] ،

---

(١) صحيح البخاري جـ ٢ ص ٢٢٠ ، وصحيح مسلم جـ ٩ ص ٢٦٨ ، وسنن النسائي جـ ٥ ص ٢١٤ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٥ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٥.

(٣) نفس المصدرين السابقين ص ٩٦ ، ١١٥ .

وأيامه ، فقد قال رسول الله ﷺ : « خذوا عني مناسككم » ، والمناسك هي : الطواف ، والسعي ، والوقوف بعرفة ، وغيرها من مناسك الحج ، وأنواع النسك ثلاثة : التمتع ، والإفراد ، والقران (١) .

٢ ـ ضرورة المعرفة بالمواقيت ، وهي الأمكنة التي يحرم منها الحاج ، ولا يحق له تجاوزها إلا بملابس الإحرام ، وهي خمسة مواضع :

ـ ذو الحليفة (٢) .

---

(١) التمتع : معناه أن يحرم في أشهر الحج بالعمرة فقط ، ويطوف ويسعى لها ، ثم يحلق شعره أو يقصره ، ثم يحل إحرامه ، ويلبس ثيابه العادية ، فإذا حل اليوم الثامن من ذي الحجة أحرم بالحج وحده من مكانه ، وأدى جميع أفعاله بما في ذلك الطواف والسعي .
أما الإفراد : فصفته أن يحرم بالحج في الميقات فقط ، ثم يطوف طواف القدوم ، ويبقى على إحرامه دون حلق أو تقصير إلى أن ينتهي من أفعال الحج يوم العاشر من شهر ذي الحجة ، وأما السعي فله أن يفعله بعد طواف القدوم أو يؤجله إلى ما بعد طواف الحج ، وليس عليه في هذا النسك دم .
وأما القران : فصفته أن ينوي الإحرام بالحج والعمرة معا ، أو يبدأ بالإحرام بالعمرة ثم يضيف عليها الحج قبل طوافه لها ، ويعمل القارن مثلما يعمل المفرد ، ما عدا وجوب الهدي عليه وعدم وجوبه على المفرد ، والأفضل التمتع ، لأمر رسول الله ﷺ صحابته بذلك .
راجع تفصيل ذلك في : البحوث الفقهية من فقه الحج والعمرة ، العدد التاسع ، شوال ١٤١١هـ ، ص ٩ ، والسيد سابق : فقه السنة ، المجلد الأول ص ٥٥٣ - ٥٥٤ ، مكتبة المسلم (لم يذكر أين توجد) .

(٢) ذو الحُلَيفة ـ بالتصغير والفاء ـ : موضع بينه وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، وبينه وبين مكة ٤٥٠ كيلو مترا ، ويقع في شمالها ، وهو ميقات أهل المدينة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٢ ص ٢٩٥ ، وسيد سابق : فقه السنة ، ==

- الجحفة [١] .
- قرن المنازل [٢] .
- يلملم [٣] .
- ذات عرق [٤] .

وقد قال النبي ﷺ : « هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ،

== مجلد ١ ص ٥٥٠ .

(١) الجُحْفة - بالضم ثم السكون والفاء - : موضع في الشمال الغربي من مكة بينه وبينها ٤٨٧ كيلو مترا ، وكان اسمها « مهيعة » ، ثم سميت « الجحفة » لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام ، وكانت الجحفة في فترة هذا البحث ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فإن مروا على المدينة فميقاتهم ذو الحليفة ، والجحفة قريبة من « رابغ » ، ورابغ بينها وبين مكة ٢٠٤ كيلو مترا ، وقد صارت « رابغ » ميقات أهل مصر ، والشام ، ومن يمر عليها بعد ذهاب معالم جحفة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٢ ص ١١١ ، وسيد سابق : فقه السنة ، مجلد ١ ص ٥٥٠ .

(٢) قرن المنازل : جبل شرقي مكة ، يطل على عرفات ، بينه وبين مكة ٩٤ كيلو متر، يحرم منه حجاج نجد . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٤ ص ٣٣٢ ، سيد سابق : فقه السنة ، مجلد ١ ص ٥٥٠ .

(٣) يلملم : جبل يقع جنوب مكة ، بينه وبينها ٥٤ كيلو متر ، وهو ميقات أهل اليمن . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٥ ص ٤٤١ ، وسيد سابق : فقه السنة ، مجلد ١ ص ٥٥٠ .

(٤) ذات عرق : موضع في الشمال الشرقي لمكة ، بينه وبينها ٩٤ كيلو متر ، وهو ميقات أهل العراق ، وعرق هو الجبل المشرف على ذات عرق . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٤ ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، وسيد سابق : فقه السنة ، مجلد ١ ص ٥٥٠ .

لمن أراد الحج أو العمرة » (١) ، أي أن هذه المواقيت لأهل البلاد المذكورة ولمن مر بها .

٣ ـ ضرورة المعرفة بأيام الحج المعلومات ، لقول الله تعالى : ﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ... ﴾ (٢) ، وتكون مدة ولايته مقدرة بسبعة أيام ، أولها من صلاة الظهر في اليوم السابع من ذي الحجة ، وآخرها الثالث عشر من ذي الحجة ، وهو (أي الأمير) فيما قبلها وبعدها أحد الرعايا ، وليس من الولاة ، فإذا كان مطلق الولاية على إقامة الحج ، فله إقامته في كل عام ما لم يصرف عنه ، وإن عقدت له خاصة على عام ، لم يتعداه إلى غيره إلا عن ولاية (٣) .

اختصاصات هذا الأمير :

والذي يختص بولايته ويكون نظره عليه مقصوراً ، خمسة أحكام متّفق عليها ، وسادس مُختلف فيه ، فأما الأحكام الخمسة المتفق عليها فهي :

١ ـ إشعار الناس بوقت إحرامهم والخروج إلى مشاعرهم ، ليكونوا له متبعين ، وبأفعاله مقتدين .

٢ ـ ترتيبه للمناسك على ما استقر عليه الشرع ، لأنه متبوع فيها ، فلا يقدم مؤخرا ، ولا يؤخر مقدما ، سواء كان التقديم مستحقا أو

---

(١) صحيح البخاري جـ ٢ ص ١٤٣ ، وصحيح مسلم جـ ٨ ص ٨٤ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٢٨ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٦ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٦.

مستحبا .

٣ - تُقَدَّر المواقيت بمقامه فيها ، ومسيره عنها ، كما تُقدَّر صلاة المأمومين بصلاة الإمام .

٤ - إتباعه على الأذكار المشروعة فيها ، والتأمين على أدعيته بها ، ليتبعوه في القول ، كما اتبعوه في العمل ، وليكون اجتماع أدعيتهم أفتح لأبواب الإجابة .

٥ - إمامتهم في الصلوات التي شرعت خطب الحج فيها ويجتمع الحجيج عليها ، وهي خطبتان : يوم عرفة ، ويوم النفر الأول (١) .

ويستحب له في اليوم الثامن أن يخرج من مكة ، فينزل بمنى بخيف (٢) بني كنانة ، حيث نزل رسول الله ﷺ ، ويبيت بها ، ويسير بهم من عنده - وهو اليوم التاسع - مع طلوع الشمس إلى عرفة على طريق

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٦ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٦. ويوم النفر هو اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجة .

(٢) الخَيْف - بفتح أوله وسكون ثانيه وآخرها فاء - ما انحدر من غِلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه سمي مسجد الخَيْف من منى . وقال ابن جني : أصل الخيف الاختلاف ، وذلك أنه ما انحدر من الجبل فليس شرفا ولا حضيضا ، فهو مخالف لهما ، ومنه الناس أخياف ، أي مختلفون . وقال القاضي عياض : خَيْف بني كنانة هو المحصّب ، وهو بطحاء مكة . وقيلَ : مبتدأ الأبطح ، وهو الحقيقة فيه ، لأن أصله ما انحدر من الجبل وارتفع عن المسيل . وقال الزهري : الخَيْف الوادي . وقال الحازمي : خَيْف بني كنانة بمنى ، نزله رسول الله ﷺ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٢ ص ٤١٢ .

ضَبٍّ [١] ، ويعود على طريق المأزمين [٢] ، فينزل بنمره إلى زوال الشمس إن تيسر له ذلك ، فإن لم يتيسر له ففي أي مكان من عرفة ما عدا بطن عرفة لقول رسول الله ﷺ : « عرفة كلها موقف إلا بطن عرفة » [٣] .

ومن أدرك عرفة قبل طلوع الفجر من يوم النحر ، فقد أدرك الوقوف بها لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الحج عرفات ثلاثا ، فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج » [٤] .

وعندما تزول (تغرب) الشمس ، يسير من نمره [٥] إلى مسجد إبراهيم عليه السلام بوادي عرفة [٦] ، فيخطب الخطبة الأولى من خطب

---

(١) ضَبّ ـ بالفتح ثم التشديد ـ : اسم الجبل الذي في أصله مسجد الخَيْف . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٣ ص ٤٥١ .

(٢) المأزم ـ بفتح الميم وسكون الهمزة وكسر الزاي ـ : كل طريق ضيق بين جبلين ، وموضع الحرب أيضا مأزم ، ومنه سمي الموضع الذي بين المشعر وعرفة مأزمين ، وهو المقصود هنا . ابن منظور: لسان العرب ، مجلد ١ ص ٧٤ .

(٣) سنن البيهقي جـ ٥ ص ١١٥ ، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ـ حيدر اباد ـ الهند ١٣٤٤هـ .

(٤) سنن الترمذي جـ ٥ ص ١٩٨ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٥) نَمِرَه ـ بفتح أوله وكسر ثانيه ـ : ناحية بعرفة نزل بها النبي ﷺ ، وقال عبد الله ابن أقرم : رأيته بالقاع من نمرة ، وقيل الحرم عن طريق الطائف على طرف عرفة من نمره على أحد عشر ميلا . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٥ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٦) جميع الخطب مشروعة بعد الصلاة ، إلا خطبتين : خطبة الجمعة ، وخطبة عرفة

الحج قبل الصلاة كالجمعة [1] ، يذكر فيها الناس بما يلزمهم من أركان الحج ومناسكه ، وما يحرم عليهم من محظوراته ، ثم يصلي بهم بعد الخطبة صلاتي الظهر والعصر جامعا بينهما في وقت الظهر ، ويقصر المسافرون ، ويتمها المقيمون ، اقتداءاً برسول الله ﷺ في جمعه وقصره [2] ، ثم يسير بعد فراغه منها إلى عرفة [3] ، وهي الموقف

---

(١) عن سالم بن عبد الله قال : جاء ابن عمر رضي الله عنه وأنا معه يوم عرفة حين زالت الشمس ، فصاح عند سرادق الحجاج ، فخرج وعليه ملحفة معصفرة ، فقال : ما لك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : الرواح إن كنت تريد السنة . قال : هذه الساعة ؟ قال : نعم . قال . فانظرني حتى أقبض على رأسي ثم أخرج . فنزل حتى خرج الحجاج ، فسار بيني وبين أبي ، فقال : إن كنت تريد السنة فاقصر الخطبة ، وعجل الوقوف . فجعل ينظر إلى عبد الله ، فلما رأى ذلك عبد الله قال : صدق . صحيح البخاري جـ ٢ ص ٥٩٨ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٦ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٦. والمقصود بالمقيمين : بعرفة وما حولها ، أما أهل مكة والأفاقيون فكلهم يصلون قصرا ؛ لأن هذا هو الثابت من سنة رسول الله ﷺ أما قوله ﷺ : « يا أهل مكة ، أتموا صلاتكم ، فإنا قوم سفر » ، فذلك في غزوة الفتح حين أقام بمكة ثمان عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين ، ثم يقول ذلك لأهل مكة ، كما رواه الشافعي ، وأبو داود ، والترمذي عن عمران بن حصين . راجع الأحكام السلطانية للفراء ص ١١٦ ، هامش ١ .

(٣) تقع عرفة في شرق مكة المكرمة ، وهي عبارة عن منطقة منبسطة وفسيحة من الأرض يحيط بها الجبال ، وتوجد على أطرافها صخور وهضاب ، وتعرف باسم عرفة أو عرفات ، فهما اسمان لموضع واحد ، وهناك أكثر من رواية في سبب تسميتها بذلك ، فيذكر لنا ياقوت أن سبب تسميتها يعود إلى قصة جبريل مع إبراهيم عليهما السلام ، فحينما عرّف جبريل إبراهيم عليه السلام المناسك وأوقفه بعرفة ، قال له : عرفت ؟ قال : نعم ـ فسميت عرفة . وقيل بل ==

المفروض [١] ، فيمكث بها حتى غروب شمس ذلك اليوم ، ثم يسير إلى مزدلفة [٢] في هدوء وطمأنينة كما فعل رسول الله ﷺ ، فإذا وصلها ابتدأ حال وصوله بصلاة المغرب ثلاث ركعات ، ثم صلاة العشاء جمعا وقصرا ، ويؤم الناس فيها ، وسواء وصل إليها مبكرا ، أو وصلها وقت

== سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد نزولهما من الجنة . ويقال أيضا بأن الناس يعترفون بذنوبهم فيها ، ولذلك سميت عرفة . وقيل : بل سمي بالصبر على ما يكابدون في الوصول إليها ، لأن العِرْف : الصبر . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٠٤ ، والزبيدي : تاج العروس ، مادة « عرف » ، ط ١ المطبعة الخيرية - الجمالية - مصر .

(١) حد عرفة : ما جاوز وادي عرفة الذي فيه المسجد ، وليس المسجد ، ولا وادي عرفة من عرفة ، إلا الجبال المقابلة على عرفة كلها ، فيقف منها عند الجبال الثلاثة : النبعة ، والنبيعة ، والنابت . وهي مواضع بعرفات ، فقد وقف النبي ﷺ عند النابت ، وجعل بطن ناقته إلى المحراب ، فهذا أحب المواقف أن يقف فيه الإمام ، وأينما وقف من عرفة والناس أجزأهم ، ووقوفه على راحلته ليقتدي به الناس أولى . الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٦ - ٩٧ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٧ .

(٢) تقع مزدلفة بين عرفة ومنى ، ويفصلها عن منى وادي محسر في داخل حدود حرم مكة المكرمة ، ولهذا تسمى بالمشعر الحرام ، وتعرف مزدلفة باسم جُمع - ويروى بأن تسمية مزدلفة مأخوذ من الازدلاف ، ويقال : من الاقتراب - وقيل أيضا : لازدلاف آدم وحواء بها ، أي لاجتماعهما (الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٨٠) ، ويضيف الزبيدي قوله : بأنها سميت مزدلفة لنزول الناس بها في زلفى الليل ، كما سميت جمع لاجتماع الناس بها (تاج العروس ، مادة « مزدلفة ») ، بينما يذكر ياقوت بأنها سميت مزدلفة لجمع الحجاج صلاتي المغرب والعشاء بها - معجم البلدان جـ ٥ ص ٧٣ .

صلاة العشاء ، ويجب عليه المبيت بمزدلفة إلى أن يصلي الفجر فيها [١] .

ثم يتوجه إذا سار منها إلى المشعر الحرام ، فيقف فيه يذكر الله ويحمده ، ويكبره لقوله تعالى : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ [٢] .

ثم يسير إلى منى [٣] ، فيبدأ برمي جمرة العقبة قبل الزوال بسبع حصيات ، ثم ينحر هو ومن ساق هديا من الحجيج ، ثم يحلق أو يقصر ، يفعل منها ما شاء ، والحلق أفضل من التقصير [٤] ، لأن الله تعالى قد بدأ بالحلق في قوله تعالى : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن

---

(١) الفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٩٨ . وليس المقصود بالوقوف عند المشعر القرب منه ، فأين وقف الحاج في مكان من مزدلفة أجزاه ذلك ، لقول الرسول ﷺ : « وقفت فهنا وجُمع ـ مزدلفة ـ كلها موقف » . سنن أبي داود جـ ٢ ص ١٩٣ ، وسنن الترمذي جـ ٢ ص ١٨٥ .

(٣) تقع منى في غرب مزدلفة ، ويفصلها عن مزدلفة وادي محسر ، ولقد ذكر في حدودها بأنها تبدأ من وادي محسر إلى مهبط العقبة (ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ١١٢) ، ومنى كمزدلفة من حيث وقوعها داخل حدود الحرم المكي ، ويمكن وصف منى بأنها واد صغير يضم شعاباً متعددة ، وفي الطرف الأيمن منها يقع مسجد الكبش قرب العقبة ، وعلى الطرف الأيسر من وسطها يقع مسجد الخيف ، وتوجد الجمرات الثلاث في منى ، وهي : جمرة العقبة الأولى ، والوسطى ، والصغرى . ولقد سميت منى لما يمنى فيها من الدماء ـ أي يراق ـ ، وقيل : إن آدم عليه السلام تمنى فيها الجنة (الزبيدي : تاج العروس ، مادة « منى ») .

(٤) الفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٧ .

المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ﴾ (١) ، ولما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اللهم ارحم المحلقين . قالوا (الصحابة) : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : اللهم ارحم المحلقين قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : والمقصرين » (٢)

ثم يتوجه إلى مكة فيطوف بها طواف الإفاضة ، ويسعى بعد طوافه إن لم يسع قبل عرفة ، ويجزئه سعيه قبل عرفة ، ولا يجزئه طوافه قبلها

ثم يعود إلى منى فيصلي بالناس الظهر ، وليس فيه خطبة مسنونة بعد الصلاة (٣) ، لأن الإمام يعلمهم في خطبة يوم عرفة ما يحتاجون إليه في يوم عرفة ما بقي عليهم من مناسكهم ، فلا حاجة به إلى ذلك (٤) ،

---

(١) سورة الفتح ، الآية ٢٧ .

(٢) صحيح البخاري جـ ٢ ص ٢١٣ . وقيل في سبب تكرار الدعاء للمحلقين وهو الحث عليه ، والتأكيد لندبته ؛ لأنه أبلغ في العبادة وأدل على صدق النية في التذلل لله ، لأن المقصر مبق لنفسه من الزينة ، ثم جعل للمقصرين نصيبا ، لئلا يخيب أحد من أمته من صالح دعوته . سيد سابق : فقه السنة ، المجلد ١ ص ٦٢٨ هامش ١ .

(٣) الفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٧ .

(٤) نفس المصدر السابق والصفحة . وقد ورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر ، فقال : « يا أيها الناس ، أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام . قال : فأي بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام . قال : فأي شهر هذا ؟ قالوا : شهر حرام . قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا . فأعادها مرارا ، ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلّغت » ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : فوالذي ==

ويبيت بمنى ليلة ليرمي من غدها ـ وهـو يوم النفـر الحادي عشر بعد الزوال ـ الجمار الثلاث بإحدى وعشرين حصاة ، كل جمرة سبع ، ويبيت بها ليلته الثانية ، ويرمي من غدها الجمار الثلاث ، ثم يخطب بعد صلاة الظهر الخطبة الثانية ، وهي آخر الخطب المشروعة في الحج [١] ، ويعلم الناس أن لهم في الحـج نفرين ، خيرهم الله تعالـى فيهما بقولـه : ﴿ واذكـروا الله فـي أيام معدودات ، فمن تعجل فـي يومـين فـلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴾ [٢] ، ويعلمهم أن من نفر من منى قبل غروب الشمس فقد سقط عنه المبيت بها ، ورمى الجمار من غده ، ومن أقام بها حتى غربت الشمس لزمه المبيت بها والرمي من غده [٣] .

وليس في اليوم السابع من العشر خطبة ، لأنه لم يشرع فيه نسك من مناسك الحج ، فلم يشرع فيه خطبة كليلة اليوم الأخير من أيام التشريق ، ولا يلزم عليه عرفة ، ويوم النفر الأول ؛ لأنه شرع فيه النسك ، ولا في يوم النحر خطبة ؛ لأن الإمام يعلمهم في خطبة يوم عرفة ما يحتاجون إليه في الغد ، وهو النفر الثاني ، لم يحتج إلى إعادة الخطبة فيه .

وليس لهذا الإمام ـ أمير الحج ـ بحكم ولايته أن ينفر في النفر

== نفسي بيده إنها لوصية إلى أمته ، فليبلغ الشاهد الغائب ، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . صحيح البخاري جـ ٢ ص ٢٦٥ .

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٧ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٧.

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٠٣ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٧ - ٩٨ ، والفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٧ - ١١٨ .

الأول ، ويقيم بمنى ليبيت بها ، وينفر في النفر الثاني من غده من يوم الحلاق ، وهو الثالث عشر بعد رمي الجمار الثلاث ؛ لأنه متبوع ، فلا ينفر إلا بعد استكمال المناسك ، فإذا استقر حكم النفر الثاني انقضت ولايته ، وأدى ما لزمه .

هذا فيما يختص بالأحكام الخمسة التي تتعلق بولاية أمير الحج والمتفق عليها . أما الحكم الخامس المختلف عليه فيشمل ثلاثة أشياء :

أحدها : إن فعل أحد الحجيج ما يقتضي تعزيره أو يوجب حداً ، فينظر - أمير الحج - فإن كان مما لا تعلق له بالحج لم يكن له تعزيره ولا حده ، وإن كان مما يتعلق بالحج فله تعزيره زجرا وتأديبا .

وأما الحد فليس له إقامته ، لأنه خارج عن أفعال الحج ، وقد قيل له ذلك لأنه من أحكام الحج .

الثاني : أنه لا يجوز له أن يحكم بين الحجيج فيما يتنازعونه من غير أحكام الحج ، فأما حكمه بينهم فيما يتنازعونه من أحكام الحج ، كالزوجين إذا تنازعا في إيجاب الكفارة للوطء ومؤنة القضاء ، فهو على ما ذكر من الاحتمال الثالث .

الثالث : أن يأتي أحد الحجيج بما يوجب الفدية ، فله أن يخيّره بوجوبها ، ويأمره بإخراجها ، وهل يحق إلزامه لها ، ويصير خصماً له في المطالبة .

ويجوز لأمير الحج أن يفتي من استفتاه إن كان فقيها ، وإن لم يجز له أن يحكم ، وليس له أن ينكر عليهم ما يسوغ فعله إلا ما يخاف أن

يجعله الجاهل قدوة فيه .

فقد أنكر عمر بن الخطاب ﷺ على طلحة لبس المضرج [١] في الحج ، وقال : « أخاف أن يقتدي بك الجاهل » [٢] .

وليس لأمير الحج أن يحمل الناس في المناسك على مذهبه ، ولو أقام للناس الحج - وهو حلال غير محرم - كره له ذلك ، وصح الحج معه بخلاف الصلاة ، التي لا يصح أن يؤمهم فيها وهو غير مصلي لها .

ولو قصد الناس في الحج التقدم على أميرهم فيه أو التأخر فيه جاز وإن كانت مخالفة المتبوع مكروهة . ولو قصدوا مخالفته في الصلاة فسدت عليهم ، لارتباط صلاة المأموم بصلاة الإمام ، وانفصال حج الناس عن حج الإمام [٣] .

ونستنتج مما سبق أن أمير الحج ينبغي أن يكون على علم تام بأمور الحج وجميع مناسكه ، لأنه مسئول عن تأدية الحجاج لمناسكهم على أكمل وجه ، وأيسر سبيل .

فإن كان يجهل هذه الأمور أو بعضها فعليه أن يصحب معه عددا من العلماء ليعلموه إياها .

ولقد تبين لنا من خلال دراستنا لهذه الفترة أن بعض أمراء الحج

---

(١) الثوب المضرج هو : المصبوغ بالحمرة صبغا غير مشبع . ابن منظور : لسان العرب مجلد ٤ ص ٢٥٧٠ .

(٢) الفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٨ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٩٨ ، الفراء : الأحكام السلطانية ص ١١٩.

في العصر الأموي كانوا يصحبون معهم العلماء ، ليعلمونهم مناسك الحج ، ويكتبون لهم سننه ، بل إن بعض الخلفاء الأمويين كانوا يصحبون معهم أثناء خروجهم للحج عدداً من العلماء والشعراء ، ليقدموا لهم النصيحة والإرشاد [١] .

فعندما تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) ، وتولى إمارة الحج بنفسه في سنة سبع وتسعين للهجرة ، اصطحب معه العلماء والشعراء ، واجتمع في المدينة بعلمائها حيث قدموا له النصيحة [٢] ، كما اجتمع بعلماء مكة أيضاً [٣] .

وفي سنة تسع عشرة ومائة للهجرة بعث الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) ابنه أبا شاكر مسلمة أميراً على الحج ، وأرسل معه محمد بن شهاب الزهري [٤] ، ليعلمه مناسك الحج ، وقد أظهر

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٩٨ ، دار صادر ـ بيروت .

(٢) كان من هؤلاء العلماء : محمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) ، ورجاء بن حيوة الكندي (ت ١١٢هـ) ، وابن أبي حازم سلمة بن دينار .

(٣) من هؤلاء العلماء : القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وخارجة بن زيد ، وأبو بكر بن حزم ، وطاووس بن كيسان اليماني الذي قابله الخليفة سليمان بالمسجد الحرام . ابن قتيبة : الإمامة والسياسة جـ ٢ ص ٨٧ - ٨٨ ، تحقيق د. طه الزيني ، مؤسسة الحلبي وشركاه ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧م ، وتاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٩٨ ، والخطيب البغدادي : تاريخ بغداد جـ ١١ ص ١٨٥ - ١٨٦ ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

(٤) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب ، الإمام العالم حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري المدني ، نزيل الشام ، روى عن ابن عمر ، وجابر بن عبد الله ، ويحتمل أن يكون سمع =

مسلمة النسك والوقار ، وقسم بمكة المكرمة والمدينة المنورة أموالاً كثيرة [1] .

* * *

= منهما ، كما روى عنه الكثير ، كان ثقة ، كثير الحديث ، اختلف في سنة ولادته ووفاته ، فقيل ولد سنة ٥١هـ ، وقيل سنة ٥٦هـ ، وقيل سنة ٥٨هـ . أما وفاته فقيل في سنة ١٢٣هـ ، وقيل سنة ١٢٤هـ ، وقيل سنة ١٢٥هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٣٩٥ ، ط ١ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد - الدكن بالهند ١٣٢٥هـ ، وابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٤٩ - ٣٥٣.

(١) ابن خياط . تاريخ ابن خياط ص ٣٤٩ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٢١٤ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٣٣٢ وما بعدها .

الفصل الثاني

طرق الحج إلى مكة المكرمة ومظاهر الاهتمام بها في العصر الأموي

أولا : طريق الحج الشامي .

ثانيا : طريق الحج المصري .

ثالثا : طريق الحج العراقي .

رابعا : طريق الحج اليمني .

الفصل الثاني

طرق الحج إلى مكة المكرمة ومظاهر الاهتمام بها في العصر الأموي

بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وانتشر الإسلام بين شعوب أمصارها ، في آسيا ، وأفريقيا ، والأندلس ، أصبح يفد إلى مكة كل عام أعداد كبيرة من المسلمين من مختلف الشعوب لأداء فريضة الحج .

وكانت ركبان الحج من الأمصار الإسلامية في اتجاهها إلى مكة المكرمة تسلك أربعة طرق رئيسية ، تشق شبه الجزيرة العربية من شرقها ، وشمالها ، وجنوبها ، وهذه الطرق هي نفسها - على وجه التقريب - طرق التجارة القديمة ، التي كانت معروفة عند العرب في العصر الجاهلي ، ثم عرفت في الإسلام بـ « طرق الحج » .

وسوف أتحدث هنا عن وصف هذه الطرق بالتفصيل ، وما قُدِّم فيها من خدمات للحجاج في العصر الأموي .

أولاً : طريق الحج الشامي :

يبدأ هذا الطريق من مدينة دمشق ، حيث كان الحجاج يتجمعون في هذه المدينة من جميع المدن الشامية ، ثم ينطلقون منها بقيادة أمير الحج متجهين إلى مكان يسمى « الكُسوة » (١) ، وهي قرية تكثر فيها الأنهار ،

---

(١) الكُسْوة - بضم الكاف وتسكين السين - : أول قرية تنزل بها القوافل إذا خرجت من دمشق ، وسميت بذلك لأن قبيلة غسَّان قتلت بها رسل ملك الروم لما أتوا -

فيتزودون منها بالمياه (١) ، ثم يسيرون بعد ذلك إلى مكان يسمى « الصنمين » ، وهي قرية من أعمال دمشق في أوائل حوران (٢) ، وتبعد عن دمشق بمقدار مرحلتين (٣)(٤) .

ومن الصنمين تمضي قافلة الحج إلى درعا بعد ثلاث مراحل من دمشق ، وهي قرية صغيرة غنية بموارد المياه ، فيقيم فيها الحجاج يومين(٥)،

= إليهم لأخذ الجزية منهم ، واقتسمت كسوتهم . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٦١ ، دار صادر - بيروت ١٩٩٥م .

(١) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٣ .

(٢) حَوْران - بالفتح - : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار ، وما زالت منازل العرب وذكرها في أشعارهم كثيرة ، وعاصمتها بصرى ، وقد نسب إليها قوم من أهل العلم ، منهم إبراهيم بن أيوب الشامي الحوراني الزاهد ، وكان من الصالحين ، روى عن الوليد بن مسلم ، ومضاء بن عيسى ، وغيرهما . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٢ ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٣) المرحلة : واحدة المراحل . يقال : بيني وبين كذا مرحلة ، أو مرحلتان ، والمرحلة : المنزلة يرتحل منها ، وما بين المنزلتين مرحلة ، والمرحلة تساوي ٣٧,٥ كم تقريبا . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٣ ص ١٦١١ .

(٤) الحربي : المناسك ص ٦٥٣ ، تحقيق حمد الجاسر ، مطبعة المثنى - بيروت ١٣٨٩هـ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٣١ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٣ ، وسيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ١٨٤ ، سلسلة الكتاب الجامعي ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(٥) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٣ ، وتوجد « درعا » قرب دائرة عرض ٣٢ - ٣٧° شمالا ، وخط طول ٦ - ٣٦° شرقا ، وهي جزء من إقليم =

ثم يرحلون إلى « بصرى » ، وهي قرية مشهورة عند العرب منذ القدم ، وقد مر بها القائد خالد بن الوليد حينما اتجه من العراق لمدد أهل الشام [١] .

وبعد أن تمكث قافلة الحجيج في « بُصرى » ثلاثة أيام ، تمضي في طريقها إلى مكان يسمى « الزرقاء » [٢] حيث يقيم الحجاج فيها يوماً أو يومين طلباً للراحة لهم ولدوابهم [٣] .

ومن الزرقاء تتجه قافلة الحجيج إلى مكان يسمى « زيزاء » [٤] ، فيقيمون فيها ثلاثة أيام أو أربعة ثم يرحلون عنها بعد أن يتزودوا بالماء والطعام ، متجهين إلى « قلعة الكرك » [٥] التي تكثر فيها الأودية ، كما

= حوران ، ويربطها طريق بجبل العرب ، وتبعد عن دمشق ١٢٣كم بالطريق الحديدي . سيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ١٨٥ .

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٤٤١ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٤٠٩ ، دار صادر - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٢) تقع « الزرقاء » إلى الشمال من عُمان ، وتبعد عنها بحوالي ١٢كم ، بينما تبعد عن دمشق بمقدار ٢٠٣كم . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٣٧ ، وسيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية ص ١٨٥ .

(٣) الحربي : المناسك ص ٦٥٣ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٤ .

(٤) زيزاء : قرية كبيرة من قرى البلقاء ، يطؤها الحاج ، ويقام فيها سوق ، وفيها بركة عظيمة . وأصل « زيزاء » في اللغة : المكان المرتفع . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٤ ، والزبيدي : تاج العروس ، مادة « زيزا » .

(٥) الكَرَك - بفتح أوله وثانيه وكاف أخرى - : كلمة أعجمية ، وهي اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم =

توجد فيها بعض الآبار [١] .

ثم تسير قافلة الحجيج بعد ذلك حتى تصل إلى « الحسا » ، فيرد الحجاج ماءها [٢] ، ثم يرحلون منها إلى « معان » ، وهي مدينة قديمة معروفة عند العرب منذ العصر الجاهلي ، وتقع في طرف بادية الشام تجاه الحجاز من نواحي البلقاء [٣] ، وهي عند الحجاج أول الحجاز وآخره ، فمنها يتزودون بما يلزمهم ، ويلزم دوابهم من العلوفة والمؤن والماء في الذهاب إلى الحرمين الشريفين والعودة منها ، كما يرجع منها مودع الحُجّاج ، وبها عين عذبة ، وقصر [٤] .

= وبيت المقدس ، وهي على حافة جبل عال تحيط به أودية . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٥٢ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٤ .

(١) نفس المصدرين الأخيرين.

(٢) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٥ ، وتقع « الحسا » بين الكرك وبين معان ، وتبعد عن جنوبي عمان بحوالي ١٢٤ كم ، وعن العقبة بحوالي ١٧٠ كم ، وتوجد قرب دائرة عرض ٥٠ - ٣٠° شمالا ، وخطوط طول ٥٨ - ٣٥° شرقا علي وادي الحسا . سيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ١٩٠ .

(٣) البلقاء : كورة من أعمال دمشق ، بين الشام ووادي القرى ، عاصمتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ، ومزارع واسعة ، ويضرب بها المثل في جودة حنطتها ، وسميت البلقاء لأن « بالق » من بني عمان بن لوط عليه السلام عمرها . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٤٨٩ .

(٤) الحربي : المناسك ص ٦٥٣ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ١٥٣، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٥ ، وسيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ١٩٠ ، ١٩٢ .

ومن مدينة « معان » تمضي قافلة الحجيج حتى تصل إلى العقبة المعروفة بـ « عقبة الصوان » ، وهي عديمة الماء ، ولذا يصعب على الحجاج الإقامة فيها (١) ، فيرحلون عنها إلى « ذات الحاج » (٢) ، حيث يتزودون من مائها العذب ، ثم يرحلون بعد ذلك إلى « تبوك » التي بينها وبين المدينة المنورة إثنتا عشرة مرحلة ، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة ، فهي تعتبر نصف طريق الحج الشامي ، وبها عيون كثيرة للمياه ، ونخل ، فمن هنا تأتي أهميتها لقافلة الحج الشامي لتوسطها الطريق تقريبا ، كما أن الحجاج يتزودون منها بكل ما يريدونه لتكملة المسير إلى الحرمين الشريفين (٣) .

ثم تتجه قافلة الحج بعد ذلك إلى « العلا » (٤) ، التي تشتهر بكثرة

---

(١) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٥ .

(٢) يقال : ذات الحاج وذات حج ، وهي محطة على طريق الحج الشامي ، وبها قلعة وبرك ماء ، وتبعد عن تبوك بحوالي ٨٤ كم ، وتوجد ذات الحاج قرب دائرة عرض ٣ - ٢٩° شمالا ، وخط ١٠ - ٣٦° شرقا ، وقد هُجرت أخيراً لتحول الطريق عنها إلى حالة عمار ، وبينها وبين عقبة الصوان مرحلتين . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٠٤ ، والجزيري : درر الفائد المنظمة ص ٤٥٦ ، وسيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ١٩٦ .

(٣) ابن خردانبة : المسالك والممالك ص ٢٥٠ ، وابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ١٨٣ ، ليدن ١٨٩١م ، والاصطخري : المسالك ص ٢٤ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٤ - ١٥ ، والفيروزآبادي : المغانم المطابة في معالم طابة ص ٧٢ - ٧٣ ، تحقيق حمد الجاسر ، ط ١ ، منشورات دار اليمامة ١٣٨٩هـ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٦ ، وسيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية ص ١٩٧ - ٢٠١ .

(٤) العُلا : اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام ، نزله رسول الله =

مياهها ، وزرعها ، ونخيلها ، وبعد إقامتهم فيها يومين أو ثلاثة يتزودون منها بالماء [١] ، ثم يغادرونها إلى « الهُدَيّة » [٢] ، ولا يقيمون فيها فترة طويلة لرداءة مائها [٣] ، ثم يرحلون منها إلى « عيون حمزة » [٤] ، حيث يستعدون لدخول المدينة المنورة ، فيتمتعون بالزيارة ، ويقيمون في المدينة عشرة أيام ، ثم يخرجون منها متجهين إلى ذي الحليفة ، ميقات أهل الشام بينها وبين المدينة ستة أميال [٥] ، ثم يتجه الحجاج بعد ذلك إلى وادي الصفراء [٦] ، ويشقون هذا الوادي مرتحلين إلى بدر [٧] ، حيث يلتقون

== ﷺ وهو في طريقه إلى تبوك ، وهي منطقة غنية بمياهها العذبة ، ووسطها واحة خضراء تحيط بها المرتفعات من الشرق والغرب ، وتوجد العلا قرب دائرة عرض ٣٨ - ٢٦° شمالا ، وخط طول ٥٥ - ٣٧° شرقا . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٤٤ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٧ - ٤٥٨ ، وسيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ٢٠٦ .

(١) نفس المرجعين الأخيرين والصفحات .

(٢) الهُدَيّة ـ بالتصغير ـ : موضع حوالي اليمامة ، من مياه أبي بكر بن كلاب الذئبة ، وهي في رمل وحذاؤها ماءه ، يقال لها « الهُدَيّة » ، وينسب ذلك الرمل إليها فيقال : رمل الهُدَيّة . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٩٦ .

(٣) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٤) عيون حمزة : تقع على بعد خمس مراحل من الهُدية ، وهذه المسافة التي بينها شاقة ، هلك فيها الحجاج في سنين كثيرة لمرورهم فيها بمواضع مشهورة بالعطب ، منها : العقبة السوداء ، ووادي العظام ، وأرض النخلتين . الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٩ .

(٥) الجزيري ، المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٦) بين وادي الصفراء وبين ذي الحليفة ثلاث مراحل . نفس المرجع السابق ص ٤٦ .

(٧) بَدْر ـ بالفتح ثم السكون ـ ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء ==

مع الركب المصري ، ثم يتجهون إلى مكة [١] .

خدمات الحجاج على طريق الحج الشامي :

لم يهتم خلفاء الدولة الأموية الأول بطرق الحج ، ولم يقدموا للحجاج أي خدمات فيها ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الدولة الأموية منذ تأسيسها قد انشغلت بالفتن الداخلية التي كان منشؤها الشيعة والخوارج ، والزيدية ، كما أن خلفاء هذه الدولة قد ركزوا جهودهم في بداية إقامة دولتهم في الفتوح الإسلامية ، وتنظيم أمور الدولة .

وقد بدأ اهتمام الأمويين بطريق الحج الشامي في سنة ٧٩هـ في خلافة عبد الملك بن مروان (٧٤ - ٨٦هـ) ، بسبب الأمطار التي ألحقت ضرراً بالحجاج ، وبالأعراب القاطنين في القرى المجاورة لمكة ، حيث أرسل هذا الخليفة إلى عامله على مكة في ذلك الوقت [٢] أموالا كثيرة ، وأمره أن يوزعها على كل من تضرر من جراء هذه الأمطار [٣] .

= بينه وبين الجار ـ وهو ساحل البحر ـ لبلة ، وفيه وقعت غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(١) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٠ .

(٢) اختلف في اسم عامل مكة في هذا العام ، فذكر خليفة بن خياط أنه نافع بن علقمة بن صفوان ، بينما يذكر الأزرقي أنه كان عبد الله بن سفيان المخزومي ، وقيل الحارث بن خالد المخزومي . ابن خياط : تاريخ ص ٢٩٣ ، والأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٦٩ ، والفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٧١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٤٥٣ ، ود. سليمان عبد الغني المالكي : مقال طريق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الرابع الهجري ، مجلة الداره ، العدد الأول ، السنة العاشرة ، شوال ١٤٠٤هـ =

وفي سنة ٩١هـ حج بالناس الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦هـ) ، فخرج من دمشق ، واهتم بطريق الحج الشامي ، وكان يوزع الأموال على القبائل التي تقطن على هذا الطريق ، كما وزع دقيقا على سكان القرى الواقعة عليه ، وأمر بحفر بعض الآبار .

وهو بذلك يعتبر أول من حفر آبار المياه في طريق الشام الحرمين الشريفين [١] .

وفي سنة ٩٧هـ حج بالناس الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ – ٩٩هـ) ، وقد أمر من معه بتوزيع الطعام على الحجاج ، ويقال إن هذا الطعام الذي وُزِّع كان محمولا على سبعمائة بعير قدمت في صحبة الخليفة من دمشق [٢] .

كذلك أمر الخليفة سليمان بعمل سقاية وبركة بالجُرْف [٣] على طريق المدينة الشام ، يعسكر بها الخارج من المدينة إلى الشام أو العكس ،

== ص ١٠ – ١٣ .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٤٠ ، وابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، طبع مدينة ليدن بريل ١٣٠٢هـ ص ١٠٦ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ١٠٩ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٥٢٩ .

(٣) الجُرف ـ بالضم ثم السكون ـ : وهذا ما تجرفه السيول فأكلته من الأرض ، وقيل الجُرف : عرض الجبل الأملس ، وقيل : جُرف الوادي ، وهو موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة نحو الشام ، وكانت به أموال لعمر بن الخطاب ﷺ ولأهل المدينة ، وسمي بذلك لأن « تُبعاً » ملك حمير مرّ به ، فقال : هذا جرف الأرض ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٢٨ .

وكذلك من خرج إلى مصر ، أو قدم منها على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة في الجهة الشمالية [١] .

وبعد أن بويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة (٩٩ - ١٠١هـ) ، وفي سنة ٩٩هـ اهتم بطريق الحج الشامي ، فحفرت عدة آبار في مناطق مختلفة على طول هذا الطريق [٢] .

ومنذ سنة ١٠٠هـ وحتى نهاية العصر الأموي لم تذكر لنا المصادر أي خدمات قدمت للحجاج على طول هذا الطريق .

ثانياً : طريق الحج المصري :

يعتبر هذا الطريق ذو أهمية كبيرة ، حيث كانت تسلكه قوافل حجاج الأندلس ، والمغرب الأقصى ، والسودان ، والقارة الأفريقية بصفة عامة ، والشمال الأفريقي بصفة خاصة ، بالإضافة إلى قوافل الحجاج الفلسطينيين ، وأهل الثغور [٣][٤] .

---

(١) الحربي : المناسك ص ٤٠٩ ، والسمهودي : وفاء الوفا جـ ٤ ص ١٧٥ ، دار إحياء التراث ـ بيروت ١٩٧٣م .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٥٥٣ .

(٣) الثغور : مفرده ثَغر ـ بالفتح ثم السكون وراء ـ ، كل موضع قريب من أرض العدو ، ومنه ثغر الشام . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٤) كان الحجاج يسيرون من المغرب الأقصى إلى مصر من بداية شهر المحرم ، فيستغرقون في سفرهم واستراحتهم معظم السنة ، حتى يدركوا أيام الحج ، وذلك لأن المسافة من المغرب الأقصى إلى مصر تقدر بنحو مائة وثمانين مرحلة . الاصطخري : المسالك ص ١٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٧ ص ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ==

ويبدأ هذا الطريق من مدينة الفسطاط ، حيث يتجمع الحجاج من النواحي المذكورة ، ثم يتجهون إلى مكان يسمى « جب عميرة »[(١)] ، ثم

== والورثيلاني : نزهة الأبصار في فضل علم التاريخ والأخبار (المشهور بالرحلة الورثيلانية) ص ٥ ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٤٠هـ - ١٩٧٤م ، والبتنوني : الرحلة الحجازية ص ٢٧ - ٢٨ ، ط ٣ ، مكتبة المعارف - الطائف (بدون تاريخ) ، د. ليلى عبد اللطيف : مقدمة حسن الصفا والابتهاج للرشيدي ص ٣٢ .

فيخرجون على شكل قوافل وجماعات في أثناء توجههم إلى الفسطاط ، نقطة انطلاقهم . اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٥٧ ، دار إحياء التراث العربي .

وكان ينادى للحج بديار مصر في شهر رجب ، وهو قياس ندائه عليه الصلاة والسلام ، أو ذي القعدة ، لأن مسافة الحج من المدينة عشرة أيام ، فقدم النداء بثلاثة أمثالها ، ومسافة الحج في البر من مصر أربعون يوما ، فقدم النداء بثلاثة أيام ، فكانت الجملة من أول رجب إلى انقضاء عشر من ذي الحجة خمسة أشهر وعشرة أيام ، وكذلك كان يفعل بدمشق . المقريزي : الذهب المسبوك ص ١٩ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥م .

(١) أطلق عليه فيما بعد - في عهد المقريزي المتوفي سنة ٨٤٥هـ - مسمى « بركة الحاج » ، وينسب هذا الجب إلى عميرة التجيبي ، ويبعد عن القاهرة بمقدار بريد من الجهة البحرية ، والبريد يساوي فرسخين ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل ثلاثة آلاف ذراع ، أي حوالي كيلو مترين . ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٤٩، ليدن ١٨٨٩م ، واليعقوبي : البلدان ص ٣٤٠ ، الحربي : المناسك ص ١٤٩ ، وابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ١٨٣ ، ليدن ١٨٩١م ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٠٠ ، والمقريزي : الخطط جـ ٢ ص ١٦٣ ، دار صادر - بيروت ، وابن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص ١١٨ ، باريس ١٨٩٤م ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٤٩، وسيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ١٠٤ - ١٠٥ .

يرحلون منه إلى السويس ، ومنها إلى نخل سيناء [١] ، وهي قرية وصفها الشاعر المتنبي بقوله :

ومرت بنخل وفي ركبها ‏ ‏ ‏ عـن العالمـين وعنه غنـى [٢]

وهذه القرية هي منازل لبني مرة بن عوف ، ويوجد بها آبار وبرك من الماء يستقي منها الحجاج [٣] ، ثم يرحل الحجاج إلى أيله (العقبة) ، وتقع على ساحل القلزم ، وكان الحجاج يقيمون فيها يومين غالبا لوجود أسواق قديمة بها ، ويتوفر فيها المأكل والمشرب ، كما يوجد فيها مساجد ، ومنها يحمل الحجاج ما يحتاجون إليه من مؤن وعلوفة ، ومنها يفترق الطريق إلى اتجاهين : الطريق الداخلي الذي يلتقي بطريق الشام المدينة المنورة بوادي القرى ، والطريق الساحلي المتجه إلى مكة المكرمة [٤] .

ومن أيلة يرحل الركب إلى مدينة « حقل » [٥] التي تقع على

---

(١) الجزيري : درر الفوائد ص ٤٤٩ .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني جـ١٧ ص٦٣٤٣ ، دار الشعب ـ مصر ١٩٧٠م.

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٧٤ .

(٤) ابن خرداذبة : المسالك ص ١٥٠ ، واليعقوبي : البلدان ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، وابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ١٨٣ ، والاصطخري : المسالك ص ٣٠ ، وياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٩٢ ، والمقريزي : الخطط جـ ١ ص ١٨٤، والسيوطي : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣١٠ ، والجزيري : درر الفوائد ص ٤٤٩ ، وسيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية ص ١١٨ - ١٢٠ .

(٥) حقل : قرية تقع على ساحل بحر القلزم ، وتبعد عن مدينة « أيلة » بستة عشر ميلا ، ونسب إليها أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين الحقلي ، مولى نافع مولى عثمان بن عفان ﷺ المتوفي سنة ٢٢٤هـ . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٧٨ .

ساحل بحر القلزم أيضا ، وبها ماء عذب [١] ، ثم يرحلون بعد ذلك متجهين إلى مدين [٢] ، وبها ماء عين مفارة ، وتوجد بها آثار قديمة لنبي الله شعيب عليه السلام ، ويقيم الحجاج بهذه المدينة ، ويتزودون بمائها [٣] ثم يرحلون إلى عينونا [٤] - عيون القصب - ، وهو منزل به عيون كثيرة ، ونخل ، وفي بعض الأحيان تضعف منابع هذه العيون بسبب قلة الأمطار التي تسقط على شمال الجزيرة ، وقد اشتهرت هذه المنطقة بزراعة نبات القصب [٥] .

ومن عيون القصب يرتحل الحجاج إلى مكان يسمى « المويلحة »[٦]

---

(١) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٠ .

(٢) مَدْين - بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الياء المثناة من تحت وآخره نون - : قيل إنها تقع على بحر القلزم ، محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل ، وهي أكبر من تبوك ، وبها البئر الذي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب ، وقيل أنها تقع بين وادي القرى والشام ، وقيل تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٧٦ .

(٣) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥ .

(٤) تقع عينونا بالقرب من دائرة عرض ٥ - ٢٨° شمالا ، وخط طول ١١ - ٣٥° شرقا . اليعقوبي : البلدان ص ٣٤١ ، والحربي : المناسك ص ٦٥١ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٨٠ ، والسيوطي : حسن المحاضرة ص ٣١١ ، والجزيري : درر الفوائد ص ٤٥٠ ، وسيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية ص ١٢٦ - ١٢٨ .

(٥) الجزيري : درر الفوائد ص ٤٥٠

(٦) تقع المويلحة عند دائرة عرض ٤١ - ٢٧° شمالا ، وقرب خط طول ٢٨ - ٣٥° شرقا . اليعقوبي : البلدان ص ٢٤١، والحربي : المناسك ص ٦٥١ ، والمقدسي : أحسن التقاسيم ص ١١٠ ، والجزيري : درر الفوائد ص ٤٥٠ ، وسيد =

وماؤها مالح رديء لا يكاد يسيغه الشارب [١] ، وبعدها يرحلون إلى الأزلم [٢] ، التي تشتهر بكثرة أسواقها ، وفيها يقيم الحجاج يوماً واحداً ، ثم يرحلون إلى « الوجه » ، وهو وادي من أودية تهامه [٣] ، ثم بعد ذلك يتجه الحجاج إلى « أكرى » [٤] ، وهي منطقة وعرة ، وهناك يواجه حجاج الركب المصري صعوبة في وصولهم إلى هذه القرية لخروج ماء البحر إلى اليابس [٥] .

ومن أكرى ترحل قافلة الحجيج إلى حَوْراء [٦] التي تقع على

== عبد المجيد : الملامح الجغرافية ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(١) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥٠ .

(٢) تقع الأزلم في منتصف الطريق بين القاهرة ومكة المكرمة ، وتوجد الأزلم على وادي أزلم الذي يصب جنوب رأس أزلم على شاطئ البحر الأحمر ، وقلعة الأزلم حاليا قرب دائرة عرض ٢٧° شمالا ، وخط طول ٣ - ٣٦° شرقا . سيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية ص ١٣١ .

(٣) الوجه : الموضع المذكور هنا ليس المقصود به البلدة التي تقع على ساحل البحر الأحمر ، فهو موضع مختلف يقع إلى الشرق منه ، واتفق الجغرافيون على ذكره بلفظ « الوجه » ، واختلف معهم المقدسي وياقوت ، حيث ذكراه بلفظ « الرحبة » ولعل ذلك عائدا إلى البعد الزمني بين الجغرافيين . اليعقوبي : البلدان ص٣٤١ ، والحربي : المناسك ص ٦٥٢ ، والمقدسي : أحسن التقاسيم ص ١١٠ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٣ ، والجزيري : درر الفوائد ص ٤٥٠ ، وسيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٤) يسمى « فم الضيقة » ، والطريق إليها صعب . الجزيري : درر الفوائد ص ٤٥١ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٣٩ .

(٦) حَوْراء - بالفتح والمد - : كورة من كور مصر القبلية في آخر حدودها من جهة الحجاز ، وتقع على ساحل بحر القلزم في شرقه ، وقيل الحوراء مرفأ سفن ==

ساحل بحر القلزم ، وبها ماء يغلب عليه الملوحة ، كما يكثر فيها أشجار الأراك (١) .

ثم تتجه قافلة الحج بعد ذلك إلى نَبْط (٢) ، حيث يتزود الحجاج من مائها العذب (٣) ، ثم يرحلون إلى « ينبع » على بعد سبعة مراحل من المدينة المنورة ، ويوجد بها عيون عذبة كثيرة (٤) ، كما يوجد فيها شجر النخيل بكثرة ، حتى أصبحت تسمى « ينبع النخيل » (٥) .

وتعتبر ينبع من أهم وأحسن مناهل الحجاج على هذا الطريق ، وتوجد بها صدقات الإمام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ من عيون ونخيل والتي يستفيد منها الحجاج سواء للشرب أم للظل (٦) .

== مصر إلى المدينة . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣١٦ .

(١) ياقوت : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥١ ، وسيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص١٣٧ .

(٢) نَبْط ـ بالفتح ثم السكون ـ : شعب من شعاب هذيل . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٥٨ .

(٣) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥١ .

(٤) قيل أن اسم « ينبع » مشتق من كثرة الينابيع .

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٥٠ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥١ .

(٦) الحربي : المناسك ص ٦٥٢ ، والمقدسي : أحسن التقاسيم ص ١١٠ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٤٩ - ٤٥٠ ، والمقريزي : الذهب المسبوك ص ١٥ - ١٧ ، والسيوطي : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣١١ ، والسمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ١٠٢٦ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥١ ، وسيد عبد المجيد : الملامح الجغرافية ص ١٣٨ - ١٤٢ .

وبعد أن ينعم الحجاج بعيون « ينبع » العذبة لمدة ثلاث أيام يرحلون منها إلى بدر حيث يلتقي فيها الركب المصري بالركب الشامي [١] .

وبعد اجتماعهم في « بدر » يرحلون إلى « رابغ » [٢] ، وهي محازية للجحفة [٣] التي تعتبر ميقات أهل مصر ، فيحرمون منها ، ويخرجون مهللين مكبرين متجهين إلى « خليص » [٤] ، التي تمتاز بمائها العذب [٥] ، ثم يرحلون منها إلى عُسفان [٦] ، ثم إلى بطن

---

(١) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥١ .

(٢) رابغ ـ بعد الألف باء موحدة وآخرة غير معجمة ـ : واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة ، وقال ابن السكيت : رابغ بين الجحفة و« ودان » ، وقال في موضع آخر : « رابغ واد من دون الجحفة ، يقطعه الحاج من دون غرور » ، وقال الواقدي : هو على عشرة أميال من الجحفة فيما بينها وبين الأبواء . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ١١ .

(٣) الجُحفة ـ بالضم ثم السكون والفاء ـ : كانت قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة ، على بعد أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة ، وكان اسمها « مهيْعة » ، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها ـ أي اجتاحها ـ وحمل أهلها في بعض الأعوام . ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ١١١ .

(٤) خليص : حصن بين مكة والمدينة . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٨٧ .

(٥) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٥١ .

(٦) عُسفان ـ بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء آخره ونون ـ : سميت بذلك لعسف السيول بها ، كانت قرية جامعة بين مكة والمدينة ، وبها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وهي حد تهامة ، وقيل عسفان على مرحلتين من ==

مَـرّ (١) ، ومنها يستعدون لدخول مكة المكرمة (٢) من مكان يسمى الشُبيكة (٣).

خدمات الحجاج على طريق الحج المصري :

بدأ اهتمام الخلفاء الأمويين بهذا الطريق منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٧٤ - ٨٦هـ) ، فقد أرسل هذا الخليفة في سنة ٧٩هـ أموالا مع أمير الحج ليقوم بإنفاقها على من تضرر من ركبان الحج المصري بسبب هطول أمطار كثيرة في طريق ركبهم (٤)

وفي سنة ٩١هـ أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) بتعبيد طريق ركب الحاج المصري ، وبحفر الآبار في بعض القرى على هذا الطريق (٥) .

== مكة على طريق المدينة ، غزاها النبي ﷺ في السنة الخامسة للهجرة . ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٢٢

(١) بطن مرّ ـ بفتح الميم وتشديد الراء ـ من نواحي مكة ، سميت بذلك لمرارة مائها ، وقيل لأن جبلا في بطن الوادي بين مر ونخلة ، ويطلق عليها أيضا اسم « مرّ الزمان » . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٤٤٩ ، والسمهودي وفاء الوفا جـ ٣ ص ١٠١٩

(٢) الجزيري درر الفوائد المنظمة ص ٤٥١ .

(٣) الشُبَيكة ـ بلفظ تحقير ـ : شبكة الصائد ، واد بين مكة والزاهر على طريق التنعيم ، ومنزل من منازل حاج البصرة . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٢٤ . وقال عنه ابن منظور الشبيكة : ماء أو موضع بطريق الحجاز . لسان العرب ، مجلد ٤ ص ٢١٨٨ .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٦٨٠ .

(٥) الطبري : نفس المصدر السابق ص ٤٦٦ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ==

وفي سنة ٩٧هـ أمر الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) عامله على مصر بتوزيع الأموال على الحجاج القاصدين مكة [١] .

وفي سنة ٩٩هـ أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) بتجديد تعبيد طريق ركب الحاج المصري [٢] .

وفي سنة ١٠٤هـ أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١- ١٠٥هـ) بحفر الآبار في طريق ركب الحاج المصري [٣] .

ثم توقفت الخدمات على هذا الطريق بعد ذلك وحتى نهاية الدولة الأموية .

ثالثاً : طريق الحج العراقي :

كان هذا الطريق في العهد الأموي يبدأ من مدينة الكوفة حيث يتجمع فيها حجاج العراق وحجاج المدن والقرى التي تقع في آسيا شرق العراق ، ومن الكوفة يسيرون إلى القادسية [٤] حيث يقيمون فيها يوما ثم

== جـ ٤ ص ٥٥٤ .

(١) ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٦ ، والمالكي : د. سليمان عبد الغني المالكي : مقال طريق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة العاشرة ، شوال ١٤٠٤هـ ص ١٠ - ١٣ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٥٥٣ ، والمالكي : طرق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي ص ١٣ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢١ .

(٤) القادسية ـ بالسين ـ : أول مرحلة لمن يخرج من الكوفة إلى مكة المكرمة ، ==

يرحلون إلى العُذَيب [١] الذي يعتبر حد سواد العراق [٢] .

وعندما يخرجون من العذيب يدخلون في البادية ، لذا يحمل الحجاج مؤونتهم من المياه استعداداً لدخول مناطق الصحراء [٣] ، ثم يدخلون « الرحبة »[٤] حيث يتزودون بالماء[٥] قبل رحيلهم إلى سلمى[٦]

== وسميت القادسية بقادس هداه ، وقيل : بقديس كان قصراً ، وقال المديني : كانت القادسية تسمى قديسا ، وبها كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص قائد المسلمين ، وبين الفرس في عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة ١٦هـ ، وكان النصر للمسلمين ، وقتل رستم ـ قائد الفرس ـ ، ولم تقم للفرس بعدها قائمة ، والمسافة بين الكوفة والقادسية ٢٧كم ، وقد اتفق الجغرافيون على تحديد المسافة بخمسة عشر ميلا . ابن خردانبة : المسالك والممالك ص ١٢٥ ، وابن رسته : الأعلاق النفيسة ص ١٧٥ ، والبكري : معجم ما استعجم جـ ٢ ص ١٠٤٢ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٩١ - ٢٩٣ ، وسيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية ص ٣٦ .

(١) العُذَيب ـ تصغير العذب ـ : وهو الماء الطيب ، ويقع العذيب بين القادسية ، والمغيثة ، وبينه وبين القادسية مسافة أربعة أميال ، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ٩٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ، الجزء والصفحة .

(٣) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٦ .

(٤) الرُحْبَة ـ بضم أوله وسكون ثانيه وباء موحدة ـ : قرية بحذاء القادسية على بعد مرحلتين منها . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٣ ص ٣٢ .

(٥) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٦ .

(٦) سلمى : أحد جبلي طيّ (أجا وسلمى) ، اللذان يقعان شمال سميراء ، وبينهما وبين فدك ليلة ، وبينهما وبين خيبر خمس ليال ، وسمي « أجا » باسم رجل ، كما سميت سلمى باسم امرأة ، وهما على بعد ثلاث مراحل من المدينة المنورة =

وفيها يقيم الحجاج يوما ، ثم يرحلون منها إلى واقصة [١] ، فيتزودون من مياه آبارها بالماء قبل رحيلهم إلى خاديت [٢] ، ومن خاديت يتوجهون إلى مكان يسمى « زرُود » [٣] ، وهو بداية حدود جبال الحجاز [٤] .

وكان لزرود أهمية كبرى في العصر الجاهلي ، حيث أنها من أيام العرب المشهورة بين بني تغلب وبني يربوع [٥] .

= وإلى القـرب من سلمى واد يقال له « رك » ، ويقصده حجاج العراق لوجود الماء به ، والمسافة بين الرحبة وسلمى أربع مراحل . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٩٤ - ٩٩ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٦ .

(١) واقصة : منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وبعد العقبة ، وكانت لبني شهاب من طيء ، ويقال لها : « وقصة الحزون » ، لأن الحزون أحاطت بها من كل جانب ، ولا تزال معروفة حتى الآن داخل الأراضي العراقية ، وعلى مقربة من الحدود مع المملكة العربية السعودية ، وبينها وبين الكوفة مسيرة ثلاثة أيام . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٥٤ ، وسيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ٣٨ .

(٢) تقع خاديت على بعد أربع مراحل من واقصة . الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٦ .

(٣) زَرُود ـ بفتح الزاي ـ : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة ، وسميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحب ، وتسمى زرود العتيقة ، وهي دون الخزيمية بميل ، وفي زرود بركة وقصر ، وحوض . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٣٩ .

(٤) نفس المصدر الأخير (السابق) ص ١٣٩ .

(٥) نفس المصدر السابق ، الجزء والصفحة ، وجواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٣ ص ٣٠٢ .

وبعد زَرُود يقصد حجاج العراق مكانا يسمى « الأجفُر » [١] ، وهو على بعد مرحلتين من زرود [٢] ، ومن الأجفر يتجه حجاج العراق إلى « مرشيت » [٣] ، فيتزودون من مائها ، ثم يرحلـون إلى مكان يسمى « تخت سلمان » [٤] الذي يرتبط بيوم من أيام العرب في الجاهلية ، ويعتبر من الأيام المشهورة بين قبيلتي : وائل وبني تميم [٥] .

وبعد نزول حجاج العراق بتخت سلمان يرحلون إلى مكان يسمى « حاج » على بعد أربع مراحل من تخت سلمان [٦] ، ثم يرحلون بعد ذلك إلى البويرة [٧] ، حيث يتزودون من آبارها بالماء ، ثم يتجهون بعد

---

(١) الأجفُر ـ بضم الفاء ـ : جمع جَفَر ، وهو البئر الواسعة لم تطو ، وهو موضع بين فَيْد والخزيمية ، بينه وبين فَيْد ستة وثلاثون فرسخا نحو مكة ، وقال الزمخشري : الأجفر ماء لبني يربوع انتزعته منهم بنو خزيمة . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ١٠٢ .

(٢) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٦ .

(٣) تقدر المسافة بين مرشيت وبين الأجفر بست مراحل . المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٤) يقع تخت سلمان قرب عين صير ، ويبعد عن مكة مسيرة ليلتين ، وبه ماء قديم منذ العصر الجاهلي ، ويقال إنه سمي بذلك نسبة إلى سلمان الحميري ، ويقال أيضا : إنه لبني أسد ، وقد نزله بنو ضبة ، وبنو نمير . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٣٩ .

(٥) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٤ ص ٣١٦ .

(٦) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٦ .

(٧) البويرة ـ تصغير البئر الذي يستقى منه الماء ـ : وهي موضع قرب وادي القرى ، بينه وبين بسيطة ، مر بها الشاعر المتنبي وذكرها في شعره ، فقال :

روامي الكفاف وكبْد الوهاد وجـار البويرة وادي الغضـا ==

ذلك إلى مكان يسمى « ذات عرق » الذي يعتبر الحد الفاصل بين نجد وتهامه [١] ، وهو ميقات حجاج العراق ، فمنه يخرجون مهللين بالتلبية متجهين إلى وادي نخلة ، وهو أحسن وديان مكة ، لوفرة المياه ، ووجود الزرع به ، ومن وادي نخلة هذا يبدأ استعداد حجاج العراق لدخول مكة المكرمة من أعلاها ، وغالبا ما كانوا يقيمون في منطقة الشُعب بها [٢] .

خدمات الحجاج على طريق الحج العراقي :

يعتبر الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ) أول خليفة أموي يهتم بطريق الحج العراقي ، ففي عهده ضربت الأميال [٣] من

= ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٥١٣ .

(١) يقال بأن « عرق » جبل بطريق مكة ، ومنه ذات عرق هذا ، ميقات حجاج العراق . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) ياقوت : نفس المصدر السابق جـ ٤ ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، جـ ٥ ص ٢٧٦ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٧ . ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الطريق أصبح فيما بعد ، ومنذ العصر العباسي يعرف بـ « طريق زبيدة » نسبة إلى زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ) ، وأم الخليفة الأمين (١٩٣ - ١٩٨هـ) العباسيِّين ، نظراً لما قدمت فيه من خدمات عظيمة .

(٣) الميل ثلاثة آلاف ذراع ، والذراع أربعة وعشرون صبعا ، والأصبع ست شعيرات ظهر كل واحدة إلى بطن الأخرى ، والشعيرة ست شعرات من ذنب بغل . وقيل : الميل يساوي ٢٣٣٣ خطوة (١٦٠٩,٣٤ متر) ، والميل في كلام العرب مقدار مدى البصر من الأرض ، وسمي بالميل الهاشمي لأن بني هاشم حددوه وأعلموه . الخوارزمي : المغرب في ترتيب المعرب ص٤٣٧ - ٤٣٨، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ، وخليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص ١١٨ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ١ ص ٣٦ .

الكوفة إلى مكة المكرمة سنة ١٠٤هـ [١] ، كما أنه أمر عامله على الكوفة عمر بن هبيرة [٢] بأن يقوم بتعبيد طريق الكوفة مكة ، وأن ينشئ فيه المحطات ، وأن يقوم بحفر الآبار لسقي حجاج العراق الذين كانوا يجدون صعوبة في حصولهم على الماء [٣] .

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت موارد المياه كافية لسد حاجة الحجاج في هذا الطريق ، بفضل هذه الأعمال التي قام بها عمر بن هبيرة .

ولم تذكر المصادر التاريخية أي خدمات أخرى كبيرة قدمت للحجاج في هذا الطريق من قبل خلفاء الدولة الأموية سوى ما قام به الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) من حفر بئر بطريق البصرة لا ينزح ماؤها [٤] ، كما عمل صهاريج للمياه [٥] على أكثر من فرسخ من مدينة البصرة في الصحراء

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى بأخبار أم القرى جـ ٢ ص ١٣٧، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٠٤ تاريخ تيمور ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٤ .

(٢) عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري ، أبو المثنى ، أمير من الدهاه الشجعان ، لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ولاه الجزيرة ، واستمر عليها إلى خلافة يزيد ابن عبد الملك ، ولاه إمارة العراق وخراسان ، فكانت إقامته في الكوفة ، وتوفي نحو سنة ١١٠هـ . الزركلي : الأعلام جـ ٥ ص ٦٨ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٠ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ، وابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ١ ص ١٤٤ ، تحقيق د. طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي وشركاه ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م .

(٥) الصهاريج مثل الحياض يجتمع فيها الماء ، وأصل كلمة صهريج فارسي ، ==

تنسب إليه ، وقد قال عنها التنوخي : « وقد شاهدتها وهي موحشة المكان ، خالية كبقع يتجمع فيها الماء ، كان الحجاج ـ الثقفي ـ قد عملها مادة لشرب أهل الموسم والقوافل ، ومن يرد من المسافرين » (١) .

وكان الحجاج بن يوسف لما سافر في طريق البصرة منصرفا من الحج أمر بالمياه ، فوزنت فيما بين البصرة ومكة المكرمة ، فلم يجد أخف من ماء ماوية (٢) .

ولا شك أن هذا يُعد اهتماما منه بالمياه الصالحة للشرب ، وتوفيرها للحجاج والعمار والمسافرين (٣) .

كذلك من الخدمات التي قدمها الخليفة عبد الملك بن مروان في طريق الكوفة مكة المكرمة ، حفره لماء الثعلبية (٤) ليستفيد بها الحجاج

= وهو الصهري ، وجمعه : صهارى ، وصهرج الحوض : طلاه ، وهو من الصهارج مطلي بالصهروج . ابن منظور : لسان العرب جـ ٢ ص ٣١٢ .

(١) التنوخي : الفرج بعد الشدة. جـ ٣ ص ٤٠٦ ، تحقيق عبود الشاجلي ، دار صادر ـ بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

(٢) ماوية : منهل ماء على طريق البصرة مكة المكرمة ، بين حفر أبي موسى وميتوعة ، وكان ملوك الحيرة يبتدرون إلى ماوية فينزلونها . والماوية : المرأة كأنها نسبت إلى الماء ، وقيل : البلور . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٨ .

(٣) الحربي : المناسك ص ٥٨٠ .

(٤) الثعلبية ـ بفتح أوله ـ : من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق ، وقيل الخزيمية ، وهي ثلثا الطريق . وسميت بالثعلبية نسبة إلى ثعلبة بن عمرو بن فريقبا بن عامر ماء السماء لما تفرقت أزد مارب لحق ثعلبة بهذا الموضع ، وأقام به فسمي باسمه . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٨ .

والعمار والمسافرون [١] .

رابعاً : طريق الحج اليمني :

يعتبر طريق الحج اليمني من أصعب طرق الحج الأربعة ، بسبب وجود المرتفعات الصعبة به ، التي قد تبلغ ارتفاعاً شاهقاً في بعض مناطقه .

وكان هذا الطريق يبدأ من مدينة تعز [٢] حيث يتجمع فيها الحجاج القادمون من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبعض مدن اليمن ، فيسيرون منها - ومعهم أمير القافلة الذي كان يعتبر تابعاً لأمير الحج - إلى مكان يسمى البشر [٣] ، ومنه يتجهون إلى وادي الحناء [٤] ، ثم إلى وادي مور [٥] ، ومن وادي مور يرحلون إلى زبيد [٦] التي يوجد بها أسواق

---

(١) الحربي : المناسك ص ٢٩٦ .

(٢) تَعِزّ - بالفتح ثم الكسر والزاي مشددة - : قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٤ .

(٣) ذكر ياقوت الحموي أن هذا المكان يسمى بئر الشّعوبي - بفتح الشين المعجمة - ، والشعوب قرية من نواحي اليمن في مخلاف سنحان . معجم البلدان جـ ١ ص ٣٠٠ .

(٤) يقع وادي الحناء على بعد ثلاث مراحل من بئر الشعوبي . الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٩ .

(٥) وادي مَور - بالفتح - : أحد مشارف اليمن الكبار ، وهو من رأس تهامة الأعظم ويتلوه في العظم ، وفيه يصب أكثر أودية اليمن . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٦) زَبيد - بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناه من تحت - : اسم واد به مدينة يقال ==

عظيمة ، فيمكثون فيها يوما ، ثم يرحلون إلى حديدة زبيد [١] ، ومنها يرحلون إلى المعازبة ، وفيها تكثر المياه العذبة التي يتزود منها الحجاج [٢] ثم يرحلون إلى القحمة ، وهي تقع في وادي يشتهر بزراعة الحبوب [٣] ، ومن القحمة يستعدون للرحيل إلى جازان [٤] التي تكثر فيها الأسواق [٥] ، فيردون ماءها ، ثم يرحلون إلى بياضة حيث يقيمون فيها يوما [٦] ، ومن بعده يرحلون إلى حَرَض [٧] ، ومنها يخرجون متجهين

= لها الخصيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي ، فلا تعرف إلا به ، وهي من مدن اليمن المشهورة ، وبإزائها ساحل المندب ، وينسب إليها جمع كثير من العلماء ، منهم : أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي قاضيها ، ومحمد بن سعيد بن حجاج الزبيدي . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٣١ - ١٣٢ .

(١) تقع حديدة زبيد على بعد مرحلتين من زبيد . الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٩ .

(٢) تقع المعازبة على بعد أربع مراحل من حديدة زبيد . نفس المصدر السابق .

(٣) القحمة : قال عنها ياقوت الحموي : إنها بليدة قرب زبيد ، وهي قصبة وادي ذوال ، بينها وبين زبيد يوم واحد من ناحية مكة ، وهي للأشاعرة فيها خولان وهمدان . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣١١ .

(٤) جازان ـ بالزاي ـ : موضع في طريق صنعاء في أعلى وادي جازان . الحربي : المناسك ص ٦٤٦ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٩٤ .

(٥) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٩ ، وقد ذكر أن « جازان » تبعد عن « القحمة » لمسافة أربع مراحل .

(٦) بياضة : حصن في بلاد اليمن من أعمال الحقل قرب صنعاء ، وهي على بعد أربع مراحل من جازان . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٥١٨ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٦٩ .

(٧) حَرَض ـ بفتحتين ـ : بلد في أوائل اليمن من جهة مكة ، نزله حَرَض بن =

إلى ملتقى الواديين (١) ، ومنه يتجهون إلى الحسنة (٢) فيمكثون فيها يومين ثم يرحلون إلى يلملم (٣) ـ ميقات أهل اليمن ـ ، فيُحرمون فيه

= خولان بن عمرو بن مالك بن حمير ، فسمي به . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٤٣ .

(١) ملتقى الواديين : كورة عظيمة في اليمن ، من أعمال زبيد ، لها دخل واسع . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٤٦ .

(٢) الحسنة : جبال بين صعدة وعثر من أرض اليمن في الطريق . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٦٠ .

(٣) يَلَمْلم ـ بفتح أوله وثانيه ـ : جبل على بعد مسافة ليلتين من مكة من جبال تهامه ، وأهله كنانة ، وتنحدر أوديته إلى البحر ، وهو طريق اليمن إلى مكة ، ويوجد به مسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وقيل هو واد هناك ، وهو ميقات أهل اليمن ، ومن حج من هناك ومرّ به ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة ، فمن كان دونهن فمهله من أهله ، وكذلك حتى أهل مكة يهلون منها » . ويسمى هذا الجبل في وقتنا الحاضر « السعدية » ، وقد اتفق كل الجغرافيين على إيراد هذا الموضع دون اختلاف . صحيح البخاري جـ ٢ ص ٥٥٥ ، وصحيح مسلم جـ ٢ ص ٨٣٨ - ٨٣٩ ، والأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٣١٠ ملحق ٢ ، وابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٤٩ ، واليعقوبي : البلدان ص ٣١٧ ، والحربي : المناسك ص ٣٤٦ ، والمقدسي : : أحسن التقاسيم ص ٧٨ ، والبكري : معجم ما استعجم جـ ٤ ص ١٣٩٨ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٤١ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٧٠ ، والبلادي : معالم مكة التاريخية والأثرية ص ٣٢٨ ، الطبعة الثانية ، دار مكة للنشر ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

ويهللون بالتلبيـة [١] ، ثم يواصلون بعد ذلك سيرهم إلـى مكان يسمـى « مَلَكان » [٢]، ومن ثم يواصلون سيرهم إلى أن يصلوا مكة المكرمة [٣].

خدمات الحجاج على طريق الحج اليمني :

أما من ناحية الخدمات التي قدمت للحجاج على هذا الطريق ، فلم تذكر المصادر التاريخية أي إصلاحات أو خدمات قدمت من قبل الخلفاء الأمويين أو أمرائهم في هذا الطريق .

وبهذا نكون قد أتينا على وصف طرق الحج الأربعة ، التي كانت تسلكها قوافل الحج في كل موسم إلى الحرمين الشريفين ، وهي طريق الحج الشامي ، وطريق الحج المصري ، وطريق الحج العراقي ، وطريق الحج اليمني ، مع بيان الخدمات التي قُدمت للحجاج على هذه الطرق من قبل الخلفاء الأمويين أو أمرائهم حتى نهاية العصر الأموي .

---

(١) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٧٠ .

(٢) مَلَكان ـ بفتح الميم واللام ـ بلفظ تثنية المَلَك ـ واحد الملائكة ـ : جبل بالطائف ، وقيل : مَلِكان ـ بكسر اللام ـ ، واد لهذيل على ليلة من مكة ، وأسفل لكنانة ، وقيل أنه جبل في بلاد طيئ ، وكان يقال له : ملكان الروم ؛ لأن الروم كانت تسكنه في الجاهلية ، وقد اتفق الجغرافيون على إيراد هذا الموضع . ابن خرداذبة : المسالك ص ١٤٩ ، واليعقوبي : البلدان ص ٣١٧ ، والحربي : المناسك ص ٦٤٦ ، والبكري : معجم ما استعجم جـ ٤ ص ١٢٥٦ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ١٩٤ ، والبلادي : معالم مكة التاريخية والأثرية ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٤٧٠ .

الفصل الثالث

عمارة الحرمين الشريفين
في العصر الأموي

أولا : عمارة الكعبة المشرفة وكسوتها .

١ ـ عمارة الكعبة المشرفة .

٢ ـ كسوة الكعبة المشرفة .

ثانيا : عمارة المسجد الحرام .

ثالثا : عمارة المسجد النبوي الشريف .

الفصل الثالث

عمارة الحرمين الشريفين

في العصر الأموي

أولاً : عمارة الكعبة المشرفة وكسوتها :

١ ـ عمارة الكعبة المشرفة :

لقد مرت الكعبة المشرفة عبر تاريخها الطويل بأحداث عظيمة ، وتعاقبت عليها دول كثيرة ، وحدث لها العديد من التطورات في عمارتها ، حيث بدأت بسيطة ، ثم تطورت بمرور الزمن ، وتعاقب الحكام .

ويعتبر العصر الأموي أهم العصور التي تطورت فيها عمارة الكعبة المشرفة ، حيث أعيد بناؤها في هذا العصر مرتين ، الأولى : على يد عبد الله بن الزبير سنة ٦٥هـ ، والثانية : على يد الحجاج بن يوسف الثقفي بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) سنة ٧٣هـ ، وسوف أتحدث عن ذلك التفصيل خلال تلك الصفحات التالية ، مبينا الأسباب التي أدت إلى هذا البناء والتعمير .

أ ـ عمارة عبد الله بن الزبير للكعبة المشرفة :

يذكر المؤرخون أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لما تأخر عن بيعة يزيد بن معاوية بالخلافة لحق بمكة ، وجمع الناس حوله ، ودعاهم إلى بيعته ، فبلغ ذلك يزيد ، فاشتد غضبه ، وأقسم ألا يقبل بيعة ابن الزبير إلا في برنس

وجامعة (١) ، وأرسل إليه في مكة وفداً لمفاوضته ، ومعهم برنس من خز وجامعة من فضة (٢) ، وقد أخفقت المفاوضات بين الوفد وابن الزبير ، لما في قبوله الذهاب إلى دمشق في البرنس والجامعة من الذل الذي لا يرضاه مثله (٣) .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن ابن الزبير لا يأمن غدر يزيد إذا هو صدقه ومشى إليه في عاصمة ملكه (٤) .

حدث هذا في الوقت الذي ثار فيه الزبيريون في المدينة المنورة ، وطردوا عامل يزيد منها ، وحاصروا الأمويين فيها ، ثم أخرجوهم بعد أن أخذوا عليهم العهود والمواثيق ألا يبغوهم غائلـة ، ولا يدلّوهم علـى عـورة (٥) .

فلما بلغ ذلك يزيداً في دمشق حشد جيشا قوامه إثنا عشر ألفا ، وأمّر عليهم مسلمة بن عقبة المري (٦) ، وألقى على عاتقه مهمتين :

---

(١) البُرنُس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دُرّاعه كان أو ممطرا أو جبّة ، وقيل هو قَلَنسُوةٌ طويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام ، وهو من البِرس - بكسر الباء - : القطن ، والنون زائدة ، وقيل إنه غير عربي . أما الجامعة : فهي ما يوضع في اليد أو العنق . ابن منظور : لسان العرب جـ ١ ص ٢٧٠ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٥ ص ٤٧٦ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٠٣ .

(٤) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٤٧ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٣٧ .

(٦) مسلمة بن عقبة بن رياح المري ، قائد من الدهاة القساة في العصر الأموي ، أدرك النبي ﷺ ، وشهد معركة صفين مع معاوية ، وكان فيها على الرجّالة ، ==

أولاهما : إطفاء الفتنة في المدينة ، والثانية : التوجه إلى مكة ، وإرغام ابن الزبير على البيعة [١] ، وقد أنجز مسلم المهمة الأولى ، ثم توجه إلى مكة لإنجاز المهمة الثانية ، إلا أن المنية أدركته ، فخلفه في قيادة الجيش الحصين ابن نمير السكوني [٢] ، الذي حاصر مكة ، في الوقت الذي جمع فيه ابن الزبير أتباعه ، وتحصن بهم داخل المسجد الحرام حول الكعبة [٣] .

ويقول المؤرخون إن ابن النمير قد نصب المجانيق على الجبال القريبة من الكعبة ، وأمر جنوده ، فراحوا يرجمونها بالحجارة ، وقد احترقت الكعبة نتيجة لهذا الرجم [٤] .

== وقلعت بها إحدى عينيه ، وولاه يزيد بن معاوية قيادة الجيش الذي أرسله للانتقام من أهل المدينة بعد أن أخرجوا عامله ، فغزاها وأسرف فيها قتلا ونهبا في وقعة الحرة ، فسماه أهل الحجاز « مسرفا » ، وأخذ ممن بقي فيها البيعة ليزيد ، وتوجه بجنده إلى مكة ليحارب ابن الزبير ، فمات في الطريق بمكان يسمى « المشلل » سنة ٦٣هـ ، ثم نبش قبره وصلب في مكان دفنه . الزركلي : الأعلام جـ ٧ ص ٢٢٢ .

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٥١ .

(٢) هو أبو عبيد الرحمن الحصين بن نمير بن وائل الكندي ، من القواد القساة الأشداء في العصر الأموي ، حاصر ابن الزبير في مكة ، ورمى الكعبة بالمنجنيق ، وكان في آخر أمره على ميمنة عبيد الله بن زياد في حربه مع إبراهيم بن الأشتر ، فقتل مع ابن زياد سنة ٦٧هـ . راجع تهذيب ابن عساكر جـ ٤ ص ٢٧١ ، والزركلي : الأعلام جـ ٢ ص ٢٦٢ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٠٣ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب جـ٣ ص٧٢ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٨٥م ، والأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٠٣ ، ويعدد لنا الأزرقي ما أصاب الكعبة من جراء القتال بين الحصين وعبد الله بن الزبير ، فيقول : « إن ==

وقد اختلف المؤرخون حول السبب الذي من أجله شبت النار في بيت الله الحرام : فذهب بعضهم إلى أن جند الشام كانوا يضربون البيت بالقطن والكتان المغموس في النفط بعد أن تشتعل فيه النار [١] .

وذهب آخرون إلى أن الحريق لم يكن متعمداً ، وإنما كان على سبيل الخطأ ، فقد كان الجو شديد البرودة ، وكان الناس يشعلون النار للاستدفاء ، فطارت شرارة منها ، فمست أستار الكعبة فاحترقت [٢] .

وثمَّ رواية ثالثة وهي أن الظلام قد كان حالكاً في إحدى الليالي ، وأن جند ابن الزبير قد توقعوا الهجوم من العدو ، وأشفقوا منه ، فأشعلوا النار على كثب من الكعبة للاستضاءة ، فحملت الريح منها شرارة ، فمست أستار الكعبة فكان ما كان [٣] .

ويبدو لي أن الروايتين الأخرين هما المعقولتان ، والمقبولتان ، فما كان المسلمون ليحرقوا الكعبة عامدين ، وهي قبلتهم في الصلاة ، وموضع التعظيم والتقديس ، لا بالنسبة لهم فحسب ، ولكن لذلك ، ولأن أباءهم وأجدادهم قد كانوا يُجلُّونها ويوقرونها ، ويرون أنها بناء

== الكعبة قد احترقت وضعفت جدرانها ، ووهنت حجارتها ، حتى إنها لتنقض من أعلاها إلى أسفلها وهي مجردة متوهنة من كل جانب ، وكان احتراقها يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول .

(١) الأزرقي : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ١٢٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٥ ص ٤٩٨ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٢٣ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٠٤ وما بعدها .

أبيهم إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -، وأمر آخر وهو أن العرب على اختلاف مذاهبهم، واختلاف أهوائهم قد كانوا يمجدون الكعبة في الجاهلية، أفبعد أن دخلوا في الإسلام، وأشربت عقولهم وقلوبهم تعاليمه ومبادئه، يخربون هذا البيت بأيديهم، ويحرقونه بما يلقونه عليه من المواد الشديدة الاشتعال والاضطرام ؟ لا أظن ذلك قد كان.

ومهما يكن من أمر فإن الحصين بن نمير ظل محاصراً ابن الزبير وأتباعه في مكة حتى جاء نعي يزيد بن معاوية في مستهل شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين للهجرة [١].

ويذكر لنا الأزرقي أنه بعد وفاة معاوية أرسل عبد الله بن الزبير إلى الحصين بن نمير وفداً حدثوه أن الكعبة قد اشتعلت فيها النار، وأن حجارتها قد أخذت في الانتقاض، وسألوه أن يكف عن الحرب والضرب، وقالوا له ضمن ما قالوا : علام وجودك هنا وقد هلك يزيد ؟ اذهب إلى الشام، وانظر ما ولده معاوية فاعلا. وراحوا يضغطون عليه حتى قبل نصيحتهم، وأخذ جنده وولى وجهه شطر بلاده [٢].

بينما يذكر الدينوري أن الحصين هو الذي أرسل إلى عبد الله بن الزبير يطلب مهادنته ومبايعته، ويعرض عليه أن يذهب معه إلى الشام، وأنه سيساعده في دعوة أهلها إلى بيعته، لكن ابن الزبير رفض الذهاب مع الحصين والثقة فيه، نظراً لما كان منه من قتل مئات الأنفس من أهله في مكة والمدينة [٣].

---

(١) الأزرقي : اخبار مكة جـ ١ ص ٢٠٣.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٠٤ وما بعدها.

(٣) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٢٦٨، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة =

ومهما يكن من أمر ، ومهما تضاربت آراء المؤرخين ، فقد اجتمعت في النهاية على أن الحصين بن نمير قد ترك مكة ورحل بجيشه إلى الشام (١) .

== ١٩٦١م ، وقد نقد بعض المؤرخين القدامى والمحدثين موقف ابن الزبير هذا ، فقال ابن الأثير : ولو خرج معه ابن الزبير لم يختلف عليه اثنان (الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ١٣٠) ، وذكر الطبري هذا المعنى قائلا : وأن عبد الله بن الزبير والله لو سار معهم حتى يدخل الشام ، ما اختلف عليه اثنان (تاريخ الرسل والملوك جـ ٥ ص ٥٠٢) ، ويعلق سيد أمير علي على ذلك فيقول : ولو كان غادر مكة ، وسارع إلى الشام ، لاستطاع أن يقوض دعائم تلك الأسرة ، ويستخلص الخلافة لنفسه ، ولكنه بدلا من ذلك اكتفى بمكة وحدها ، فأتاح للأمويين فرصة ليوحدوا كلمتهم ، ويلموا شعثهم (مختصر تاريخ العرب ص ٧٦ ، ترجمة رياض رأفت ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨م) ، ويقول صاحب الدولة الأموية في الشرق : أتيحت لابن الزبير فرصة العمر الكبرى ، ولكنه ضيّعها بضيق تفكيره ، وسوء تدبيره ، والتي كانت ستحقن بها الدماء ، ويتحقق بها أمله في يسر وسهولة (د. محمد الطيب النجار : الدولة الأموية في الشرق ص ٦٩ - ٧٠ ، ط ٣ دار العلوم للطباعة ١٩٧٧م) ، وأنا لا أوافق هؤلاء المؤرخين فيما ذهبوا إليه ، وأرى أن ابن الزبير قد أصاب في رفضه دعوة الحصين بن نمير ، حيث أن أهل الشام لا يدينون بالولاء إلا للأمويين ، وليس لابن الزبير في الشام عصبية وأنصار يعتمد عليهم ، كما أن بلاد الحجاز قد عانت كثيراً من الحكم الأموي ، وناصر الحجازيون ابن الزبير ؛ لأنه أصبح المعارض الوحيد للحكم الأموي . فماذا يكون موقفهم منه لو رأوه يسير مع الأمويين إلى حاضرتهم - دمشق - وعلى رأس جيشهم ؟ لا شك أنهم كانوا سيتخلفون عنه ، فيفقد بذلك أنصاره وجنده .

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٠٥ وما بعدها ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ١٣٠ .

وبعد أن هدأت الأحوال في مكة واستتب الأمر لعبد الله بن الزبير دعا وجوه الناس وأشرافهم ، واستشارهم في هدم الكعبة المشرفة ، فأشار عليه بعضهم بهدمها [١] ، وامتنع البعض الآخر وعلى رأسهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما [٢] الذي قال لابن الزبير : « دعها على ما أقرها عليه رسول الله ﷺ ، فإني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها ، فلا تزال تُهدم وتُبنى فيتهاون الناس بحرمتها ، ولكن أرقعها . فقال له ابن الزبير : والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه ، فكيف أرقع بيت الله سبحانه وتعالى » [٣] .

وظل ابن الزبير أياماً يشاور ويمكر ، واستخار الله تعالى ثلاثة أيام حتى استقر رأيه أخيراً على هدمها ، رجاء أن يكون هو الذي يردها على

---

(١) كان ممن أشار على ابن الزبير بالهدم : جابر بن عبد الله ، وعبيد بن عمير ، وعبد الله بن صفوان بن أمية : ابن الضياء . تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ص ١٠٥ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٣٤٩ .

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، صحابي جليل ، ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة ، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة ، تولى إمرة الحج سنة ٣٥ هـ بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور ، وشهد مع علي بن أبي طالب معركتي الجمل وصفين ، وقتال الخوارج ، وولاه عليّ على مدينة البصرة ، فلم يزل عليها حتى مات علي ، ويقال إن عليا قد عزله عنها قبل موته وقد كف بصره في آخر عمره ، فسكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨هـ ، وله في الصحيحين ١٦٦٠ حديثا ، ويقال له ترجمان القرآن . ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٩٣ - ٣٠٥ ، والزركلي : الأعلام جـ ٤ ص ٩٥ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

قواعد إبراهيم عليه السلام ، لقوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « ألم ترِ قومك حين بنوا البيت استقصروا عن قواعد إبراهيم . قالت : فقلت يا رسول الله ألا تردها على قواعده . قال : لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت ، لهدمت الكعبة وأعدت ما تركوا منها ، ولجعلت لها بابين موضوعين بالأرض : باباً شرقياً يخرج منه الناس ، وبابا غربياً يخرج منه الناس ، وهل تدرين لما قومك رفعوا بابها ؟ قالت : لا . قال : تعززا ألا يدخلها إلا من أراد ، فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها يدعونه يرتقي حتى إذا كان يدخل فدفعوه فسقط ، فإن بدا لقومك هدمها فهلمي لأريك ما تركوا في الحجر منها فأراها قريبا من سبعة أزرع »[1] .

وعلى هذا الأساس رأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة التي بنتها قريش ويعيد بناءها على قواعد إبراهيم عليه السلام ، وعلى ما وصفه رسول الله ﷺ لعائشة .

ويقول الرواه : إن عبد الله بن الزبير قد راح هو ورجاله ينقضون أحجار الكعبة حتى وصلوا إلى أسسها القديمة ، وكانوا عندما بدأوا في هدمها قد خافوا واضطربوا ، ولم يجترئوا على البدء في البناء حتى اطمأنت قلوبهم ، واستراحت نفوسهم ، وأيقنوا أن ربهم غير غاضب عليهم[2] .

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ١ ص ٢٠٦ ، وراجع لهذا الحديث : صحيح البخاري ، باب فضل مكة ، من كتاب : المناسك جـ ١ ص ٢١٥ ، وصحيح مسلم : كتاب الحج جـ ١ ص ٤٢٩ ، وجامع الترمذي ، كتاب الحج ص ١٥٠ ، والسنن الكبرى للبيهقي جـ ٥ ص ٨٩ .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٠٨ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ==

وكان ابن الزبير قد أسدل الستور بين الناس وبين العمال الذين يهدمون الكعبة ويعيدون بناءها ، وأمر ابنه عباد ، وجبير بن شيبة بن عثمان أن يجعلا الركن (أي الحجر الأسود) في ثوب ، وقال لهما : إذا دخلت في صلاة الظهر فاحملاه ، واجعلاه في موضعه ، فأنا أطيل في الصلاة ، فإذا فرغتما من وضع الركن في موضعه ، فكبرا حتى أخفف صلاتي (١) ، ففعلا ثم كبرا ، فخفف ابن الزبير في صلاته ، وتسامع الناس أن الركن قد وضع في مكانه ، فلم يعجبهم ما وقع ، وراحوا يتناقلون ما صنعه رسول الله ﷺ في مثل هذا الأمر ، وكيف أنه ألقى ثوبه على الأرض ، وجعل الركن في وسطه ، ثم أمر كل بطن (قبيلة) أن تأخذ بطرف منه ، حتى إذا دنا موضعه أخذه النبي ﷺ ووضعه بيديه الشريفتين في مكانه (٢) . لكن عبد الله بن الزبير طيب خاطر القوم ، وأعلمهم أنه وضع الحجر الأسود دونهم حتى يحسم الأمـر ، ويقضي على الفـتن والخلافات ، التي لو تركها لحدث مثلما حدث أيام قريش ، وبهذا الأمر هدأت الأحوال ، وطابت النفوس واطمأنت (٣) .

وكان الحجر الأسود قد تصدع من الحريق الذي حدث ، وانفرق ثلاث فرق ، وانشظت (٤) منه شظية (٥) ، كانت عند بعض آل شيبة بعد

= جـ ٥ ص ٦٢٢ .

(١) الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٤٩ .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٣) فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ١٠٩ ، دار تهامة ـ جدة ١٤٠٢هـ .

(٤) انشظت : تفرقت وتطايرت وانكسرت . ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ ص ٢٢٦٨ .

(٥) شظيَّة ـ بفتح الشين وكسر الظاء وتشديد الياء ـ : الفِلْقَةُ من كل شيء . =

ذلك بدهر طويل [١] ، وقد حرص ابن الزبير على تجميع أجزاء الحجر الأسود ، فشده بالفضة ، إلا تلك الشظية التي وضعها في أعلى الركن [٢] وطول الركن ذراعان قد أخذ عرض جدار الكعبة ، وموخر الركن داخلة في الجدار ، مضرس على ثلاثة رؤوس [٣] .

وكانت الكعبة يوم هدمها ابن الزبير ثمانية عشر ذراعا في السماء ، فلما بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعاً ، قصرت بحال الزيادة التي زاد من الحجر فيها ، واستسمج ذلك [٤] ، إذ صارت عريضة لا طول لها ، فقال ابن الزبير : قد كانت قبل قريش تسعة أذرع ، حتى زادت قريش فيها تسعة أذرع طولا في السماء ، فأنا أزيد فيها تسعة أذرع أخرى ، فبناها سبعة وعشرين ذراعاً في السماء ، وهي سبعة وعشرون مدماكا ، وعرض جدارها ذراعان ، وجعل فيها ثلاث دعائم [٥] ، وكانت قريش في الجاهلية جعلت فيها ست دعائم ، وأرسل ابن الزبير إلى صنعاء ، فأتى من رخام بها يقال له البلق [٦] ، فجعله في الروزان [٧] في

= ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ ص ٢٢٦٨ .

(١) ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٩١ .

(٢) المأمون : إبراهيم : تهنئة أهل الإسلام (مخطوط) ص ١٦٠ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٤) استسمج : استقبح . ابن منظور : لسان العرب جـ ٣ ص ٢٠٨٧ .

(٥) الدعائم جمع دعامة ، وهي عماد البيت الذي يقوم عليه . ابن منظور : لسان العرب جـ ٢ ص ١٣٨٤ .

(٦) البلق أو الأبلق في العمارة الإسلامية يعني تناوب اللونين : الأبيض والأسود . د. فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ١٠٩ .

(٧) الروزان : جمع رَوْزنة ، وهي الكُوّة أو الخرق في أعلى السقف ، فيقال للكوة =

سقفها للضوء ، وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعاً واحداً ، فجعل له ابن الزبير مصراعين [١] طولهما أحد عشر ذراعا من الأرض إلى منتهى أعلاهما ، وجعل الباب الآخر الذي في ظهرها بإزائه على الشاذوران [٢] الذي على الأساس مثله ، وجعل ميزابها يسكب في الحجر [٣] ، وجعل لها درجة في بطنها في الركن الشامي من خشب معرجة يصعد فيها إلى ظهرها [٤] ، فلما فرغ ابن الزبير من بناء الكعبة خلّقها [٥] من داخلها وخارجها ، ومن أعلاها إلى أسفلها ، وكساها

== النافذة : الروزن . ابن منظور : لسان العرب جـ ٣ ص ١٦٣٩ .

(١) مصراعا الباب : بابان منصوبان ينضمان جميعا مدخلهما في الوسط بين المصراعين . ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ ص ٢٢٣٤ .

(٢) الشاذوران : بناء لطيف ملصق بحائط الكعبة مما يلي أرض المطاف من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية ، أما الجهة الشمالية فليس فيها شاذوران مثل الجهات الثلاث ، ويبلغ ارتفاع الشاذوران عن الأرض في بعض المواضع نحو شبرين ، وفي بعضها نحو شبر ونصف ، وعرضه في بعضها نحو شبرين ونصف وفي بعضها نحو شبر ونصف ، وحقيقة الشاذوران أنه من أصل جدار الكعبة حينما أقيمت على قواعد إبراهيم ، وقد انتقضته قريش من أصل جدار الكعبة حين ظهر على وجه الأرض كما هي العادة في البناء . حسين عبد الله باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة .. عمارتها وكسوتها وسدنتها ص ١٤٤ ، سلسلة الكتاب العربي السعودي ، رقم ٤٧ ، الطبعة الثانية ، دار تهامة ـ جدة١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٣) الحجر : هو الموضع الذي أخرجته قريش من الكعبة ، وهو معروف على هيئة نصف الدائرة في الجانب الشمالي . أحمد محمد الأسدي : إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام (مخطوط) ورقة ٤٠ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٠٨ وما بعدها .

(٥) خلّقها : مسح جوفها بالعنبر والمسك ، والخلوق طيب معروف يتخذ من ==

القباطي [١] ، وقال : من كانت لي عليه طاعـة فليخرج فليعتمر من التنعيم [٢] ، فمن قدر أن ينحر بُدنة فليفعل ، ومن لم يقدر على بُدنة فليذبح شاة ، ومن لم يقدر فليتصدق بقدر طوله ، وخرج ماشيا ، وخرج الناس معه مشاةً حتى اعتمروا من التنعيم شكرا لله سبحانه [٣] .

ولم ير يوما كان أكثر عتقا ، ولا أكثر بُدنة منحورة ، ولا شاة مذبوحة ، ولا صدقة من ذلك اليوم ، ونحر ابن الزبير مائة بُدنة ، فلما طاف بالكعبة استلم الأركان الأربعة جميعاً ، وقال : إنما كان ترك استلام هذين الركنين الشامي والغربي ، لأن البيت لم يكن تاما ، فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير ، إذا طاف به الطائف استلم الأركان جميعا ، ويدخل البيت من هذا الباب ، ويخرج من الباب الغربي ، وأبوابه لاصقة بالأرض ، حتى قتل ابن الزبير رحمه الله [٤] .

== الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة ، وهو من طيب النساء ، يقال : خلقت المرأة جسمها ، أي طلته الخلوق . ابن منظور : لسان العرب جـ ٢ ص ١٢٤٧ .

(١) القباطي : جمع قُبطية ـ بضم القاف ـ : وهو ثوب أبيض رقيق من الكتان ، يصنع في مصر ، وهو منسوب إلى القِبط ـ بكسر القاف ـ ، والضم في قبطية من تغيير النسب ، فهو على غير قياس . ابن منظور : لسان العرب جـ ٥ ص ٣٥١٤ .

(٢) التنعيم : موضع على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة المكرمة ، وسمي بذلك لأن جبلا عن يمينه يقال له نعم ، وآخر عن شماله يقال له ناعم ، وبالتنعيم مساجد وسقايا ، على طريق المدينة منه يحرم المكيون بالعمرة . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٩ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢١٠ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢١١ ، وابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ==

ب ـ عمارة الحجاج بن يوسف الثقفي للكعبة المشرفة :

بعد أن تولى عبد الملك بن مروان الخلافة (٦٥ - ٨٦هـ) بعث الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفي فارس إلى مكة المكرمة لقتل ابن الزبير أو إرغامه على البيعة [١] ، فسار الحجاج حتى نزل بالطائف ، فأقام فيها شهراً ، ثم زحف إلى مكة في موسم الحج ، ونصب المجانيق على جبل أبي قبيس ، فتحصّن ابن الزبير داخل الحرم الشريف ، وأخذت أحجار المنجنيق تتساقط على المسجد الحرام [٢] ، فاضطر ابن الزبير إلى الخروج للقتال مع جماعة من أتباعه ، فقاتل قتالا شديداً حتى قُتل عامة من كانوا معه ، وانتهى الأمر بقتله في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة

= ص ٣٤٨ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ١٩٨ .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ٣٤٩ .

(٢) يُروى أن الكعبة المشرفة عندما رميت بالمنجنيق رعدت السماء وبرقت ، وعلا صوت البرق على الحجارة ، فخاف أهل الشام وأمسكوا عن الرمي ، وكان الوقت شتاءاً ، وظلت السماء ترعد وتبرق ، ونزلت صاعقة على جيش الحجاج ابن يوسف ، فقتلت منهم نحو اثنى عشر رجلا ، فانكسر أهل الشام ، وشعروا بالخوف ، واعتبروا هذه الصاعقة غضبا من الله عليهم ، لانتهاكهم حرمة البيت ، فتوقفوا عن الرمي ، فقال لهم الحجاج : يا أهل الشام ، لا تنكروا هذا ، فإني ابن تهامه ، وهذه صواعقها ، وهذا الفتح قد حضر فاشرفوا ، ثم أخذ يرمي بنفسه ، ولحسن الحظ نزلت صاعقة على جند ابن الزبير وقتلت منهم الكثير ، فتشجع الحجاج وقال لجنده : ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة . واستمر جيش الحجاج في الرمي ، وكان الحجر يقع بين يدي عبد الله بن الزبير فلا ينصرف عن مكانه . المأموني : تهنئة أهل الإسلام (مخطوط) رقم ١٦٣ ، وعلي حسن الخربوطلي : تاريخ الكعبة ص ١٦٥ ، طبعة بيروت ـ لبنان ١٩٧٦م .

ثلاث وسبعين للهجرة [١] .

ولما استقر الأمر في مكة للحجاج بن يوسف ، وأخذ البيعة من أهلها لعبد الملك بن مروان ، كتب إلى الخليفة في دمشق يخبره أن ابن الزبير قد هدم الكعبة ، وزاد فيها على بناء قريش ، وطلب منه أن يأذن له في إزالة ما فعل ، فوافق الخليفة ، وحدّد له ما ينبغي أن يفعله ، وهو أن يسد بابها الغربي الذي كان قد فتحه عبد الله بن الزبير ، ويهدم ما زاد فيها من الحجر ، وأن يكبسها به [٢] ، فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبراً مما يلي الحجر ، وبناها على أساس قريش ، وكبسها بما هدم منها ، وسد الباب الذي في ظهرها ـ وهو الباب الغربي المحاذي للشرقي ـ ، وترك سائرها لم يحرك منه شيئا ، فكل شيء بناه ابن الزبير إلا الجدار الذي في الحجر ، فإنه بناه الحجاج ، وسد الباب الذي في ظهرها ، وما تحت عتبة الباب الشرقي ، وقدره أربعة أذرع وشبر [٣] .

وبعد أن أتم الحجاج إعادة الكعبة إلى مثل ما كانت قريش قد بنتها

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٣٥٦ ، ويذكر أن جروحا أصابت ابن الزبير في القتال مات على أثرها بعد أيام ، كما يذكر الطبري أن القتال قد استمر بين الفريقين ستة أشهر وسبع عشرة ليلة . الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ١٨٧ .

(٢) الكبس : طمّ الحفرة بالتراب ، يقال كبست النهر والبئر كبساً ، أي طممتهما بالتراب ، وقد كبس الحفرة يكبسها كبسا ، ولعل المعنى المقصود هنا : يبنيها به أو يبلطها . ابن منظور : لسان العرب جـ ٥ ص ٣٨١١ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢١٠ وما بعدها ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٤٨ .

عليه ، زار الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي [١] ـ وهو من ثقات الرواة ـ الخليفة عبد الملك في دمشق ، فسأله الخليفة إن كان أبو خبيب ـ عبد الله بن الزبير ـ قد سمع عن عائشة رضي الله عنها ما روته في شأن البيت عن النبي ﷺ ، فصدق الحارث عبد الله بن الزبير ، وروى الحديث للخليفة ، فنكث رأسه ، وراح ينكث الأرض بعود في يده ويقول : « وددت والله أني كنت تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك » [٢] .

وأراد الخليفة عبد الملك أن يرد الكعبة المشرفة على الوضع الذي كانت عليه في زمن عبد الله بن الزبير ، فأحضر العلماء والفقهاء وأصحاب الرأي والمشورة ، وشاورهم في هذا الأمر ، فرفضوا جميعاً أن يغير الخليفة من بناء الكعبة المشرفة مرة أخرى ، وأصروا على أن تبقى على ما هي عليه ، فغضب عليهم الخليفة وطالبهم بإيجاد مخرج من هذه الورطة ، فقال له أحد العلماء : يا أمير المؤمنين ، كعبة الله ليست ملعباً للملوك والأمراء ، وليست رهن رغباتهم ، هذا يهدمها ، وذاك يبنيها ، وهذا يغيّر منها ، وذاك يعيد التغيير من جديد » [٣] .

---

(١) الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي ، من التابعين من أهل مكة ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، كان خطيبا من وجوه قريش ورجالهم ، ولي البصرة في أيام ابن الزبير سنة واحدة ، وكان أهلها يلقبونه بـ « القباع » ، وهو الواسع الرأس القصير ، وكان اسم أبيه في الجاهلية « بحيرا » ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وكان جده أبو ربيعة يلقب بـ « ذي الرمحين » ، توفي الحارث نحو سنة ٨٠هـ . الزركلي : الأعلام جـ ٢ ص ١٥٦ .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢١١ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٤٨ .

(٣) أمينة الصاوي : الكعبة المشرفة ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، طبع دار عكاظ بجدة .

وقد استجاب الخليفة أخيراً لنصيحة العلماء ، وأبقى الكعبة على بناء الحجاج الثقفي ولم يحدث فيها أي تغيير [١] ، وظلت كذلك حتى نهاية العصر الأموي .

٢ ـ كسوة الكعبة المشرفة :

قبل أن أتحدث عن كسوة الكعبة في العصر الأموي ، يجدر بي أن أشير إلى أمر هام ، وهو أن المسلمين لم تتح لهم فرصة القيام بهذا العمل الجليل إلا بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، حيث كانت السيادة عليها قبل الفتح للمشركين ، ولم يذكر أحد من المؤرخين القدامى والمحدثين أن المسلمين قد كسوها قبل فتح مكة [٢] .

---

(١) د. فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ١١٨ .

(٢) يذكر الرواة أن أول من كسا الكعبة هو أسعد أبو كرب أحد تبابعة اليمن ، والسبب في هذا هو أن هذا الملك رأى في منامه من يأمره أن يكسو الكعبة ، فكساها الخصف ـ وهو نسيج من الخوص والليف ـ فتكررت هذه الرؤيا ، فكساها المعافر ـ نسبة إلى قبيلة معافر اليمنية ـ ، فتكررت للمرة الثالثة ، فكساها الملاء ـ جمع ملاءه ، وهي ثوب لين رقيق ، نسيج واحد ، وقطعة واحدة وتسمى « الربطة » ـ ، والوصائل ـ وهو ثوب أحمر مخطط يماني ـ . الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٤٩ ، ومحب الدين الطبري : القرى لقاصدي أم القرى ص ٤٧٢ ، والفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١١٩ - ١٢٠ ، وابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ١٠٥ ، والقلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧٧ ، وإبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٨١ ، وأحمد عبد الغفور العطار : الكعبة والكسوة ص ١٢٣ ، ود. فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ٧٧ .

وبعد أبي كرب هذا كساها قصي بن كلاب ، وهو الجد الرابع للنبي ﷺ ، =

ولما تم فتح مكة أبقى ﷺ على كسوة الكعبة ولم يستبدلها ، حتى احترقت على يد امرأة كانت تريد تبخيرها ، فكساها النبي ﷺ الثياب اليمانية (١) .

وبعد النبي ﷺ كساها أبو بكر الصديق ﷺ ثياباً لم تُحدّد المصادر نوعها (٢) ، ثم كساها عمر بن الخطاب ﷺ القباطي من بيت المال ، وكان يكتب إلى مصر لتحاك له الكسوة فيها ، وكذلك فعل عثمان ﷺ (٣) ، غير أنه لم يقتصر في كسوته للكعبة على القباطي ، بل كساها أيضا البرود اليمنية في إحدى السنوات ، حيث أمر عامله على اليمن

== ثم إن قريش كانت تكسوها في كل سنة ، وكانت تجمع الأموال لشراء الكسوة من القبائل ، حتى غير هذا التقليد أبو ربيعة بن المغيرة المخزومي ، فقد اقترح على قريش أن يقاسمها الكسوة ، فيهديها هو إلى الكعبة سنة ، وتهديها هي إليها السنة الأخرى ، وهكذا ، فسمي « عدل قريش » لذلك ، واستمر الأمر على هذا الحال حتى عهد النبي ﷺ . الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٤٩ وما بعدها ، وابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ١٠٤ ، وإبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ص ٢٨١ ، د. فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ٨٩ ، وحسين باسلامة : تاريخ الكعبة ص ٢٤٧ .

(١) مؤلف مجهول : اللمعة اللطيفة في كسوة الكعبة الشريفة ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٦٨١٦ ، تاريخ : ورقة ١٦ - ١٩ ، وحسين باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٥١ ، د. أمينة الصاوي : الكعبة المشرفة ص ٢٣٩ ، د. فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ٧٧ .

(٢) المأموني : تهنئة أهل الإسلام (مخطوط) ورقة ٤٠ ، د. فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ٧٧ .

(٣) حسين عبد الله باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٥١ .

(يعلي بن منية) [١] بصنعها [٢] ، فكان عثمان ﷺ أول من وضع على الكعبة كسوتين ، إحداهما فوق الأخرى في الإسلام [٣] .

أما علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فلم يذكر أحد من المؤرخين أنه كسا الكعبة ، وقد برر بعض المؤرخين ذلك بانشغاله بالحروب ، والفتن الداخلية التي ابتليت بها الدولة الإسلامية عقب مقتل عثمان بن عفان ﷺ [٤] .

---

(١) يعلي بن أبي عبيدة بن همام التميمي الحنظلي ، ويقال له أيضا : يعلي بن أمية ، أما منية فهي أمه ، صحابي من الولاه ، ومن الأغنياء الأسخياء ، وأول من أرخ الكتب ، كان من سكان مكة وحليفا لقريش ، وأسلم بعد فتح مكة ، وشهد الطائف وحنينا وتبوك مع النبي ﷺ ، واستعمله أبو بكر على حلوان بالعراق في حروب الردة ، ثم استعمله عمر على نجران ، واستعمله عثمان على اليمن ، فأقام بصنعاء ، وهو أول من ظاهر الكعبة بكسوتين أيام ولايته على اليمن ، صنع ذلك بأمر عثمان ﷺ ، ولما قتل عثمان انضم يعلي إلى الزبير وعائشة ، ويقال : حمل عائشة على الجمل الذي كان تحته في موقعة الجمل ، ثم صار من أتباع الخليفة علي بن أبي طالب بعد ذلك ، وقتل وهو معه في معركة صفين سنة ٣٧هـ ، روى عن النبي ﷺ ثمانية وعشرين حديثا ، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منها . الزركلي : الأعلام جـ ٨ ص ٢٠٤ ، الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ١٩٨٦م .

(٢) د. السيد الدقن : كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ص ٢٧ ، ط ١ ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ١٤٠٦هـ .

(٣) يوسف أحمد : المحمل والحج جـ١ ص ٢٣٥ ، وإبراهيم حلمي : كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج ، سلسلة كتاب اليوم ، العدد ٣٢٠ ، وإبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ص ٢٨١ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، والفاسي : شفاء الغرام جـ ١ =

وكساها عبد الله بن عمر ما كان يحلي به بدنه من قماش القباطي المصري والحبرات [١] ، والأنماط [٢] ، ويقال إن ابن عمر كان يكسي بدنه إذا أراد أن يحرم القباطي والحبرة ، فإذا كان يوم عرفة ألبسها إياها ، وإذا كان يوم النحر نزعها [٣] ، ثم أرسل بها إلى شيبة بن عثمان ، فناطها على الكعبة أن تكسى [٤] .

وفي عصر بني أمية اهتم خلفاؤها بكسوة الكعبة الشريفة اهتماما بالغا .

فكسى معاوية بن أبي سفيان الكعبة من بيت مال المسلمين كسوتين في العام : إحداهما من القباطي ، والثانية من الديباج [٥] ، فكانت تكسى

== ص ١٢٠ - ١٢١ ، وقطب الدين الحنفي : الأعلام (المعروف بتاريخ القطبي) ص ٦٩ ، المكتبة العلمية بمكة المشرفة (بدون تاريخ) .

(١) الحِبرات ـ بكسر الباء ـ : جمع حَبَرَة ، وهي ثوب من قطن أو كتان مخطوط ، كان يصنع باليمن . ابن منظور : لسان العرب جـ ٦ ص ٧٤٩ .

(٢) الأنماط : واحدها نمط ، وهو ضرب من البسط له خَمْلٌ رقيق ، والنسب إليه أنماطي ونمطي . ابن منظور : لسان العرب جـ ٦ ص ٤٥٤٩ .

(٣) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٤) حسين عبد الله باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٥٠ ، ويوسف أحمد : المحمل والحج جـ ١ ص ٢٣٦ .

(٥) هناك اختلاف حول أول من كسا الكعبة بالديباج ، فقد قيل : إنه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقيل معاوية ، كما قيل إنه ابنه يزيد ، وقيل عبد الملك بن مروان ، وقيل الحجاج بن يوسف . وتستطيع أن تقول : إن الكسوة عملت بالديباج زمن معاوية واصطحبها ابنه يزيد حين ولي إمارة الحج في عهد أبيه سنة ٥٠هـ ، ومن هنا نسبت إليه ، فالنصوص صريحة بأن يزيد كسا الكعبة بالديباج الخسرواني ، ==

الديباج يوم عاشوراء ، وتكسى القباطي في آخر شهر رمضان ابتهاجاً واستعدادا لعيد الفطر [١] .

كما أجرى معاوية الطيب للكعبة عند كل صلاة ، فكان يبعث بالطيب والمجمر [٢] والخلوق إلى الكعبة في وقتين من السنة ، مرة في رجب ، وأخرى في رفقة أمير الحج في كل موسم ، كما قام بتعيين عمال مهمتهم خدمة الكعبة من تنظيف ، وتطييب ، وتجمير [٣] ، كما أجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال .

فكان معاوية بذلك أول من خصص للكعبة كسوتين : في عاشوراء وفي رمضان ، وأول من أخدمها العبيد ، وأنار المسجد بالزيت من بيت المال ، ثم سار الخلفاء والولاة على نهجه في ذلك [٤] .

= فالديباج كلمة معربة ، وهي القماش المنقوش ، والخسرواني بمعنى الأبيض . تاريخ ابن خياط ص ٢١١ ، ود. سعاد ماهر : النسيج الإسلامي ص ٣٤ ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية ١٩٧٧م ، والعطار : الكسوة والكعبة ص ١٣٩ - ١٤٠ . وذكر ابن هشام أن أول من كسى الكعبة بالديباج : الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأنها كانت قبل ذلك بالقباطي والبروج (السيرة النبوية جـ ١ ص ١٣٢) .

(١) حسين باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٥١ .

(٢) المجمر ما يتجمر به ، وهو العود الرطب ، أما الخلوق فهو معروف ، ويتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، ويغلب عليه الصفرة والحمرة . الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٥٤ ، والفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٦ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٥٤ .

(٤) الأزرقي : نفس المصدر السابق ، والفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٠ ، وابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ١٠٩ - ١١٠ .

فقد تولى الخلافة بعد وفاته ابنه يزيد (٦٠ - ٦٤هـ) ، الذي كان حريصا على إرسال كسوة الكعبة في موعدها إلى مكة المكرمة ، على الرغم من سوء الأحوال السياسية والاضطرابات في بلاد الحجاز أثناء فترة خلافته ، وكان يكسوها الديباج الخسرواني (١) .

وبعد أن تمكن عبد الله بن الزبير من بسط سيطرته على مكة المكرمة بعد وفاة يزيد بن معاوية ، قام ببناء الكعبة المشرفة ، وعندما فرغ من بنائها سنة ٦٤هـ كساها بالديباج الخسرواني الذي كان يبعثه إليه أخوه مصعب (٢) من العراق في كل سنة ، وما زال يعمل ذلك إلى أن قتل رحمه الله (٣) ، وكان يكتب في ديباج كسوة الكعبة (في طرازها) :

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٥٤ ، وقد ذكر العطار أن يزيد كسى الكعبة بالديباج المصنوع في خراسان ، لأنه وجد كلمة « الخسرواني » ، واعتقد أنه مصنوع في خراسان . العطار : الكعبة والكسوة ص ١٤٠ ، بينما الحقيقة أن كلمة « خسرواني » تعني نسيج أبيض سادة . انظر : د. سعاد ماهر : النسيج الإسلامي ص ٣٤ ، والمرصفي : مشغولات الكسوة الشريفة ص ٧٨ .

(٢) مصعب بن الزبير بن العوام الأسدي ، والقرشي ، أمير العراقيين أبو عيسى ، وأبو عبد الله كان فارساً شجاعاً ، جميلا وسيما ، حارب المختار بن أبي عبيد الثقفي وقتله ، ثم سار لحربه عبد الملك بن مروان وقتله في سنة ٧٢هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ١٤٠ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٣٤٤ ، والقلقشندي : مآثر الأناقة جـ ١ ص ١٢٣ ، وصبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧٩ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة جـ ١ ص ٤٣٠ ، ويوسف أحمد : المحمل والحج جـ ١ ص ١٧٢ ، والعطار : الكسوة والكعبة ص ١٤٤ ، وحسين باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٩٣ .

« لعبد الله أبي بكر أمير المؤمنين ، كساها عبد الله بن الزبير » (١) .

كذلك كساها الحجاج بن يوسف الثقفي الديباج الخسرواني أيضا بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) (٢) ، ولعل الحجاج فعل ذلك تكفيرا عما فعله من رميها بالمنجنيق في قتاله ابن الزبير الذي كان معتصما بها .

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يبعث بكسوة الكعبة من الديباج كل عام من بلاد الشام ، ويمر بها الركب على المدينة المنورة ، لتنشر يوما في المسجد النبوي الشريف على الأساطين في مؤخرة المسجد ، ثم تُطوى الكسوة وتبعث إلى مكة المكرمة (٣) .

كذلك كان الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) يحرص على إرسال كسوة الكعبة في موعدها إلى مكة المكرمة ، وأحيانا كان يصطحبها معه وهو متوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، ففي سنة ٩١هـ تولى بنفسه إمارة الحج ، واصطحب معه كسوة الكعبة التي كانت من أفخر أنواع الديباج ، الذي لم يُر مثله قط في حينه ، وقدم بها إلى المدينة المنورة ، وفعل بها كما فعل أبوه عبد الملك من قبل ، حيث نشرها وعلقها بحبال في المسجد النبوي الشريف لمدة يوم ، ثم طويت ورفعت وبعث بها

---

(١) كان عبد الله بن الزبير يكنى « أبا بكر » . انظر : مصعب الزبيري : نسب قريش ص ٢٣٩ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ١ ص ١٣٢ ، وإبراهيم حلمي : كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج ، كتاب اليوم ، العدد ٣٢٠ ص ٣٨ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٢٥ ، ومحب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى ص ٤٧٤ ، والقلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧٩ .

إلى مكة المكرمة [١] .

وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) كُسِيت الكعبة ديباجا غليظاً ، وكان تحت هذا الديباج بعض الكساوي الأخرى من صنع اليمن [٢] .

وإلى جانب ما تقدم كان بنو أمية في بعض أيامهم يكسون الكعبة الحلل التي كانت على أهل نجران في جزيتهم ، والديباج من فوقها [٣] ، واستمر خلفاؤهم يرسلون الكسوة إلى الكعبة في موعدها حتى نهاية دولتهم .

موعد كسوة الكعبة :

أما عن موعد كسوة الكعبة في هذا العصر [٤] فقد كانت تكسى

---

(١) الأزرقي : مصدر سبق ذكره جـ ١ ص ٢٥٤ ، وحسين عبد الله باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٥٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ١٣٣ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشي جـ ٤ ص ٢٧٩ ، ويوسف أحمد : المحمل والحج جـ ١ ص ٢٣٧ ، ومحمد طاهر بن عبد القادر : التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة (د.ت.) .

(٤) كانت الكعبة المشرفة منذ فجر الإسلام تكسى يوم عاشوراء بعد عودة الحجيج إلى بلادهم ، وقد فعل بنو هاشم ذلك ، وكانوا يعلقون عليها القميص يوم التروية من الديباج ، لأن يرى الناس ذلك عليها بهاءا وجمالا ، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الأزرار ، فقد روى الأزرقي عن خالد بن المهاجر أن النبي ﷺ خطب الناس يوم عاشوراء ، فقال : « هذا يوم عاشوراء ، يوم تنقضي فيه السنة ، وتستر فيه الكعبة ، وترفع فيه الأعمال ، ولم يكتب عليكم صيامه ، ==

مرتين في العام ، إحداهما : في يوم عاشوراء ، والثانية : في آخر شهر رمضان ، وكان معاوية بن أبي سفيان هو أول من خصص للكعبة كسوتين في العام ، حيث كان يكسوها الديباج يوم عاشوراء ، والقباطي في التاسع والعشرين من شهر رمضان ابتهاجا واستعدادا لعيد الفطر المبارك [١] .

ومن بعده سار خلفاء بني أمية على هذا النهج حتى سقوط دولتهم على أيدي العباسيين .

تخصص مصر في صناعة الكسوة الشريفة :

ومما تجدر الإشارة إليه أن مصر قد حظيت بشرف صنع كسوة الكعبة منذ العصر الجاهلي ، وذلك لشهرتها بصنع الثياب الجيدة التي تعرف بالقباطي ، فقد رأينا أن النبي ﷺ كسا الكعبة القباطي والحبرات اليمنية [٢] ، ثم كساها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﵄ القباطي [٣] .

وفي عهد عمر فتحت مصر ، فأصبحت كسوة الكعبة ترد منها

== وأنا صائم ، فمن أحب منكم أن يصوم فليصم . الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٥٢ ، ود. أمينة الصاوي : الكعبة المشرفة ص ٢٣٩ .

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢) مجلة الفيصل ، العدد ١٢٦ ، أغسطس ١٩٨٧م ، دار الفيصل الثقافية بالسعودية، وإبراهيم حلمي : كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج ص ٣٧ ، وحسين عبد الله باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ص ٢٥٠ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢١ ، ود. إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٨١ .

بصفة رسمية ، حيث يقوم عامل الخليفة على مصر بصنعها ، وإرسالها إلى الكعبة بأمر الخليفة [١] ، وظل ذلك في عهد عثمان بن عفان ﷺ ، وإن كان قد جمع إلى القباطي المصرية البرود اليمنية [٢] .

ثم أصبح خلفاء بني أمية يأمرون بصنع الكسوة الشريفة في مصر وإرسالها إلى الكعبة كل عام ، باستثناء بعض السنوات التي كانت الكسوة تأتي فيها من خارج مصر ، وحينما تعددت الكسوة على الكعبة في العام الواحد كنا نجد أن أحدها تكون القباطي [٣] .

تجريد الكعبة من كسوتها :

أما عن تجريد الكعبة من كسوتها لتلبيسها كسوة جديدة فقد حدث هذا أول ما حدث في بداية العصر الذي نؤرخ له [٤] ، فقد أجمعت

---

(١) د. السيد الدقن : كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ص ١٢٧ ، وإبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٨١ .

(٢) يوسف أحمد : المحمل والحج جـ ١ ص ٢٣٥ ، وإبراهيم حلمي : كسوة الكعبة المشرفة فنون الحجاج ص ٣٨ .

(٣) د. السيد الدقن : مرجع سبق ذكره ص ١٢٧ .

(٤) لقد بقيت الكعبة منذ عهد الخليل إبراهيم عليه السلام بدون كسوة ، حتى جاء تبع الحميري ، فكساها ، وكان أول من فعل ذلك في أشهر الأقوال ، وقد ظلت الكعبة في الجاهلية إذا بليت كسوتها طرح فوقها ثوب آخر ، فقد روى الأزرقي عن ابن أبي مليكة أن الكعبة كانت تكسى في الجاهلية كِسىً شتى ... وكان هذا يهدى للكعبة فيعلق فتكسى منه الكعبة ، ويجعل ما بقي في خزانة الكعبة ، فإذا بلي منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب آخر ، ولا ينزع مما عليها شيء من ذلك . الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٥١ .

=

الروايات التاريخية على أن أول من جرد الكعبة من كسوتها تجريدا كاملا لتنظيفها ، وتخفيف ثياب الجاهلية عنها ، وإلباسها كسوة جديدة ، مع تطييبها بالعطر الغالي هو شيبة بن أبي طلحة الحجبي ـ الذي ينتهي إليه نسب سدنة الكعبة وهم الشيبيون ـ ، وذلك في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، وكانت قبل ذلك تجرد تجريدا جزئيا بقصد التخفيف عنها بعض الشيء ، ولم يكن تجريدا كاملا (١) ، فنروي عن ابن أبي مليكة قوله : « كان على الكعبة كسى كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع ، والأكسية والكرار والأنماط ، فكانت ركاما بعضها فوق بعض ، فلما كسيت في الإسلام من بيت المال ، كان يخفف عنها الشيء بعض الشيء ، وكانت تكسى في خلافة عمر وعثمان ﷺ القباطي ، يؤتى بها من مصر ،

= غير أن بقاء تلك الثياب الممزقة البالية على بيت الله الحرام شيء لا يقره الذوق السليم ، وأهل الجاهلية معذورون ، لأنهم ما فعلوا ذلك إلا عن اعتقاد وحسن نية ، فلما جاء الإسلام تنورت الأفكار ، وأخذ المسلمون يجردون الكعبة من كسوتها القديمة عند تلبيسها كسوة جديدة .

(١) كان عمر بن الخطاب ﷺ ينزع الكسوة القديمة كل سنة ويفرقها على الحجاج لكي يستظلوا بها بعد وضعها على نوع من الأشجار بمكة اسمه السمر السيد سابق : فقه السنة جـ ١ ص ٧٦١ ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ) .

وقيل أنه ﷺ وجد شيئا من الكسوة القديمة على حائض ، فأمر بحفر حفرة ، وألقى فيها الكسوة القديمة ، وأهال التراب عليها ، خوفا من أن يلبسها جنب أو حائض ، فقالت له أم المؤمنين عائشة ﷺ : « إن ثياب الكعبة إذا نزعت لا يضرها من لبسها من حائض ، ولكن بعها ، واجعل ثمنها في سبيل الله وابن السبيل » ، فكان ما أشارت به عائشة ﷺ . لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ص ١٣٩

غير أن عثمان ﷺ كساها سنة برودا ، أمر بعملها عامله على اليمـن يعلي بن منية ، فكان أول من ظاهر لها كسوتين (أي وضعهما فوق بعضهما) »(١) .

فلما كان عهد معاوية بن أبي سفيان كساها الديباج مع القباطي ، فكتب إليه شيبة بن عثمان الحجبي في أمر تراكم أكسية الكعبة فوق بعضها البعض وقال : « لو طرح عنها ما عليها من كسى الجاهلية فخفف عنها حتى لا يكون مما مسه المشركون شيء لنجاستهم » ، فأمره بتجريد الكعبة مما عليها من كسا ، ويخلقها بالطيب ، ويلبسها ما جهزه إليها من ديباج وقباطي وحبرة ، ففعل وقسم الثياب التي كانت عليها على أهـل مكة ، وكان ابن عباس حاضرا في المسجد الحرام وهم يجردونها ، فما أنكر ذلك وما كره (٢) ، ثم سار على نهج معاوية الخلفاء من بعده حتى نهاية دولتهم .

تطييب الكعبة المشرفة :

لم نعثر في المصادر التاريخية ـ التي بين أيدينا ـ على ما يفيد أن أحدا قـد طيب الكعبة بصورة منظمة قبل العصر الأمـوي ، لا في

---

(١) يوسف أحمد : المحمل والحج جـ ١ ص ٢٣٥ ، إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ص ٢٨١ .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، وقطب الدين الحنفي : الأعلام ص ٧١ - ٧٢ ، ومحب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى ص ٤٧٦ - ٤٧٧ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م ، ويوسف أحمد : المحمل والحج جـ ١ ص ٢٨٢ .

الجاهلية [١] ، أو في صدر الإسلام (عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين) ، وكل ما وجدناه تناقله المؤرخون هو قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « طيبوا البيت ، فإن ذلك من تطهيره ، وأطيب الكعبة أحب إلي من أن أهدي لها ذهبا وفضة » [٢] .

أما في العصر الأموي فكانت الكعبة تطيب بصورة منتظمة ، وكان معاوية بن أبي سفيان أول من طيبها بالخلوق والمجمر ، فأجرى لها وظيفة الطيب عند كل صلاة ، وكان يبعث لها بالمجمر والخلوق مرتين في السنة في موسم الحج ، وفي شهر رجب [٣] .

ويبدو لي أن السبب في كون معاوية هو أول من أجرى وظيفة الطيب للكعبة يرجع إلى أن الكعبة لم تجرد من كسوتها تجريدا كاملا إلا في عهده ، وأما قبل ذلك فكانت تخفف من الكسي التي كان عليها الشيء بعد الشيء دون الكشف عن جدرانها ، فلما كان عهد معاوية بعث إليه شيبة بن عثمان الحجي قائلا : « لو طرحت ما عليها من كسى الجاهلية حتى لا يكون مما مسه المشركون شيء لنجاسته » ، فرد عليه معاوية أن جردها ، فجردها من كل الكسى التي كانت عليها ، ثم خلق جدرانها كلها ، وطيبها قبل أن يكسوها الكسوة التي بعث بها معاوية - كما سبق أن أشرنا إلى ذلك - ، ثم زاد معاوية لها الطيب لتطيب عند

---

(١) لم نعثر إلا على بعض إشارات تفيد أن الكعبة كان يهدى إليها في الجاهلية خلوق ومجمر ، وكانت تطيب به من داخلها ومن خارجها .

(٢) خرّجه الأزرقي في تاريخه جـ ١ ص ١٧٩ .

(٣) الأزرقي جـ ١ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

كل صلاة[١] .

وبعد أن تمكن ابن الزبير من بسط سيطرته على مكة المكرمة أثناء خروجه على بني أمية ، اهتم بتطييب الكعبة ، فعندما فرغ من بنائها سنة ٦٤هـ خلَّق[٢] ظاهرها وباطنها بالمسك والعنبر من أعلاها إلى أسفلها ، وكان يطيبها كل يوم برطل من الطيب ، وفي يوم الجمعة برطلين ، حتى إن ريحها كان يوجد من مسافة بعيدة[٣] .

كما كان عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) يرسل كل عام الكسوة للكعبة مصحوبة بالطيب والمجمر ، إليها وإلى مسجد رسول الله ﷺ[٤] .

أما الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) فكان يرسل في كل موسم مع أمير الحج الكسوة والطيب للكعبة ، بالإضافة إلى المجمر والخلوق ، التي أصبح إرسالها عادة سنوية ترافق وصول أمير الحج في كل موسم[٥] .

---

(١) الأزرقي جـ ١ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، والفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٦ .

(٢) خلقها : طيبها بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران . أحمد المكي : أخبار الكرام ص ١٦٤ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ١٢٦ ، وابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ١٠٩ ، والأزرقي : تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٥٧ .

(٤) الأزرقي : تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٥٥ ، ومحب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى ص ٢٧٤ ، والقلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧٩ .

(٥) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٥٤ .

وقد ظل خلفاء بني أمية يهتمون بتطييب الكعبة بصورة منتظمة حتى نهاية العصر الأموي .

ثانيا : عمارة المسجد الحرام :

لم يكن المسجد الحرام على عهد النبي ﷺ يتعدى حدود المطاف ، وهو الفضاء المرصوف الذي يحيط به الكعبة ، وكانت تحيط به الدور من جميع الجهات ، تتخللها فتحات على شكل أبواب يدخل منها الناس (١) .

وظل المسجد على هذا الحال أيضا في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حيث أنه لم يهتم بتوسعته لانشغاله بالقضاء على الفتن التي

---

(١) يبدأ تاريخ المسجد الحرام منذ ظهور الإسلام ، أما قبل ذلك فقد كانت الكعبة قائمة في مكانها ، وليس حولها إلا الفضاء الممتد إلى جميع الجهات ، فلم تكن ثمة دور ولا سور ، لأن القبائل التي سكنت مكة من العمالقة وجرهم وخزاعة وقريش وغيرهم ، كانوا يقطنون في شعاب مكة ، ويتركون ما حول الكعبة تعظيما لشأن البيت العتيق ، وظل الأمر هكذا حتى انتقلت رئاسة مكة إلى قصي ابن كلاب ، الجد الخامس للرسول ﷺ ، فجمع بطون قريش ، وأمرهم أن يبنوا بيوتهم حول الكعبة ، وقال لهم : « إن سكنتم حول البيت هابتكم الناس ، ولن تستحل قتالكم ، والهجوم عليكم » ، وبدأ قصي ، فبنى دار الندوة في الجانب الشمالي ، ويقع مكانها الآن في فتحة باب الزيادة ، وهو أحد أبواب الحرم ، وبنت قريش بيوتها حول الكعبة ، وكان كل بيت منها على هيئة دائرة ، حتى لا تكون شبيهة لبناء الكعبة المربع الأضلاع ، وكان ارتفاعها أقل من ارتفاع الكعبة احتراماً لها ، وكان لكل بيت باب يتجه إلى الكعبة ، وبين كل بيتين ممر يفضي إلى المطاف . محمد كامل حته : لبيك اللهم لبيك ، سلسلة كتاب الشعب عدد ٨١ ، مطابع الشعب ١٩٦٠م .

حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ [١] .

فلما كان عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصبح المسجد يضيق بالمصلين ، وخاصة في موسم الزيارة قبل الحج وبعده [٢] ، وقد لاحظ ذلك الخليفة عمر ، فقرر [٣] أن يعيد بناءه وتوسعته ، فأمر بشراء الدور المجاورة حول المسجد وهدمها ، وضم مساحتها إليه ، غير أن بعض أصحاب هذه الدور أبوا وتمنعوا من البيع ، فأجلاهم الخليفة عنها ، ووضع لهم ثمنها في خزانة الكعبة حتى أخذوها بعد ذلك [٤] .

وقد أجرى الخليفة عمر رضي الله عنه تعديلات يسيرة في المسجد الحرام ، فنقل مقام إبراهيم عليه السلام ـ وكان ملصقا بالكعبة ـ إلى مكانه اليوم بعيداً عنها ، تيسيراً على الطائفين والمصلين [٥] ، وعمل عليه

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٣٠٦ ، د. فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ٨٧ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، القسم الأول ص ٥٣ ، مكتبة دار النهضة المصرية .

(٣) ذكر لنا الطبري أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء إلى مكة سنة ١٧هـ لأداء العمرة ، فشاهد بنفسه ضيق المسجد الحرام بالمصلين وما يعانونه لكثرتهم ومضايقتهم فيه . تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ٦٨ .

(٤) الطبري : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٥٣٧ ، والفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٤ .

(٥) عبد الرازق بن همام الصنعاني (ت ١٢١١هـ) ، المصنف جـ ٥ ص ٤٧ - ٤٨ ، تحقيق حبيب عبد الرحمن الأعظمي ، الطبعة الأولى ، دار العلم ـ بيروت ١٣٩٠هـ ، والفاكهي : تاريخ مكة جـ ١ ص ٤٥٤ - ٤٥٦ ، تحقيق عبد الملك ابن عبد الله بن دهيش ، مكتبة النهضة ، مكة المكرمة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، وابن حجر : فتح الباري جـ ٨ ص ١٦٩ ، نشر المكتبة السلفية بالقاهرة .

المقصورة (١) ، كما أحاط المسجد بجدران قصيرة دون القامة (٢) ، توضع عليها المصابيح لإنارته ، وجعل لهذا الجدران أبوابا مثلما كان قبل الهدم ، وقد تم ذلك في سنة ١٧هـ (٣) .

ولذا يمكننا القول أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ هو أول من وسع المسجد الحرام من الخلفاء ، وأول من اتخذ له جدارا ، وأول من جعل له مصابيح لإنارته ليلا ، كما أنه أول من جمّر الكعبة المشرفة ، حيث أتى إليها بمجمرة من الفضة بها تماثيل من بلاد الشام ، فوضعها عند أحد المؤذنين ، وأمر أن يجمر بها الكعبة في كل يوم جمعة ، وفي شهر رمضان (٤) .

وفي خلافة عثمان بن عفان ﷺ ازداد عدد المسلمين الوافدين إلى مكة من جميع الأقطار الإسلامية ، وأصبح المسجد لا يتسع بالمصلين ، وقد لاحظ ذلك سيدنا عثمان ﷺ عندما قدم إلى مكة معتمرا في السنة السادسة والعشرين للهجرة (٥) ، فأمر بتوسعة المسجد الحرام ، وشراء

---

(١) ابن حجر : فتح الباري جـ ٨ ص ١٦٩ .

(٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ١٩٧ ، ط ٢ ، مصر ١٩٣٨م .

(٣) حسين باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٣٩ ، دار مصر للطباعة .

(٤) المأموني إبراهيم : تهنئة أهل الإسلام بتجديد بيت الله الحرام (مخطوط) ، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ص ٥٩ ، ورفعت باشا : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٦٣ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٢٥م . وقد ظلت تلك المجمرة على هذا الحال ، حتى قدم إبراهيم بن يحيى بن محمد بن العباس إلى مكة واليا عليها سنة ١٦٠هـ ، فأمر بها فغيرت ، وجعلها قناديل للمسجد الحرام بيد مولى المؤذنين .

(٥) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٦٩ .

الدور المجاورة له ليوسع بها مساحته ، إلا أن بعض أصحاب هذه الدور امتنعوا عن بيع دورهم ، ورفضوا قبض ثمنها [١] ، ولكن المصلحة العامة اقتضت أخذها الدور ولو كُرهاً مقابل التعويض المالي العادل ، لذا تصرف الخليفة عثمان مثلما تصرف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قبل ذلك ، حيث أمر بهدم هذه الدور ، فصاح به أصحابها ، فقال لهم : « إنما جرأكم عليَّ حلمي عنكم ، فقد فعل بكم عمر مثل هذا ، فلم يصح به أحد » [٢] ، ثم أمر بحبسهم ، فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد ، فأخلى عثمان سبيلهم ، وأخذوا ثمن دورهم [٣] ، وبعد أن تمت توسعة المسجد الحرام أصبح يسع المصلين والوافدين إلى مكة لأداء فريضة الحج والعمرة [٤] .

ويعتبر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أول من اتخذ الأروقة [٥] في المسجد الحرام لكي يتظلل بها المصلون من حرارة الشمس صيفا ،

---

(١) المأموني : تهنئة أهل الإسلام ، ورقة ٨١ .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٦٩ ، وابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ١٩٧ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٣ ص ٨٧ ، دار صادر - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٦٨ - ٦٩ ، والمأموني : تهنئة أهل الإسلام ص ٨١ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك مجلد ٤ ص ٢٥٦ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٣ ص ٨٧ .

(٤) د. فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ٩٦ .

(٥) الأروقة : جمع رَوْق ، وهو سقف في مقدم البيت ، أما الرواق فهو سترٌ يُمَد دون السقف ، يقال : بيت مُرَوَّق . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٣ ص ١٧٨٠ .

والأمطار شتاءً [١] ، لأن المسجد كان غير مسقوف ، وكان الناس يجلسون حول الكعبة المشرفة في العراء [٢] .

وقد ظل المسجد الحرام على هذا الحال ، لم يحدث فيه أي تعمير حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين .

وفي العصر الأموي اهتم خلفاء بني أمية وغيرهم من الأمراء بتعمير وتوسعة المسجد الحرام .

وكان معاوية بن أبي سفيان أول هؤلاء الخلفاء اهتماما بتعمير هذا المسجد ، فعندما قدم من الشام إلى مكة سنة ٤٤هـ ليؤدي فريضة الحج ، أحضر معه منبراً من خشب يتكون من ثلاث درجات ليخطب عليه في موسم الحج ، وقد خطب عليه في المسجد الحرام ، ثم تركه فيه [٣] .

---

(١) المأموني : تهنئة أهل الإسلام ص ٨١ ، والنابلسي (عبد الغني بن إسماعيل) : الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الشام ومصر والحجاز ص ٤٤٥ ، إعداد وتقديم د. أحمد عبد المجيد هريدي ، القاهرة ١٩٨٦ ، والقطبي (محب الدين) : إعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٥ تاريخ ص ٦٤ . ويذكر يحيى بن الحسين أن عثمان بن عفان ﷺ كان أول من بنى المنارات للأذان ، وأنها كانت في زمانه مربعة الشكل ، ولكنه لم يذكر أين بناها هل في المسجد الحرام بمكة ؟ أو في المسجد النبوي ؟ أو في الاثنين معا ؟ (يحيى ابن الحسين : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الجزء الأول ص ٨٩ ، دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) .

(٢) المأموني : تهنئة أهل الإسلام ص ٨١ ، ود. فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ٨٦ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٠٠ وما بعدها ، والجزيري : درر الفوائد ==

وبذلك يعتبر معاوية أول من أدخل المنبر في المسجد الحرام [(١)] ، كما يعتبر أول من أجرى لهذا المسجد زيتا وقناديل من بيت المال للإضاءة ، حتى يتمكن الحجاج والمصلون من أداء شعائرهم ليلا في أمن وطمأنينة [(٢)] .

كذلك حدثت في المسجد الحرام حركة تعمير وتوسعة في العصر الأموي على يد عبد الله بن الزبير ، وذلك أنه في نفس العام الذي جدّد فيه الكعبة ، عمل على توسعة المسجد الحرام من جهة الشرق بامتداد الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي [(٣)] ، واشترى الدور التي تقع في هذه الجهة ، حيث أزالها ، وأضاف أرضها في التوسعة ، وعمل للمسجد سقفاً محمولا على عمد رخام ، وزاد في عدد أبوابه وحسنها ، وبلط الصحن حول المطاف بالحجارة المتبقية من بناء الكعبة بمساحة مقدارها عشرة أذرع [(٤)] ، وهو بهذا يعتبر أول من بلط

= المنظمة ص ١٩٥ ، والرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ص ٩٣ ، ود. حسن الباشا : المدخل للآثار الإسلامية ص ١١٣ - ١١٤ ، دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٩م ، ويذكر الأزرقي أن هذا المنبر قد ظل في المسجد الحرام ، وكان يعمر كلما خُرّب ، ثم نقل إلى عرفات في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ) ، واستبدل به منبراً آخر .

(١) لم يكن للمسجد الحرام على عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين منبر ، وكان الخلفاء والأمراء في مواسم الحج ، وغيرها من المناسبات يخطبون قياما على أرجلهم في وجه الكعبة وفي الحجر .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٨٦ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٤ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٦٩ - ٧٠ ، ويوسف أحمد : المحمل والحج =

المطاف [١] .

أما الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) فقد اهتم اهتماماً كبيراً بعمارة المسجد الحرام .

فعندما وصل إلى مكة حاجًا في سنة ٧٥هـ ، أرسل إلى أكبر شيخين من قبيلتي : خزاعة ، وبكر ، وكلفهم بتجديد أنصاب الحرم [٢] (أي حدوده) ، كما أحب أن يسهم في عمارة هذا المسجد وخاصة بعد تهدمه من حجارة المنجنيق التي كانت تلقى عليه من قبل جيش قائده الحجاج بن يوسف الثقفي ، حين محاربته لابن الزبير ، فأمر الخليفة عبد الملك برفع جدرانه ، كما قام بتسقيفه بخشب الساج الذي يُعد من أفخر أنواع الخشب [٣] ، وزين رؤوس الأعمدة بالذهب ، فجعل على رأس كل عمود ما يوازي خمسين مثقالا من الذهب ، وجعل له

== جـ ١ ص ١٤٦ .

(١) الفاكهي : المنتقى في أخبار أم القرى ص ٥ ، باعتناء المستشرق الألماني فرديناند وستيفلد ، طبعة أوربا ، والفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٣١٨ ، والجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ١٩٨ .

(٢) لقد سبق أن أصلحت ، ورممت أنصاب الحرم المكي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سنة ١٧هـ ، ثم في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ سنة ٢٦هـ. الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، مجلد ٤ ص ٦٩ ، ٢٥١ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٢ ص ٥٣٧ ، مجلد ٣ ص ٨٧ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٧ ص ٧٨ ، ١٥٠ ، والمقريزي : الذهب المسبوك ص ١٤ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٧١ ، وابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ٩٨ .

سرادقات (١) (٢) .

كذلك أمر الخليفة عبد الملك بن مروان عامله على مكة خالد بن عبد الله القسري (٣) بإضاءة الشارع الذي يقع بين الصفا والمروة ، فوضع مصباحاً كبيراً مقابل الركن الأسود ، وجعله معلقاً على عمود ، ويعتبر هذا المصباح أول مصباح اتخذ في المسجد الحرام رسمياً ، وكان جيران هذا المسجد قبل ذلك يضعون مصابيحهم فوق حوائط دورهم لينتفع الطائفون بضوئها (٤) .

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٧١ ، والفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٥ ، ويوسف أحمد : المحمل والحج جـ ١ ص ١٤٧ .

(٢) السرادقات : جمع سرادق ، وهو كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء . وقال الجوهري : السرادق واحد السرادقات التي تمد فوق سطح الدار ، وكل بيت من كُرسُف فهو سرادق . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٣ ص ١٩٨٨م .

(٣) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القرشي ، من بجيلة ، ويكنى بأبي الهيثم ، أحد خطباء العرب وأجودهم ، ولد سنة ٦٦هـ ، وتولى الحجاز ، وبلاد العراق لبني أمية ، وقتل سنة ١٢٦هـ على يد يوسف بن عمر الثقفي .
راجع ترجمته بالتفصيل عند ابن عساكر : تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٥٨ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٢٦ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ ص ٤٢٥ .

(٤) من هؤلاء جد المؤرخ الأزرقي ، المسمى عقبة بن الأزرق ، الذي كان يضع المصباح فوق طرف داره ، ليضيء للطائفين بالبيت العتيق ، غير أن والي مكة حينئذ وهو خالد بن عبد الله القسري قد منع عقبة هذا من وضع المصباح ، ووضع مصباح زمزم مقابل الركن الأسود (الحجر الأسود) . أحمد السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ١١٧ ، الطبعة الثانية ـ مكة المكرمة ١٣٨٥هـ .

كما أهدى الخليفة عبد الملك إلى الكعبة المشرفة شمسيتين من الديباج ، وقدحين من زجاج علقا في سقفها [١] .

ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة بعد موت أبيه (٨٦ - ٩٦هـ) ، قام بأعمال معمارية كثيرة ومهمة في المسجد الحرام [٢] ، وقد ذكر لنا المؤرخ الأزرقي جانبا من هذه الأعمال حيث قال [٣] : « إنه أول من نقل إليه (المسجد الحرام)" أساطير الرخام [٤] (أي الأعمدة) ، وسقفه بالساج المزخرف ، وجعل على رؤوس الأساطين صفائح الذهب الذي يشبه الصفر [٥] ، كما أزر جدران المسجد من داخله بالرخام [٦] ،

---

(١) أحمد السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ١١٧ .

(٢) من المعلوم أن عهد الخليفة الوليد كان عهد بناء وتعمير ، فهو شديد الاهتمام بالعمارات والأبنية ، واتخاذ المصانع والضياع ، وكان الناس يلتقون في زمانه ، فيسأل بعضهم بعضا عن الأبنية والعمارات . ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ص ١٢٧ ، دار صادر - بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م . فقد قام ببناء الجامع الأموي بدمشق ، كما قام بتعمير المسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد قباء ، وهو أول من اتخذ البيمارستانات للمرضى في الإسلام وأوقف عليها ، وكذلك قام برعاية المقعدين اجتماعيا ، إلى غير ذلك من الأعمال . الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٩٧ ، ومؤلف مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق جـ ٣ ص ١٢ ، مكتبة المثنى ببغداد .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٧١ .

(٤) أساطين : جمع اسطوانة ، وهي السارية ، والرخام حجر أبيض سهل رخو . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٣ ص ٢٠٠٤ .

(٥) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٥ .

(٦) أزر جدران المسجد : أي جعل له وزره في أسفل الجدران .

وكسا أرضيته بالرخام الأحمر ، والأخضر ، والأبيض الذي أحضره من بلاد الشام [١] ، كما توج جدران المسجد بالشرفات [٢] ، وجعل في وجوه الطيقان (أي النوافذ) من أعلاها الفسيفساء [٣] » .

كذلك كتب الخليفة الوليد إلى عامله على مكة المكرمة خالد بن عبد الله القسري أن يضرب صفائح الذهب على بابي الكعبة وميزابها ، والأساطين التي في بطنها ، والأركان في جوفها ، وبعث إليه بثلاثين ألف

---

(١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٧٤ ، ويذكر المؤرخون أن الخليفة الوليد بعث إلى ملك الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله ﷺ ليعمره ، وطلب منه أن يعينه في ذلك ، فبعث إليه ملك الروم بمائة ألف مثقال ذهب ، ومائة عامل ، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملا ، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز ، فأصلح به المسجد . اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي مجلد ٢ ص ٢٨٤ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك مجلد ٦ ص ٤٣٦ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد ٤ ص ٥٣٢ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٨٩ .

(٢) الشرفات : مفردها شرفة ، وهي كتل حجرية متنوعة الأشكال ، منها المثلث أو المربع أو المدبب ، ومنها ما هو على شكل زهرة اللوتس ، ومنها المسنن المائل ، وترمى في كتل متقاربة في أعلى جدران المساجد والأسوار ، وعادة تتوج بها الأبنية الهامة . د. فريد شافعي : العمارة العربية ، مجلد ١ ص ١٨٠ ، طبع النهضة المصرية العامة ١٩٧٠م ، وتوفيق أحمد عبد الجواد : تاريخ العمارة والفنون الإسلامية جـ ٣ ص ٦٧ ، طبع الفنية الحديثة .

(٣) ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف ص ١٩٨ . والفسيفساء : ألوان تؤلف من الخرز ، فتوضع في الحيطان يؤلف بعض على بعض ، وتركب في حيطان البيوت من داخل ، كأنه نقش مصور ، والفسيفساء كلمة غير عربية . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٥ ص ٣٤١٣ .

دينار لإنجاز هذا كله [١] ، كما أمر بإحضار الرخام من بلاد الشام ، ففرشت به الكعبة ، وأزر جدرانها [٢] ، فكان بهذا كله أول من رخم البيت وذهبه في الإسلام [٣] .

ثالثا : عمارة المسجد النبوي الشريف :

كان من أول الأعمال التي قام بها رسول الله ﷺ فور وصوله إلى المدينة المنورة بناء المسجد النبوي ، لكي تظهر فيه شعائر الإسلام ، التي طالما حوربت ، وتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين .

وقد اختار له الموضع الذي بركت فيه ناقته ، وكان مكانا يجفف فيه التمر ، ويصلي فيه رجال من المسلمين ، وكان مملوكا لغلامين من الأنصار ، فدعاهما رسول الله ﷺ وساومهما على بيعه ليتخذه مسجدا فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله ﷺ ، حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير ، وأمر أبا بكر أن يعطيهما ذلك [٤] .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، مجلد ٢ ص ٢٨٤ .

(٢) ذكر بعض المؤرخين أن الخليفة الوليد جمّل ميزاب الكعبة المشرفة وسقفها بالذهب والفضة ، وأن الحلية التي حلّي بها الكعبة المشرفة هي ما كان على مائدة سليمان بن داود من ذهب وفضة قد حملت من مدينة طليطلة بالأندلس إلى مكة المكرمة وقد حملها بغل قوي تفسّخ جلده من شدة الحمل ، وكان بها أطواق ياقوت وزبرجد . قطب الدين المكي : الأعلام ص ٨٥ ، والمأموني : تهنئة أهل الإسلام ص ٥٩ وما بعدها ، وأحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص ٥٩ ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٧م .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ١ ص ٢١١ - ٢١٢ ، واليعقوبي : مجلد٢ ص ٢٨٤.

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٣٩ .

وكان في المكان نخل وحفر وبعض قبور المشركين ، فأمر الرسول ﷺ بالنخل فقطع ، وبقبور المشركين فنبشت ، وبالحفر فسويت ، وصفوا النخل في قبلة المسجد ـ والقبلة إذ ذاك بيت المقدس ـ ، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخرة مائة ذراع ، والجانبين مثل ذلك ، وجعل أساسه ثلاثة أذرع ، وعضادتيه من الحجارة ، ثم بنوه باللبن . وكانت عمده من جذع النخل ، وسقفه من الجريد ، يكاد الواقف أن يمس سقفه بيده ، وكان به ثلاثة أروقة في الجهة القبلية ، وله رحبة وثلاثة أبواب : باب في جهته الجنوبيّة ، والباب الثاني : باب عاتكة ، أو الذي يسمى الآن باب الرحمة ، والثالث : باب آل عثمان ، وهو باب جبريل الآن ، وقد سد الباب الأول لما حولت القبلة ، وجعل بدله بابا يقابله في الجهة الشمالية ، وكانت قبلته إلى بيت المقدس ، أي الجهة الشمالية ، وقد صلى النبي ﷺ والمسلمون إلى هذه القبلة سبعة عشر شهرا ، ثم تحولوا إلى المسجد الحرام ، ولما فرغ رسول الله ﷺ من بناء المسجد تزوج بعائشة في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد ، وهو مكان حجرته اليوم ، كما بنى بيتا آخر لزوجته سودة ، وبنى في أوقات مختلفة بيتا لأزواجه الأخريات [١] كانت جنوبي المسجد ، يفصلها عن طريق عرضه خمسة أذرع [٢] ، ولما قدم رسول الله ﷺ من غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة ، زاد في المسجد من جهة الشرق والغرب والشمال ، حتى صار

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ١ ص ١٠١ - ١٠٢ ، وابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٤٠ ، وابن قيم : الجوزية : زاد المعاد جـ ٢ ص ٦٢ - ٦٣ ، طبع مصطفى البابي الحلبي وشركاه ١٣٩٠هـ .

(٢) دخلت كل هذه البيوت في المسجد أثناء إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة المنورة ـ كما سنرى فيما بعد .

مربعًا طول ضلعه مائة ذراع في خمسين مترا .

وفي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه تم تجديد سقف المسجد النبوي وسواريه ، ولكن لم تستعمل في التجديد مواد أخرى غير جزع النخل وجريده ، كما لم تتم توسعة المسجد (١) .

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يعد المسجد النبوي يستوعب الأعداد المتزايدة من المصلين وخاصة في موسم الزيارة قبل الحج وبعده ، كما أن بعض سواريه ـ وهي من جزوع النخل ـ قد نخرت ، لذا قرر عمر أن يعيد بناءه وتوسعته ، فطلب من أصحاب الدور المجاورة من جهاته الشمالية والجنوبية والغربية أن يبيعوها ليدخلها في المسجد ، فباعه بعضهم ، وتصدق بعضهم الآخر ، وامتنع العباس بن عبد المطلب أول الأمر ، لأن البيت الذي يسكنه أقطعه إياه رسول الله ﷺ ودعا له فيه بالخير ، ولأنه ظن أن عمر سيأخذه منه غصباً ، ولكنه ما لبث أن تصدق بالبيت كله ، فكافأه عمر ببيت بديل بناه له من بيت المال (٢) .

وقد بدأ العمل في المسجد في العام السابع عشر للهجرة ، فهدمت الدور المجاورة من جهاته الثلاث ، وأعيد تخطيط المسجد وبناؤه على

---

(١) صحيح البخاري جـ ١ ص ١٢١ ، دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ، ومسند ابن حنبل جـ ٢ ص ١٣ ، طبع بيروت ، مصر ١٣٢١هـ ، وسنن أبي داود جـ ١ ص ١٢٣ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٧١هـ .

(٢) ابن سعد : الطبقات جـ ٤ ص ٢١ ، ٢٢ ، دار صادر ـ بيروت ، ويعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ) : المعرفة والتاريخ جـ ١ ص ٥١٢ ، تحقيق أكرم العمري ، نشر مكتبة الدار ، المدينة المنورة ١٤١٠هـ ، والحاكم المستدرك جـ ٣ ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

هيئته التي كان عليها ، ولكن بحجم أكبر ، حيث زادت مساحته من جهة القبلة عشرة أذرع ، ومن جهته الغربية عشرين ذراعا ، ومن جهته الشمالية سبعين ذراعا [١] ، ولم يزد شيئا من الجهة الشرقية ، وجعلت جدرانه من اللبن ، وسواريه من الحجارة ، وعمده من الخشب [٢] ، وسقفه من الجريد ، وكساه ليحمي الناس من المطر ، ونهى عن زخرفته بحمرة أو صفرة لئلا يفتتن الناس في صلاتهم ، ورصف أرضه بالحصباء التي جيء بها من العقيق [٣] ، وجعل له ستة أبواب : بابان في الجهة الغربية حذاء باب الرحمة ، وبابان في الجهة الشرقية ، الثاني منهما حذاء باب النساء ، والأول باب آل عثمان الذي لم يتغير ، وبابان في الجهة الشمالية ، ولم ينته العام السابع عشر للهجرة حتى عاد الناس يصلون في المسجد ، وقد اتسعت رحبته ، وفرشت أرضه بالحصير بعد أن كان مفروشا بالحصى من قبل ، وخصصت في خارج المسجد في جهته الشمالية الشرقية ساحة لمن يريد أن يجلس ويتحدث ويتناشد الأشعار للحفاظ على هيبة المسجد بعيدا عن لغط الحياة اليومية ، والأصوات العالية [٤] .

وفي العام التاسع والعشرين للهجرة رأى الخليفة عثمان بن عفان

---

(١) غالي : محمد الأمين الشنقيطي : الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ص ٨٣ ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة .

(٢) صحيح البخاري جـ ١ ص ٨٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ٢٨٤ .

(٤) د. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة جـ ١ ص ٢٧٤ وما بعدها ، ط ١ ـ المدينة المنورة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

ﷺ المسجد يضيق بالناس وبخاصة يوم الجمعة ، حيث يتوافدون من الأحياء البعيدة وضواحي المدينة ، وشكا بعض الناس بالضيق ، فاستشار عثمان كبار الصحابة في أن يعيد بناء المسجد ويوسعه ، فاستحسنوا رأيه ، فصلى الظهر بالناس ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إني رأيت أن أهدم مسجد رسول الله ﷺ وأزيد فيه ، وأشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بنى لله مسجدا بنى الله تعالى له بيتا في الجنة » ، وقد رأيت أن لي فيه سلفا وهو الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه زاد فيه وبناه ، وقد شاورت أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ على هدمه وبنائه وتوسعته ، فحسن الناس ذلك ودعوا له (١) .

وفي صبيحة اليوم الأول من شهر ربيع الأول عام تسعة وعشرين للهجرة بدأ العمال يزيلون سقف الجريد والجدران الطينية للمسجد ، وعمل عثمان معهم بنفسه ، واستمر يتردد عليهم كل يوم ، فينظر ما ينجزون .. ثم بدأت عملية البناء ، واستغرق العمل عشرة أشهر متلاحقة وعثمان وكبار الصحابة يترددون على الموقع ويتشاورون ، وكانت الحجارة تنقل من جبال المدينة وتنحت وتنقش وترفع به الجدران وأعمدة المسجد ، ويصب الرصاص في أصول الأعمدة وامتدادها ، ويرتفع البناء يوما بعد يوم وعثمان لا يغيب عنه يوما ، وإذا حضرت الصلاة صلى بمن هو موجود في المكان ، وفي شهر المحرم عام ثلاثين للهجرة انتهى العمل في المسجد ، وارتفع سقفه بأعمدة حجرية مدعمة بالرصاص ، ووضعت فتحات للتهوية والإنارة ، وجصصت جدرانه ، وبنيت مقصورة من لبن طيني عند المحراب ليصلي فيها الخليفة ، وكان لجدار المقصورة فتحات

---

(١) د. عبد الباسط بدر ، مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ٢٩٥ .

يرى منها الإمام .

وقد كلف عثمان حارسا خلفه تحسبا من عدوان غادر كعدوان أبي لؤلؤة على عمر رضي الله عنه ، ثم فرش المسجد وطيبه بعطر تفوح رائحته على المصلين ، وجعل له إضاءة ليلية (١) .

وتقاطر المسلمون في أول جمعة من شهر المحرم على المسجد ، ودخلوا فرأوا سقفه المرتفع ، وجدرانه الحجرية المجصصة ، وأعمدته المنقوشة ، ورأوا سعته التي تستوعب الأعداد الكبيرة (٢) ، وقد دهش الكثيرون من هذا التغيير ، فسر به بعضهم ، وأنكره بعضهم الآخر ، ورأوا في التجديدات المحدثة مخالفة لما كان عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فذكرهم عثمان أنه أخبرهم بما سيفعله قبل أن يبدأ العمل ، وأنهم وافقوا عليه ، ومن قبلهم وافق أهل الرأي من الصحابة ، وبين لهم مميزات ما فعل ، فأقره أكثر الناس على ذلك ودعوا له (٣) .

---

(١) د. عبد الباسط بدر ، مرجع سق ذكره جـ ١ ص ٢٩٥ .

(٢) جعل عثمان رضي الله عنه طول المسجد النبوي الشريف ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ستة على ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد عمر : باب عاتكة ، والباب الذي يليه ، وباب مروان ، وباب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبابين في آخره . ابن الجوزي : مثير العزام ص ٤٦٤ ، الطبعة الأولى ، دار الحديث ، والذهبي : تاريخ الإسلام جـ ٣ ص ١٩٠ ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مطبعة القدس ، شبرا ـ القاهرة ، وابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٤٣ - ١٧٤ ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية ، وابن الضياء : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ص ٢٨١ .

(٣) د. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة جـ ١ ص ٢٩٥ .

ومهما يكن من أمر فقد ظل المسجد النبوي على هذا الحال لم يحدث فيه تعمير حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين .

أما في العصر الأموي فقد تمت أول عملية تعمير للمسجد النبوي في العام الحادي والتسعين للهجرة في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) ، وعلى يد عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز الذي لاحظ ضيق المسجد النبوي على المصلين وخاصة في موسم الحج ، فقام بإبلاغ الخليفة الوليد بذلك ، فكلفه بالمشروع فوراً في توسيع هذا المسجد ، وإدخال حجرات أزواج الرسول ﷺ فيه [1] ، ثم أرسل إليه بالصناع

---

(١) لقد ذكرت المصادر التاريخية عدداً من الروايات تبين سبب هذا الأمر ، وتُركز على ضم الحجرات إلى المسجد ، وقد تخير السمهودي من هذه الروايات ما يدل على أن الخليفة الوليد كان هدفه الأول من هذه التوسعة ضم الحجرات إلى المسجد النبوي ، ونزع بيت فاطمة من أحفاد علي رضي الله عنه ، لأن الحسن بن الحسن ابن علي كان يقيم فيه ، وربما يأوى إليه من يُغريه بالخروج على الخليفة (السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥١٣) ، غير أن القراءة المتفحصة للروايات تبين أن مرور الزمن قد أثر على بناء المسجد ، وأن الجدار القائم بجوار قبر رسول الله ﷺ قد سقط (انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٢ ص ٣٠٧) ، والمعروف أن القبر كان في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهي متصلة بالحجرات الأخريات بجدر متصلة ؛ لذا من المعقول جداً أن يكون سقوط هذا الجدار هو الذي دفع الخليفة الوليد ، وعمر بن عبد العزيز إلى هدم الحجرات التي بنيت قبل خمس وثمانين سنة وضمها إلى المسجد ، واهتمام الخليفة الوليد بن عبد الملك بالعمران معروف في سيرته حتى لقد سمي « مهندس بني أمية » ، ومن إنجازاته العمرانية بناء المسجد الأموي بدمشق ، ومسجد الصخرة بالقدس ، فكان من فضل الله أن يجتمع اهتمام الوليد بالعمران وولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة في وقت واحد ليبدأ تجديد المسجد النبوي وتوسعته .

من الشام ، وكان عددهم مائة عامل ، كما بعث إليه أربعين ألف مثقال من الذهب ليستعين بها في عمله ، وكذلك بأحمال الفسيفساء [١] لكي يزخرف وينمق بها المسجد ، كما بعث إليه أيضا بالسلاسل لكي تُعلّق بها القناديل ، وكان ذلك في شهر ربيع الأول في السنة الثامنة للهجرة [٢] .

ويدأ عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ في شراء الدور المجاورة للمسجد من جهة الشرق والغرب والشمال ، وعمل على إزالتها ، وأدخل في أرضها مساحة المسجد ، كما أزال حجرات أزواج النبي ﷺ ، وأدخلها هي والحجرة النبوية في المسجد ، ونقل لَبِنْ هذه الحجرات ، فبنى به داره في الحرّة [٣] .

وهناك روايات متضاربة تبين أن الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يستشيرهم ـ ومنهم سعيد بن المسيّب [٤] ـ نصحوه بعدم

---

(١) الفسيفساء : ألوان تؤلف من الخرز فتوضع في الحيطان يؤلف بعضه على بعض ، وتركب في حيطان البيوت من داخل كأنه نقش مصور ، والفسفس : البيت المصور بالفسيفساء ، ولفظ الفسيفساء غير عربي . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٥ ص ٣٤١٣ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٣٥ - ٤٣٦ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٥٣٢ ، وابن النجار : الدرة الثمينة ص٣٧٢ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٤ ص ١٠٩ ، والقلقشندي : صبح الأعشى جـ ١٤ ص ٣٦٨ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (د.ت.) .

(٣) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٤) سعيد بن المسيّب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ابن يقظه ، وأمه أم سعيد بنت حكيم بن أمية بن حارثة الأوقصي السُلمي ، ولد سعيد بن المسيّب بعد أن استخلف عمر بن الخطاب ﷺ بأربع سنين ، وقيل =

إدخال الحجرات في المسجد ، وتركها لكي تكون عبرة للناس ، تعلمهم الزهد والتواضع ، في زمن يتطاول الناس فيه في البنيان ، وأن عمر كتب إلى الخليفة برأيهم ، فلم يرضه الخليفة ، وأرسل يؤكد على إدخال الحجرات في المسجد [١] ، فتوجه عمر بن عبد العزيز مع مجموعة من حاشيته ، وبدأ مع العمال والفعلة بنقض البناء القديم والتأسيس للبناء الجديد ، وبالإضافة إلى الصناع الذين بعثهم الخليفة الوليد ، استعمل عمر بن عبد العزيز في هذه العمارة أستاذه صالح بن كيسان [٢] مشرفا على عملية الهدم والبناء ، فقام صالح بدوره في استخدام عمال المدينة أثناء التنفيذ [٣] ، كذلك وصل إلى المدينة عدد من العمال الروميين الذين

= قبل موت عمر بسنتين ، ومات بالمدينة سنة أربع وتسعين للهجرة في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) وهو ابن خمس وسبعين سنة ، وكان يقال لهذه السنة التي توفي فيها سعيد بن المسيّب : سنة الفقهاء ، لكثرة من مات منهم فيها ، وكان سعيد بن المسيّب جامعا ، ثقة ، كثير الحديث ، ثبتا ، فقيها ، مفتيا ، مأمونا ، ورعا ، عاليا ، رفيعا . ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ١١٩ - ١٤٣ .

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٥٩ ، والسمهودي : وفاء الوفا جـ ٤ ص ٤٦١ .

(٢) هو الإمام الحافظ الثقة أبو محمد ، ويقال أبو الحارث المدني المؤدب ، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز ، يقال له مولى بني غفار ، ويقال مولى بني عامر ، ويقال مولى آل معيقيب الدوسي . رأى عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر . قال يحيى ابن معين : إنه سمع منهما ، وكان صالحا جامعا من الحديث والفقه والمروءة . قال الواقدي : مات صالح بن كيسان بعد الأربعين والمائة ، وكان ثقة كثير الحديث . ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٣٥٠ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ ص ٤٥٤ .

(٣) وقد أصبح طول المسجد بعد زيادة الوليد ٢٠٠ ذراع ، وعرضه ١٦٧,٥ ذراع =

طلبهم الخليفة الوليد من الامبراطور البيزنطي [١] ، كما استقدم الوليد عمالا قبطا من مصر ، لما عرف عنهم من شهرة البناء [٢] .

وبذل عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد النبوي جهودا هائلة ، وأنفق كل ما يستطيع إنفاقه من مال ، فزخرفه بالفسيفساء والمرمر ، وعمل سقفه بالساج ، وموهه بالذهب ، وكتب في مقدمة المسجد ـ أي في جدار القبلة ـ داخل المقصورة آيات قرآنية ، أم الكتاب ، والشمس وضحاها .. إلى آخر القرآن الكريم ، كما كتب في صحن المسجد في القبلة نصًّا تذكارياً بالفسيفساء يعتبر لوحة تأسيسية لبناء المسجد [٣] ، وعمل عمر بن عبد العزيز للمسجد أربع مآذن ، في كل ركن من أركان المسجد واحدة ، وذلك حتى يسمع الأذان من جميع الجهات الأربع للمسجد [٤] ، كما

== راجع تفصيل ذلك في : البلاذري : فتوح البلدان جـ ١ ص٢٥ ، تحقيق طه سعد ، وعمرو عطوة ، دار ابن خلدون ـ الاسكندرية ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٣٥ ، وصالح لمعي : المدينة المنورة ص ٦٧ .

(١) كانت العلاقة ين الدولتين : الأموية والبيزنطية حسنة ، فأمدّ الامبراطور البيزنطي الخليفة الوليد بمائة ألف مثقال من الذهب ، ومائة عامل ، وأربعين حملا من الفسيفساء . الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٣٦ .

(٢) ابن الضياء : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ص ٢٨٢ .

(٣) الحربي : مناسك الحج ص ٣٧٢ ، وابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٣ .

(٤) كانت المنارة الرائعة تطل على دار مروان بن الحكم من الجهة الجنوبية ، فلما تولى إمارة الحج الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧هـ زار مسجد رسول الله ﷺ وحين نزل في دار مروان والمؤذن في المنارة يؤذن ، طل عليه ، فأمر الخليفة سليمان بتلك المنارة فهدمت ، وأصبح بالمسجد ثلاث مآذن فقط . ابن خياط : تاريخه ==

عمل لهذا المسجد محراباً لأول مرة ، وكذلك عمل له شرفات [١] ، أما أبواب المسجد فظلت كما هي في مسماها وفي جهاتها ، غير أنها نقلت إلى الحوائط الجديدة بالمسجد ، وقد أراد عمر بن عبد العزيز أن يجعل في كل باب من أبواب المسجد سلسلة تمنع دخول الدواب ، وعمل واحدة وجعلها في باب مروان ، وفعل ذلك في باقي الأبواب [٢] ، وأقام الحرس بداخله يمنعون الناس من الصلاة على الجنائز فيه [٣] .

وقد استمر العمل في المسجد ثلاث سنوات كاملة ، فلم يفرغ منه فراغا كاملا إلا سنة إحدى وتسعين للهجرة [٤] ، ولعل السبب في تأخر البناء كل هذه المدة يرجع إلى اجتهاد عمر في أن يكون المسجد غاية في الدقة والجمال ، فقد عمل الأساس من الحجارة الصلبة وعمقه ، ورفعت الجدران بأنواع من الحجارة المنقوشة المطابقة ، وهذا النقش يستلزم وقتا طويلا ، وبنيت الأعمدة التي تدعم الجدران وتحمل السقف من حجارة ضخمة مجوفة ، وصب بداخلها الرصاص ، أما السقف فقد صنع من الخشب الساج ـ وهو نوع من الخشب الصلب ـ وطلي بماء الذهب ، وزيّن جانب من الجدران والسقف بالمرمر والفسيفساء .

== ص ٣١٩ ، وابن النجار : الدرة الثمينة ص ٢٧٣ .

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٣ ، والعباسي : عمدة الأخبار ص ١٠٩ .

(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٤ ، وحسن الباشا : المدخل للآثار الإسلامية ص ١٢٤ ، دار النهضة العربية ـ مصر ١٩٧٩م .

(٣) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(٤) العباسي : عمدة الأخبار في مدينة المختار ص ١٠٩ ، ط ٥ ، تصحيح حمد الجاسر ، نشر أسعد الحسيني (بدون تاريخ) .

وكان عمر بن عبد العزيز يراقب العمل يوميا ، ويكافئ العمال المهرة ، وبخاصة أولئك الذين يتفننون في صنع لوحات الفسيفساء ، فيعطي من يحسن عمل الشجرة الكبيرة ثلاثين درهما مكافأة له ، وعندما وصل البناء إلى موضع الإمام استحدث عمل المحراب ، ودعا وجوه أهل المدينة من أبناء المهاجرين والأنصار والعرب الآخرين والموالي ليحضروا بناء القبلة ، فجعل لا ينزع حجراً إلا وضع آخر مكانه ، ثم أمر ببناء المقصورة وتزيينها ، وزخرفة سقفها (١) ، وقد أنفق عمر على جدار القبلة وحده خمسة وأربعين ألف دينار (٢) .

وفي السنة التي انتهى فيها العمل من بناء وتوسعة المسجد النبوي سنة ٩١هـ ، قدم الخليفة الوليد إلى مكة حاجا ، وبعد أن فرغ من آداء المناسك وفد على المدينة المنورة ، وكان أول ما فعله حين وصوله إليها التوجه إلى المسجد النبوي لينظر في بنائه ، فطاف به وأعجب بعمارته ، وأثنى على جهود عمر بن عبد العزيز وتمنى لو أنه أنفق المزيد على تزيينه ليكون مفخرة من مفاخر المسلمين في العمران (٣) .

---

(١) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٠ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٣٥ .

(٣) ومن أبلغ الأمثلة على ذلك ما روي أن الخليفة الوليد حينما شاهد سقف مقصورة المسجد النبوي وما عمل بها من نقوش ، التفت إلى عمر بن عبد العزيز وقال له : ألا عملت السقف كله من هذا ؟ فأجابه بقوله : أتدري يا أمير المؤمنين كم أنفقت على عمل جدار القبلة وما بين السقفين ؟ قال : وكم ؟ قال : أربعين ألف دينار ، فرد عليه الخليفة قائلا : والله لكأنك أنفقتها من مالك . ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٧٣ - ٣٧٤ . ويقال : بأن الخليفة الوليد لما استنفذ النظر إلى المسجد التفت إلى أبان بن عثمان بن عفان ﷺ ، فقال : أين بنياننا من =

وكان الخليفة الوليد قد أحضر في قافلته عطوراً ثمينة ليطيب بها المسجد ، فوضع الطيب في أنحائه ، وعلقت حبال في أحد أطرافه نشرت عليها كسوة جديدة للكعبة لكي يراها الناس ، ثم طويت وحملت إلى مكة .

وظل المسجد النبوي على هذا الحال حتى نهاية العصر الأموي .

* * *

= بنيانكم ؟ فقال له أبّان : إنما بنيناه بناء المساجد ، وبنيتموه بناء الكنائس . الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٣٥ .

الفصل الرابع

أعمال البر على أهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم

أولا : أعطيات الخلفاء والأمراء لأهل الحرمين الشريفين .

ثانيا : توفير المياه لأهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم .

١ ـ في مكة المكرمة .

٢ ـ في المدينة المنورة .

٣ ـ توفير المياه للحجاج في الطريق من مكة إلى المدينة .

٤ ـ توفير المياه والخدمات في أماكن الزيارة .

ثالثا : توفير الطعام لأهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم .

١ ـ في مكة المكرمة .

٢ ـ في المدينة المنورة .

رابعا : توفير المسكن للحجاج والعمار في مكة والمدينة .

١ ـ في مكة المكرمة .

٢ ـ في المدينة المنورة .

الفصل الرابع

أعمال البر على أهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم

لقد اهتم بنو أمية بتقديم الرعاية والعناية لأهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم من الحجاج والعمار ، وذلك بإغداق الأموال عليهم ، وجلب وتوفير المياه والطعام والمسكن لهم ، عملاً على كسب ودهم ، وتأييدهم لهم ، وسوف أبدأ الحديث عما قدمه الأمويون من عطايا لأهل الحرمين الشريفين وأثرها في نفوسهم .

أولا : أعطيات الخلفاء والأمراء لأهل الحرمين الشريفين :

حرص الخلفاء الأمويون وأمراؤهم على كسب ود أهل الحرمين الشريفين ، فكانوا يغدقون عليهم الأموال الكثيرة ، ويمنحونهم العطايا الجزيلة .

وكان معاوية بن أبي سفيان أكثر هؤلاء الخلفاء اهتماماً بذلك ، حيث كان يحرص على التوسعة على سكان الحرمين الشريفين ، ويكثر من أعمال البر عليهم وخاصة الهاشميين من أهل المدينة وعلى رأسهم الحسن والحسين رضي الله عنهما .

فعندما تم الصلح بينه وبين الحسن بن علي رضي الله عنه سنة ٤١هـ أعطاه معاوية ما في بيت مال الكوفة ومقداره خمسة ملايين درهم[1] ، كما

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٥ ص ١٦٠ .

كان يعطيه سنوياً ثمانين ألف دينار [١] .

وعندما وفد عليه هو وأخوه الحسين بالشام أعطى كل منهما على الفور مائتي ألف درهم ، وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلي . فقال له الحسين : « ولم تعط أحداً أفضل منا » [٢] .

ووفد عليه الحسين مرة أخرى ، فأعطاه أربعمائة ألف درهم [٣] ، وكان معاوية يهش للقاء الحسن والحسين ويحسن استقبالهما ، فعندما وفد عليه الحسن مرة ثالثة ومعه عبد الله بن الزبير ، قال للحسن : مرحبا وأهلا بابن بنت رسول الله ﷺ ، وأمر له بثلاثمائة ألف درهم ، وقال لعبد الله بن الزبير : مرحبا وأهلا بابن عمة رسول الله ﷺ ، وأمر له بمائة ألف درهم [٤] .

ولم يكن معاوية ينتظر وفادة الحسن والحسين عليه ، بل كان يرسل إليهما أحيانا بالمال الوفير ، وهو يعلم أنهما سيوزعانه على من حولهما لما يتصفان به من كرم ورفعة .

فقد بعث مرة إلى الحسين بمائة ألف درهم ، فوزعها الحسن على جلسائه ، وكذلك كان يفعل أخوه الحسين [٥] .

---

(١) ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ٤٩ ، تحقيق د. قاسم السامرائي ، ليدن ١٩٧٣م .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ١٣٤ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ولم تقتصر صلات معاوية على الحسن والحسين ﷺ ، بل شملت الكثير من أهل الحجاز ، فكان يصل أم المؤمنين عائشة ﷺ بثمانين ألف دينار سنوياً [(١)] .

كما كان يعطي عبد الله بن جعفر [(٢)] كل سنة إذا قدم عليه ألف ألف درهم ، ويقضي له مائة حاجة [(٣)] ، وعندما علم معاوية بموت أبي هريرة ﷺ أمر الوليد بن عتبة ـ والي المدينة ـ بإعطاء ورثته عشرة آلاف

---

(١) ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ٤٩ .

(٢) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ولد بأرض الحبشة ، وامه أسماء بنت عميس ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم قبل وفاته ، سكن ابن جعفر المدينة ، ولما استشهد أبوه في غزوة مؤتة سنة ٨هـ أتى النبي ﷺ إلى أمهم ، فقال : ائتوني ببني أخي . فأتى إليه بهم ، فدعا بالحلاق ، فحلق رؤوسهم ، ثم قال : اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقته . فجاءت أمهم فذكرت للنبي ﷺ أنه ليس لهم شيء . فقال : أنا لهم عوضاً عن أبيهم . وقد بايع النبي ﷺ عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين ، وهذا لم يتفق لغيرهما . وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس ، يُعطي الجزيل الكثير ويستقله ، وقد تصدق مرة بألفي درهم ، وأعطى رجلا مرة ستين الفا ، ومرة أعطى رجلا أربعة آلاف دينار . وكان ابن جعفر صديقا لمعاوية ، وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم ، ويقضي له مائة حجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد بعبد الله بن جعفر ، فلما قدم الأخير على يزيد بعد أن تولى الخلافة قال له : كم كان أمير المؤمنين ـ يقصد معاوية ـ يعطيك كل سنة ؟ قال : ألف ألف درهم . فقال له يزيد بن معاوية : قد أضعفناها لك . فكان يعطيه ألفي ألف كل سنة . توفي ابن جعفر سنة ٨٠هـ . ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٣٤ - ٣٥ .

(٣) ابن كثير : المصدر السابق جـ ٨ ص ١٣٥ .

درهم (١) .

كما أعطى أحد الأنصار ألف دينار (٢) .

وحين حج ودخل المدينة المنورة فرق في أهلها أموالا كثيرة (٣) ، كما قام بقضاء جميع حوائج أبناء الصحابة وسائر الهاشميين ، وأغدق عليهم الأعطيات ، حتى أنه كان لا يمضي يوم إلا وفيه صلة من المال إلى أن قضى نسكه (مناسك الحج) ، وكان يبعث إليهم بالكسِي والطيب أيضا (٤) .

ولقد ظهرت آثار هذه العطايا على أهل الحرمين الشريفين وخاصة الهاشميين ، فقرت نفوسهم ، ولم يظهروا سخطا أو تبرماً أو نقداً لمعاوية ، وزاد من سكينتهم ما أظهره من حلم شديد في حالات الغضب النادرة التي حدثت من بعضهم .

فقد غضب الحسين بن علي مرة لتجرؤ بعض عمال معاوية على بستان له كان مجاورا لبستان معاوية ، وكتب إلى معاوية يخبره باعتدائهم على أرضه وأخذهم جزءا منها ، وهدده بعبارات قاسية ، ويروى أن

---

(١) ابن كثير : المصدر السابق ص ١١٣ .

(٢) ابن طباطبا : محمد بن علي بن طباطبا العلوي (ت ٧٠٩هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ٩٥ ، القاهرة ١٣١٧هـ .

(٣) مصعب الزبيري : نسب قريش جـ٣ ص ١٥٤ - ١٥٥، والأبشيهي : المستطرف في كل فن مستظرف جـ ١ ص ١٣٠ ، دار التراث العربي ١٣٧١هـ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، وابن قتيبة الدينوري : عيون الأخبار جـ ٣ ص ٤٠ ، دار الكتاب المصري - بيروت ، والكامل في التاريخ جـ ٣ ص ٢٥٢ .

معاوية عرض كتاب الحسين على ابنه يزيد ، وسأله عن رأيه فيه ، فكان رأيه أن يرسل بتأديبه لتجرئه على الخليفة ، ولكن معاوية لم يرقه رأي يزيد ، فبعث بكتاب إلى الحسين يعتذر له عما فعله عماله ، ويسترضيه ، ويهبه بستانه كله ، فكتب إليه الحسين يثني عليه ويشكره .

كذلك حرص معاوية على أن يكرم بعض الذين كانوا من أشد أعدائه ، فقد أكرم أم سنان بنت حيثمة ، وأعطاها حاجتها عندما وفدت عليه ، مع أنها كانت تقول الشعر في التحريض عليه [١] .

وقبل أن يموت معاوية أوصى ابنه يزيد بأهل الحرمين والعناية بهم قائلا : « فإنهم قومك وعشيرتك ، فأكرم من قدم عليك منهم ، وصل من غاب منهم » [٢] .

وقد عمل يزيد بوصية أبيه معاوية ، فلم يدّخر وسعاً في بذل المال لأهل الحرمين الشريفين والتودد إليهم ، حتى كان يعطيهم الأعطيات بسخاء ، وفي ذلك يروي البلاذري نقلا عن الواقدي أن والي المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان بعث وفداً من أهل المدينة إلى الخليفة يزيد ، فأحسن إليهم وأكرمهم ، وأعطى كل منهم خمسين ألف دينار [٣] ، كما أعطى المنذر بن الزبير بن العوام [٤] مائة ألف

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ١ ص ٢٣ ، ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٢) السجستاني : أبو حاتم سهل بن عثمان (ت ٢٥٠هـ) ، المعمرون والوصايا ص ١٥٨ ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١م .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف جـ ٤ ق ٢ ص ٣١ ، مطبعة الجامعة - القدس ١٩٣٨م .

(٤) المنذر بن الزبير بن العوام ، ولد في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وأمه أسماء =

درهم [١] ، وعندما وفد عليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر [٢] ومعه ثمانية من أبنائه أعطاه مائة ألف درهم ، وأعطى لكل واحد من أبنائه عشرة آلاف درهم سوى كسوتهم [٣] .

كما كان يعطي عبد الله بن جعفر كل سنة ألف ألف درهم [٤] .

ويروي البلاذري نقلا عن المدائني أن يزيد بن معاوية أعطى عبد الله ابن جعفر عندما قدم عليه أربعة ملايين درهم ، فقام ابن جعفر بتوزيعها

= بنت أبي بكر الصديق ، وقد غزا المنذر القسطنطينية مع يزيد بن معاوية ، ووفد على معاوية فأجازه بمائة ألف ، وأقطعه أرضاً ، فمات معاوية قبل أن يقبض المال وكان المنذر بن الزبير وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام يقاتلون أهل الشام بالنهار ويطعمانهم بالليل . قتل المنذر بمكة في حصارها مع أخيه سنة ٦٤هـ . ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٢٤٤ .

(١) البلاذري : أنساب الأشراف جـ ٤ ق ٢ ص ٣١ ، والطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٥ ص ٤٨٠ .

(٢) عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب ، واسمه عبد عمرو بن صيفي بن النعمان بن مالك ، وأمه جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول ، ولد بعد غزوة أحد بتسعة أشهر ، وتوفي رسول الله ﷺ ولعبد الله بن حنظلة من العمر سبع سنين ، وقد رأى رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر ﵄ ، وروى الحديث عن عمر ، وقتل في معركة الحرة في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستين للهجرة في خلافة يزيد بن معاوية بعد أن أبلى بلاءاً حسناً في تلك المعركة ضد جيش يزيد . ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٦٧ - ٦٨ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف جـ ٤ ق ٢ ص ٤٣ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٥ ص ٤٨٠ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٣٥ .

على أهل المدينة [١] .

وعندما نجح عبد الله بن الزبير في السيطرة على العراق والحجاز ومصر وبعض أجزاء الشام ، أصبحت الأموال تتدفق على الحجاز من هذه الأمصار [٢] .

وتذكر المصادر أن مصعب بن الزبير [٣] أهدى عائشة بنت طلحة [٤] نخلة من ذهب ثمارها من صنوف الجواهر المثمنة وجدها عامله في خراسان ، وقد قومت هذه النخلة بألفي ألف دينار [٥] ، كما أعطى عاصم بن عمر [٦] ستة عشر ألف دينار ، وأعطى عبد الله بن جعفر

---

(١) البلاذري : مصدر سبق ذكره ص ٣ .

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف جـ ٥ ص ٢٢٩ ، مطبعة الجامعة ـ القدس ١٩٣٦م.

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد ، وأمه الرباب بنت أنيف بن عبيد ، كان يكنى « أبا عبد الله » ولم يكن له ابن يسمى عبد الله ، ولأه أخوه عبد الله بن الزبير العراق ، فبدأ بالبصرة ، فنزلها ثم خرج في جيش كثير العدد إلى المختار بن أبي عبيد وهو بالكوفة ، فقاتله حتى قتله ، وبعث برأسه إلى أخيه عبد الله بن الزبير ، وفرق عماله في الكور والسواد . وقد قتل مصعب يوم الخميس في منتصف جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين للهجرة ، وكان الذي سار إليه فقتله عبد الملك ابن مروان . ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤) عائشة بنت طلحة بن عبد الله التميمي ، أمها أم كلثوم بنت أبي بكر ، تزوجت بابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجت بعده بمصعب بن الزبير وأصدقها بمائة ألف دينار ، وكانت بارعة الجمال ، عظيمة الحسن ، لم يكن في زمانها أجمل منها ، توفيت بالمدينة سنة ١١٠هـ . ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٣١٠ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٣١٨ .

(٦) عاصم بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رباح بن عبد الله ... ==

اثنين وثلاثين ألف دينار [١] .

وفي موسم الحج سنة ٧٠هـ قدم مصعب بن الزبير من البصرة إلى مكة يريد الحج ، واصطحب معه أموالا جزيلة ، ودواب كثيرة ، فأعطى وفرق الأموال في قومه وغيرهم ، كما قسّم الدواب ، ونحر بُدنا كثيرة في ذلك الموسم [٢] .

أما عبد الله بن الزبير فكان لا ينفق الأموال بكثرة ، وكان يبقي عليها لكي تكون عونا له ضد أعدائه من بني أمية وغيرهم من الخوارج ، وبعد مقتله صارت هذه الأموال من نصيب الأمويين ، حيث يذكر البلاذري أن الحجاج بن يوسف الثقفي وجد في بيت مال ابن الزبير بعد مقتله عشرة ملايين درهم [٣] ، بينما يذكر الرشيد بن الزبير بأنها كانت عشرة ملايين دينار [٤] .

= ابن عدي بن كعب ، وأمه جميلة أخت عاصم بن ثابت بن قيس ، وهو أبو الأقلح بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة بن زيد ، من بني عمرو بن عوف الأنصاري . وكانت أم عاصم تسمى عاصية ، فغير النبي ﷺ اسمها حيث قال لها بل أنت جميلة . وكان عاصم من أحسن الناس خلقا ، وكان طويلا جسيما ، وهو جد عمر بن عبد العزيز لأمه . مات بالربذة سنة ٧٠هـ . ابن سعد : الطبقات الكبرى ، مجلد ٥ ص١٥ ، والزركلي : الأعلام ، مجلد ٣ ص٢٤٨ .

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٤٦ ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ١٩٣٨م .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ١٥٠ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٢ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف جـ ٥ ص ٣٧٦ .

(٤) ابن الزبير : كتاب الذخائر والتحف ص ٢٠٨ .

وعندما خضعت الحجاز للدولة الأموية بعد مقتل ابن الزبير سار بنو أمية على سياسة معاوية وابنه يزيد في إغداق الأموال على أهل الحرمين الشريفين لكسب ودهم ورضاهم ، فكان الخلفاء الأمويون يذهبون أحيانا إلى مكة والمدينة ويوزعون الأعطيات والأموال على أهلهما .

فقد أمر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) في بعض حجاته بتوزيع العطاء على أهل الحرمين الشريفين [١] .

أما الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) فقد قدم الكثير من الخدمات وأعمال البر على سكان الحرمين الشريفين قبل أن يتولى الخلافة وبعد أن تولاها .

ففي سنة ٧٨هـ قدم إلى المدينة أميراً على الحج - وهو ولي العهد - فقسم أموالا ، وأمر بزيادة عطاء بعض سكان المدينة ، كما أعطى سهل بن سعد الساعدي [٢] مائتي دينار [٣] ، وفي سنة ٨٩هـ - وبعد أن صار

---

(١) المسعودي : مروج الذهب جـ٣ ص١١٥ ، نشر دار الأندلس - بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

(٢) سهل بن سعد الساعدي ، صحابي مدني جليل ، توفي رسول الله ﷺ وله من العمر خمس عشرة سنة ، وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله في يده ، ليذلهم حتى لا يأخذ الناس برأيهم . توفي سهل سنة إحدى وتسعين للهجرة عن مائة سنة ، وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة ، وقيل توفي سنة ثمان وثمانين . ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٨٧ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

خليفة - أرسل مالاً قُسّم في أهل المدينة المنورة [١] ، وفي السنة التي تولى فيها إمارة الحج سنة ٩١هـ أمر بتوزيع الأموال على القبائل التي تقطن طريق الحج الشامي ، كما أنه وزع دقيقا على سكان القرى الواقعة على نفس الطريق ، كما وزع الدقيق وآنية الذهب والفضة والأموال على سكان المدينة المنورة [٢] .

وعندما حج الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) سنة ٩٧هـ قدم الكثير من أعمال البر لأهل الحرمين الشريفين ، وخطب في أهل المدينة حول العطاء حيث قال : « إنا والله ما نعطيكم وما نمنعكم ، إن الله هو المعطي والمانع ، والله ينزل الخير على يد من يشاء ، فيؤجرون ويحمدون ، ويجري الشر على يد من يشاء فيؤثمون ويذمون » [٣] ، ثم قسم الأموال بين أهل المدينة [٤] ، وأمر لخارجة بن زيد بن ثابت [٥]

---

(١) ابن الجوزي : المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم جـ١ ص ٣٧٣ ، الطبعة الأولى ، مطبعة الأوقاف - بغداد ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

(٢) اليعقوبي : تاريخ جـ ٢ ص ٢٨٥ ، والطبري جـ ٦ ص ٤٦٦ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ٥٥٤ ، ومؤلف مجهول : العيون والحدائق ص ٢٤ .

(٣) مؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء ، ورقة ٣٢٥ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ جـ ٢ ص ٢٩٨ .

(٥) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة في زمنه ، وكان عالما بالفرائض وتقسيم المواريث ، وقد تولى الإفتاء بالمدينة ، توفي خارجة بالمدينة سنة تسع وتسعين للهجرة ، وقيل سنة مائة عن سبعين سنة ، وقد روي عن خارجة أنه قال : « رأيت في المنام كأني بنيت سبعين درجة ، فلما فرغت منها تدهورت ، وهذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها » ، فمات فيها . ==

بخمسة وثلاثين ألف دينـار [١] ، كما فـرض الأعطيـات لقريش ومواليهم [٢] ، وقد شمل الاتفاق أيضا أهل المسجد الحرام ووسع على أهله وعَمَّهم عطاؤه [٣] .

وكان الخليفة سليمان قد حمل معه في حجته هذه طعاماً كثيرا أمر بتوزيعه على الحجاج ، كما أمر عامله على مصر بتوزيع المال على حجاج مصر القاصدين مكة المكرمة [٤] .

وفي عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) حصل أهل المدينة على ثلاث عطايا قُسمت عليهم [٥] ، كما أمر واليه على المدينة أبا بكر بن حزم بأن يعطي عشرة آلاف دينار لبني هاشم تقسم عليهم بالتساوي [٦] ، كما عمل على إرجاع فدك [٧] سنة ٩٩هـ إلى ما كانت عليه أيام الرسول

== ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ، مجلد ٢ ص ٢٢٣ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ١٩١ .

(١) ابن الزبير : كتاب الزخائر والتحف ص ١٢ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ جـ ٢ ص ٢٩٨ ، ومؤلف مجهول : العيون والحدائق جـ ٣ ص ٢٤ .

(٣) الرشيدي : حسن الصفا والابتهاج ص ٩٤ .

(٤) المالكي : مقال طريق الحج الشامي والمصري ص ١٠ - ١٣ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٢٥٥ .

(٦) نفس المصدر السابق ص ٢٨٨ ، وأبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٧٢ ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت (بدون تاريخ) .

(٧) فدك - بالتحريك وآخره كاف - : قال ابن دريد : فدكت القطن تفديكا إذا ==

ﷺ ، وكسى بني هاشم وأرسل إليهم الأموال بالمدينة المنورة [١] .

ويذكر ابن سعد نقلا عن الواقدي أن عمر بن عبد العزيز أعطى فاطمة بنت الحسين [٢] خمسمائة دينار [٣] ، كما أعطى آل الزبير بعض

= تفشته . وفدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة ، فاءها الله على رسوله ﷺ حين فتح خيبر في سنة ٧هـ ، فكانت خالصة لرسول الله ﷺ ، وفي خلافة معاوية منحها لوالي المدينة مروان بن الحكم ، حيث قام بتقسيمها مناصفة بين ولديه عبد الملك وعبد العزيز ، ثم وهب عبد العزيز بن مروان نصيبه لولده عمر ، كما استوهب عمر بن عبد العزيز من أبنائه النصف الآخر الذي انتقل إليهم بعد وفاة والدهم ، فوهبوه له ، وبذلك خلصت كلها لعمر بن عبد العزيز . راجع تفصيل ذلك في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ص ٣٨٨ ، وياقوت الحموي جـ ٤ ص ٢٣٨ .

(١) مؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء ، ورقة ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٢) فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ ، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم . تزوجها ابن عمها حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ، فولدت له عبد الله وإبراهيم وحسناً وزينب ، ثم مات عنها ، فخلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، زوجها إيّاه ابنها عبد الله بن حسن بأمرها ، فولدت له القاسم ومحمداً ، ورقية بني عبد الله بن عمرو ، وكان يقال لعبد الله بن عمرو المطرف لجماله فمات عنها ، وقد أراد عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري والي المدينة أن يتزوج بها فرفضت ، فهددها بالانتقام من أحد أولادها ، فاستنجدت بالخليفة يزيد بن معاوية ، فعزله عن المدينة وأمر به ، فأغرم أربعين ألف دينار وعذّبه وطاف به في جبّة من صوف . روى عن فاطمة هذه أنها كانت تسبح بخيوط معقود عليها ، وروى عنها غير حديث . ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٨ ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

(٣) ابن سعد : المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٨٨ .

الأموال [١] .

أما الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) ، فعلى الرغم من أنه كان حريصاً على جمع الأموال ، إلا أنه قام بالتوسعة على أهل الحرمين ، فقد روي أنه أعطى علي بن الحسين رضي الله عنه [٢] أربعة آلاف دينار [٣] ، كما أعطى الشاعر عروة بن أذينة [٤] ألفي

---

(١) ابن بكار : أبو عبد الله بن الزبير (ت ٢٥٦هـ) ، جمهرة نسب قريش جـ ١ ص ٣٨ ، تحقيق محمد محمود شاكر ، القاهرة ١٣٨١هـ .

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين ، وأمه أم ولد اسمها سلامة ، وكان له أخ أكبر منه يقال له : علي - أيضا - قتل مع أبيه . روى علي بن الحسن هذا الحديث عن أبيه وعمه الحسن بن علي وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة أمهات المؤمنين ، وروى عنه جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمرو وأبو جعفر محمد بن علي وزيد بن أسلم وطاووس - وهو من أقرانه - والزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري وأبو سلمة - وهو من أقرانه - وغيرهم ، وكان مع أبيه الحسين بكربلاء فاستبقي لصغره وقيل لمرضه ، وقد هم بقتله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه ، وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضا ، فمنعه الله منه ، ثم كان يزيد بعد ذلك يكرمه ويعظمه ويجلس معه ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بعثهم إلى المدينة ، وكان علي بالمدينة محترماً معظماً . وقد اختلف في تاريخ وفاته ، والمشهور أنه توفي سنة ٩٤هـ في أولها عن ثمان وخمسين سنة ، وصلي عليه بالبقيع . راجع سيرته بالتفصيل عند ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ١٠٧ - ١١٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ١٥٩ .

(٤) عروة بن يحيى (ولقبه أذينة) بن مالك بن الحارث الليثي . شاعر غزل من أهل المدينة ، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضا ، ولكن الشعر أغلب عليه ، ==

دينار [١] .

وفي سنة ١١٩هـ بعث الخليفة هشام ابنه أبا شاكر مسلمة أميراً على الحج ، فقسم في أهل مكة المكرمة ، والمدينة المنورة أموالا كثيرة [٢] .

== وكان من أهل القناعة ، وله في ذلك أشعار . وفد من الحجاز على الخليفة هشام ابن عبد الملك بالشام في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال له : ألست القائل :

لقد علمت وما الإسراف من خُلقي   أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعنيني تطلبه   ولو قعدت أتاني لا يُعَنِّيني

وما أراك فعلت كما قلت ، فإنك أتيت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ، فقال : لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت في الوعظ وأذكرتني ما أنسانيه الدهر. وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز ، فمكث هشام يومه غافلا عنه ، فلما كان في الليل استيقظ من منامه وذكره ، وقال : هذا رجل من قريش ، قال حكمة ، ووفد إليّ فجبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر لا آمن لسانه ، فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ليعلمن أن الرزق سيأتيه ، ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفي دينار وقال : إلحق بهذه عروة بن أذينة فأعطيه إياها ، فلم يدركه إلا وقد دخل بيته ، فقرع عليه الباب ، فخرج فأعطاه المال . فقال عروة : أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له : كيف رأيت قولي : أسعيت فأكديت ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق . توفي عروة نحو سنة ١٣٠هـ . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٦ ، وانظر أخبار عروة في الأغاني لأبي فرج الأصفهاني جـ ١٨ ص ٢٤٠ وما بعدها ، والزركلي : الأعلام ، مجلد ٤ ص ٢٢٧ .

(١) ابن حجة الحموي : تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد (ت ٨٣٧هـ) : كتاب ثمرات الأوراق ، طبع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي جـ ١ ص ٨ ، مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ١٣٧٩هـ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ص ٣٤٩ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ==

وبعد انقضاء موسم الحج هذا ، وفي بداية سنة ١٢٠هـ وقع سيل عظيم بمكة المكرمة أضرّ بالحجاج والعمار والمجاورين (١) ، مما دفع الأمير مسلمة إلى أن يقوم بمساعدة المتضررين من جراء هذا السيل (٢) .

وفي أحد المواسم التي تولى فيها محمد بن إسماعيل المخزومي إمارة الحج من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) حج معه محمد بن المنكدر (٣) من بني تميم بن مرة ، وكان معطاءاً فأعطى - أي أنفق في أهل الحرمين - حتى بقى في إزارٍ واحد ، وحج معه أصحابه ، فلما نزل الروحاء (٤) أتاه وكيله ، فقال : ما معنا نفقة ، وما بقي

== ٢٣٣ - ٢٥٧ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٣٣٧ ، وابن فهد : إتحاف الورى جـ ٢ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(١) سمي هذا السيل بـ « سيل أبي شاكر » ، لأن أبا شاكر مسلمة بن هشام أقام الموسم في هذه السنة .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٣١١ ملحق ٣ ، وابن فهد : إتحاف الورى جـ ٢ ص ١٥٣ .

(٣) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن العزي بن عامر بن الحارث بن سعيد ابن تميم بن مرة التميمي ، أبو عبد الله ، ويقال : أبو بكر ، أحد الأئمة الأعلام ، ولد سنة بضع وثلاثون للهجرة ، روى عن أبيه وعمه ربيعة - وله صحبة - وأبي هريرة وعائشة وغيرهم من الصحابة ، وروى عنه كثير من العلماء ، وأثنى عليه الكثيرون ، فقال عنه الحميري : « ابن المنكدر حافظ » ، وقال ابن معين وأبو حاتم : ثقة ، وقال الترمذي : سألت محمد سمع من ابن المنكدر عن عائشة . قال : نعم ، وذكره ابن حيان في الثقات ، وقال : كان من سادات القراء . ذكر البخاري أنه توفي في سنة ١٣١هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٤١٨ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ ص ٢٥٣ .

(٤) الروحاء : سماها بهذا الاسم الملك تبع ملك حمير ، فحينما رجع من قتال ==

معنا درهم . فرفع محمد بن المنكدر صوته بالتلبية ، فلبى ولبى أصحابه ولبى الناس ، فسمعه محمد بن هشام أمير الحج ، فقال لمن معه : والله إني لأظنه محمد بن المنكدر فانظروا . فنظروا وأتوا ابن هشام وأخبروه بمكان ابن المنكدر ، فقال : ما أظن معه درهما ، إحملوا إليه أربعة آلاف درهم [١] .

وعندما حج الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥ - ١٢٦هـ) أمر لمولى آل أبي الحكم بمائة دينار وكسوة [٢] .

أما الخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين (١٢٧ - ١٣٢هـ) فقد أعطى عثمان بن عروة بن الزبير [٣] عندما وفد عليه مائة ألف درهم [٤] .

وهكذا استمرت أعطيات الخلفاء تتدفق على أهل الحرمين الشريفين حتى نهاية العصر الأموي .

== أهل المدينة يريد مكة نزل الروحاء ، فأقام بها وأراح ، وسئل كثير : لم سميت الروحاء روحاء ؟ قال : لانفتاحها ورواحها ، وهي على بعد ليلتين من المدينة حوالي واحد وأربعين ميلا . لمزيد من التفصيل انظر : البكري : معجم ما استعجم جـ ٢ ص ٦٨١ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٧٦ ، والسمهودي : وفاء الوفا جـ ٤ ص ١٢٢٢ .

(١) ابن بكار : أبو عبد الله بن الزبير : جمهرة نسب قريش جـ١ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام ، ذكر عنه ابن قتيبة أنه كان خطيباً جلداً ، وله عقب بالمدينة . ابن قتيبة : عيون الأخبار ص ٢٢٣ ، تحقيق ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٩م .

(٣) ابن بكار : جمهرة نسب قريش جـ ١ ص ٣٠٥

ثانيا : توفير المياه لأهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم :

١ ـ في مكة المكرمة :

بعد أن تم للرسول ﷺ فتح مكة اهتم بتوفير المياه فيها (١) ،

---

(١) أصبحت لمكة المكرمة أهمية كبرى بعد بناء البيت الحرام ، حيث بدأت تقطنها القبائل العربية بعد أن أصبح بئر زمزم المصدر الوحيد للحياة فيها ، وقد اعتمد الجراهمة على هذا البئر ، ولم يقوموا بأي أعمال للبحث عن المياه في مكة (البلاذري : فتوح البلدان جـ ١ ص ٥٥ القاهرة ١٣١٨هـ) ، غير أن قبيلة خزاعة أخذت تهتم بتوفير المياه ، وحفر الآبار لها خارج مكة في طريق القوافل (جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٣ ص ١١٥) ، كما أن القرشيين حفروا آباراً داخل مكة بعد أن كثر عدد سكانها ، وزاد عدد الحجاج الوافدين على البيت الحرام (الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١١٠) ، كذلك قام أهل مكة بعمل أحواض على رؤوس الجبال وفي داخل الشعاب لتخزين مياه الأمطار فيها لسقاية أنفسهم ، ولسقاية الحجاج ، وذلك خوفا من الجفاف ، وانخفاض منسوب المياه في الآبار (الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام جـ ١ ص ٩٥ ، القاهرة ١٩٥٦م) ، وبعد أن تشعبت بطون قريش أصبحوا يهتمون بحفر الآبار ، فاهتم عبد المطلب جد الرسول ﷺ بإعادة حفر بئر زمزم بعد أن نقصت مياه الآبار والمياه المخزونة في الأحواض ، كما أنه اهتم بعمل الأحواض داخل الحرم ، وكان يجتمع فيها الماء لسقاية الحجاج (الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١١٠) ، وقد استمر عبد المطلب في سقاية الحجاج حتى توفي ، ثم تولى هذا الأمر من بعده إبنه أبو طالب (نفس المصدر السابق ص ١٢٣) ، وقد استمرت سقاية الحجاج من رجل إلى آخر من بني هاشم حتى آل الأمر إلى العباس بن عبد المطلب ، وعندما فتح النبي ﷺ مكة قبض السقاية من العباس ثم ردها إليه ، وقد ظلت في يده حتى توفي ، واستمرت في يد أولاده من بعده =

والتي كان مصدرها الرئيسي الآبار التي حفرت في العصر الجاهلي ، فأصلح الرسول ﷺ بعض هذه الآبار ، وترك البعض الآخر (١) ، وقد أشرف على إصلاح هذه الآبار عتّاب بن أسيد عامله على مكة (٢) .

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وتولى الخلافة من

== حتى زوال الخلافة الأموية (الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٥٥) .

(١) ومن هذه الآبار : بئر العجول ، وقد حفرها كلاب بن مرة ، وتقع في دار أم هانئ عند باب الوداع ، بئر « بنر » ، وقد حفرها قصي بن كلاب ، وتقع في أعلى مكة (الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢١٦) ، وبئر « بذر » وقد حفرها هاشم بن عبد مناف (البلاذري : فتوح البلدان جـ ١ ص ٥٨) ، وقيل حفرها عبد الدار (ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٣١٨) ، وقيل قصي بن كلاب (الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢١٦) وتقع في مدخل الخندق ، وبئر « سجلة » وقد حفرها هاشم بن عبد مناف ، وتقع بين الصفا والمروة ، ولها اسم آخر هو « بئر بني مؤمل » (الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢١٩ ، والفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢١١) ، وبئر « طوى » وقد حفرها عبد شمس بن عبد مناف ، وتقع في مدخل مكة (البلاذري : فتوح البلدان جـ ١ ص ٥٧) ، وبئر « خم ، ورم » وقد حفرهما عبد شمس ، وجعلهما لسقاية أهل مكة والحجاج (الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢١٩) ، وبئر « الجفر » وقد حفرها أمية بن عبد شمس ، وتقع بطرف أجاد ، وجعلت لسقاية أهل مكة (نفس المصدر السابق ص ٢٢٠) ، وبئر « السنبلة » وقد حفرها خلف بن وهيب وتقع بأسفل مكة ، وتشتهر بعذوبة مائها (البلاذري : فتوح البلدان جـ١ ص ٥٨) ، وبئر « السيرة » وقد حفرها لؤي بن غالب خارج الحرم (البلاذري : المصدر السابق ص ٥٩) ، ويقول الأزرقي : أن الذي حفرها هو مرة بن كعب (الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٠) وقد اشتهرت هذه البئر بغزارة مائها .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٢٨ .

بعده أبو بكر الصديق وخلفاؤه ، اهتموا بتوفير المياه في مكة من هذه الآبار [١] .

ولما آلت الخلافة إلى البيت الأموي اهتم خلفاء هذا البيت بحفر الآبار والعيون في مكة وفي أماكن الحج لكي يعتمد عليها السكان في الحصول على المياه ، ونهج أهل مكة نهج الأمويين [٢] في حفر الآبار والعيون .

ففي عهد معاوية بن أبي سفيان (٤٠ - ٦١هـ) أقيمت مشاريع المياه للشرب في مكة ، حيث أمر عامله على مكة سنة ٤٣هـ بإجراء عيون عشرة إلى مكة في قنوات عملها خاصة لذلك الغرض [٣] ، وهذه العيون العشرة هي : عين الأزرقي ، وعين حايط [٤] الحمام [٥] ، وعين حايط عوف [٦] ، وعين حايط الصيفي [٧] ، وعين حايط

---

(١) النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام - بيروت ١٩٦٣م .

(٢) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين جـ ١ ص ١٥٩ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٧ - ٢٣٠ .

(٤) الحائط : البستان من النخيل إذا كان عليه حائط ، وهو الجدار ، وجمعه : حوائط. ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٢ ص ١٠٥٢ .

(٥) سميت حايط الحمام لأن حمام معاوية الذي بالمعلاة كان في أسفله ، وكان موضع هذه العين في مكان يسمى « شعب الأرين » . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٧ هامش ٣ .

(٦) كان بالقرب من ما جلى أمير المؤمنين هارون الذي بأصل الحجون ، ومكانها غير معروف الآن بالتحديد ، حولها أحد البساتين التي بخلف الجبل الذي يقال له جبل ابن عمر . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٨ هامش ٣ .

(٧) يقع بالمخصب عند أذاخر والخرمانية في طرف المخصب . الأزرقي : أخبار مكة =

مورش [١] ، وعين حايط خُرْمان [٢] ، وعين حايط مقيصرة [٣] ، وعين حايط حراء [٤] ، وعين حايط ابن طارق [٥] ، وعين حايط بلدح [٦] ، وعين حايط فخ [٧] .

= جـ ٢ ص ٢٢٨ هامش ٤ .

(١) ينسب إلى « مورش » الذي كان قيما عليه ، وقد ذكر محقق أخبار مكة للأزرقي (رشدي صالح) أن حايط مورش في شعب الخوز المسمى « النورية » ، وأنه كان يشرف على جبل حراء . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٩ هامش ١ ، وفي معجم البلدان « شعب الخوزيكة » ، وإنما سمي بذلك لأن نافع بن الخوزي مولى عبد الرحمن بن نافع بن الحارث الخزاعي نزله ، وكان أول من بنى فيه . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٠٤ .

(٢) ذكره ياقوت الحموي - بضم أوله وسكون ثانيه - ، وقال : « حايط خُرْمان بمكة » ويقع بالمكان المسمى اليوم بـ « الخرمانية » . ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٦١ ، والأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٩ هامش ٢ .

(٣) كان موضعه بركة سليمان بن جعفر إلى قصر أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور العباسي ، ولعله بالقرب من بئر ميمون . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٩ هامش ٣ .

(٤) حراء : هو الجبل المشهور الذي كان رسول الله ﷺ يتعبد فيه قبل البعثة ، وكان هذا الحايط ملاصقاً له . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٩ هامش ٤ .

(٥) عين حايط ابن طارق بأسفل مكة ، وكانت له عين تمر في بطن وادي مكة تحت الأرض ، ويقع بالقرب من شعب خم بجانب بركة ماجين . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٩ هامش ٥ .

(٦) بلدح : وادي بين فخ والحديبية ، والحديبية واقعة في آخر بلدح . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٣٠ هامش ٢ .

(٧) عين حايط فخ بالمكان المعروف اليوم بالشهداء . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٣٠ هامش ١ .

وكان لكل عين من هذه العيون مشارع [١] يردها الناس سواء من الحجاج والعمار ، أو المجاورين أو القاطنين ، فيحملون منها كفايتهم من المياه للشرب أو للأغراض اليومية [٢] .

ولا شك أن ما قام به الخليفة معاوية من هذه العيون لكي يستفيد بها كل من يفد إلى مكة يعتبر أول عمل من نوعه لإمداد المساكن المجاورة للحرم بالمياه ، كما يعتبر هذا العمل أهم ما قام به معاوية من خدمات في مكة المكرمة .

وقد ظلت تلك العيون على حالها إلى أن حج عبد الله بن عامر بن كريز [٣] ، فجمع تلك العيون السابقة ، وصرفها في عين واحدة ، كما

---

(١) المشرعة هي المواضع التي ينحدر إليها الماء ، قال الليث : وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره . والشِّرْعة والشريعة في كلام العرب مشرعة الماء ، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون ، وربما شرّعوها دوابهم حتى تشرعها وتشرب منها ، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عِداً لا نقطاع له ، ويكون ظاهراً معينا لا يُسقى بالإهشاء . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٤ ص ٢٢٣٨ .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٣) عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، رأى النبي ﷺ وروى عنه ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، وأبوه عامر ابن عمة رسول الله ﷺ البيضاء بنت عبد المطلب ، وكان من شجعان العرب وأجودهم ، فيه رفق وحلم ، وقد ولد في حياة الرسول ﷺ وتفل في عينيه ، فجعل يبتلع ريق رسول الله ﷺ فقال : « إنه لمسقاه » ، فكان لا يعالج أرضا إلا ظهر له الماء ، وكان كريما ممدوحا ميمون النقية . توفي في سنة ٨٥هـ ، وقيل في سنة ٩٥هـ . راجع سيرته بالتفصيل عند : ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٤٤ ، ==

اتخذ السقايات والحياض ، وحفر الآبار للحجيج في عرفة [١] .

وفي عهد الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٣هـ) أمر عكرمة بن خالد بن العاص [٢] بحفر بئر في أجياد [٣] سميت بـ « بئر عكرمة » [٤].

كما قام بنو مخزوم أيضا في سنة ٦١هـ بحفر بئر في منطقة أجياد

= وابن قتيبة : المعارف ص ٢٣ ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، والذهبي : تاريخ الإسلام جـ٣ ص ٨١ - ٨٢ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٨ ص ٦٨ .

(١) الأصبهاني : ذكر أخبار أصبهان ، نشر الدار العلمية بالهند جـ ١ ص ٦١ ، ط ٢ ١٤٠٥هـ ، وابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٤٧ ، والفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين جـ ٥ ص ١٨٦ - ١٨٧ ، جـ ٢ ص ٩١ .

(٢) عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وأمه ابنة كُليب بن حَزْن بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل . فولد عكرمة ابن خالد بن عبد الله ، وأمه عاتكة بنت عبد الله بن كُلي بن حَزْن من بني عقيل ابن كعب ، وخالداً وأمه حفصة بنت عبد الله بن كليب بن حَزْن وسليمان وأم سعيد لأم ولد . وأم عبد العزيز وأمها جلالة بنت عبد الله بن كليب بن حَزْن . وكان عكرمة ثقة ، وله أحاديث . ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٤٧٥ .

(٣) أجياد ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ ، ويقال جياد أيضا ، وهو موضع بمكة يلي الصفا . وقد اختلف في سبب تسميته بهذا الاسم . فقيل سمي بذلك لأن تُبّعاً لما قدم مكة ربط خيله فيه ، فسمي بذلك ، وذكر أصحاب الأخبار أن مُضاضا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة ، فسمي ذلك الموضع بأجياد لذلك ، وقيل غير ذلك . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ١ ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٦٨ .

أيضا ، حيث كان مقر سكناهم ، وقد سميت بـ « بئر الشركاء » [١] .

وفي خلال الفترة التي استقل فيها ابن الزبير بحكم الحجاز اهتم بتقديم خدمات عظيمة في مكة لراحة حجاج بيت الله الحرام ، منها توفير المياه ، حيث حفر بئر السُّقيا ـ وهي بئر عظيمة ـ في المشاعر المقدسة عند المأزمين ـ مأزمي عرفة ـ ، كما حفر بئراً آخر بقُعيقعان [٢] .

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) قدم الحجاج بن يوسف الثقفي ـ والي مكة ـ بتجديد إصلاح بئر ركايا [٣]، كما أنه أصلح بئر الياقوتة التي حفرها أبو بكر الصديق ﷺ بمنى وعمل بها حياضا [٤] ، وقام بتوزيع السقاه في أمكنة الحج لتوفير المياه للحجاج [٥] .

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٤ .

(٢) قُعَيْقَعان ـ بالضم ثم الفتح بلفظ التصغير ـ : وهو اسم جبل بمكة ، والواقف عليه يشرف على الركن العراقي ، وهو الجبل المشرف على المسجد الحرام من الشمال والشمال الغربي . الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٢٢٧ - ٢٨٣ ، جـ ٢ ص ٢٥١ - ٢٥٢، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٧٩ ، والبلاذري : معجم معالم الحجاز جـ ١ ص ١٤٦ ، دار مكة ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٩٩ .

(٤) ابن خياط : تاريخ خليفة ابن خياط ص ٢٦٩ - ٢٧١ ، والأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٨٥ - ٢٢٤ . وحياض : جمع حوض ، من حاض الماء وغيره حوضا وحوضه : حاطه وجمعه ، وحضت أحواض : اتخذت حوضا ، واستحوض الماء : اجتمع . فالحوض مجمع الماء ، وهو معروف ، ويُجمع على أحواض وحياض . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ٢ ص ١٠٥١ .

(٥) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٩٠ .

وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) اهتم بتأمين مياه الشرب وإصلاح الآبار في مكة ، فقد كلف واليه على مكة المكرمة خالد بن عبد القسري [١] بحفر بئرين ، إحداهما عند ثنية طوى [٢] ، والأخرى عند ثنية الحجون [٣] ، وقد تميز هذان البئران بعذوبة وطيب مائهما ، وكان يسقي منهما الناس [٤] ، كما كان يُنقل ماؤهما في أحواض من أديم [٥] حول المسجد الحرام ليستفيد منها قاصدوه من الحجاج والعمار سواء مقيمين أو وافدين [٦] .

---

(١) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري بن بجيلة أبو الهيثم ، ولد سنة ٦٦هـ وهو أحد خطباء العرب واجودهم ، تولى بلاد الحجاز ، والعراق لبني أمية ، وقتل سنة ١٢٦هـ على يد يوسف بن محمد الثقفي . ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق جـ ٥ ص ٧٠ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٥٨ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٢٦ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ ص ٤٢٥ .

(٢) الثَّنية ـ بفتح الثاء بعدها نون ساكنة ـ : في الأصل كل عقبة في الجبل مسلوكة . وطَوى ـ بالفتح والقصر ـ : واد بمكة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٢ ص ٨٥ ، ومجلد ٤ ص ٤٥ .

(٣) الحَجون ـ بفتح الحاء ـ : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها ، وقال السُكّري : مكان من البيت على ميل ونصف ، وقال السهيلي : على فرسخ وثلث . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٢ ص ٢٢٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٧٦ .

(٥) الأديم : الجلد على أي لون ، وقيل الأحمر ، وقيل : هو المدبوغ ، وذلك إذا تمَّ واحمرَّ ، والجمع آدمة وأُدُم . ابن منظور : لسان العرب ، مجلد ١ ص ٤٥ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٤٣٧ ، وابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٠٦ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ١٠٩ ، ==

أما الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) فقد أظهر اهتماماً كبيرا بتوفير المياه في مكة المكرمة ، حيث كلَّف عامله على مكة المكرمة خالد بن عبد الله القسري بعمل عين يجري ماؤها إلى المسجد الحرام .

وقد قام خالد بتنفيذ أمر الخليفة ، وأجرى هذه العين في قصب من رصاص من الثقبة [١] حتى أظهرها في فوارة تسكب في فسقية [٢] من رخام بين زمزم والركن المقام ، وقد خففت هذه العين كثيراً من العناء الذي كان يلاقيه الحجاج المقيمون في حمل الماء ، حيث أصبح الماء يجري بين أيديهم كأنه نهر [٣] .

كما عمل خالد القسري بعض البرك منها : بركة الثَّقَبة التي عملها

= والقلقشندي : مآثر الأناقة جـ ١ ص ١٣٦ ، والمقريزي : الذهب المسبوك ص ٣٠ - ٣١ ، ومؤلف مجهول : العيون والحدائق جـ ٣ ص ١٢٠٥ .

(١) الثَّقبة ـ بالتحريك ـ : جبل بين حراء وثبير بمكة تحته مزارع ، وهي منتزه من منتزهات أهل مكة إلى يومنا هذا . ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٨١ ، والبلاذري : معجم معالم الحجاز جـ ٢ ص ٨٣ .

(٢) الفسقية : عبارة عن حوض ، وعادة تكون مثمنة الشكل ، وفي منتصفها نافورة تغذيها بالمياه ، وتستعمل للوضوء . د. صالح لمعي مصطفى : التراث المعماري الإسلامي في مصر ص ٤٤ - ٤٥ ، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٣) وقد ظلت هذه الفسقية بمكانها إلى أن قامت الدولة العباسية ، فأزالها داود بن علي أول أمير حج عباسي في موسم سنة ١٣٢هـ . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٠٧ - ١٠٩ ، والمقريزي : الذهب المسبوك ص ٣٢ - ٣٤ ، وابن فهد : إتحاف الورى جـ ٢ ص ١٢٣ .

بحجارة منقوشة ، وأحكمها وتجمّع ماؤها في هذا الموضع ، وعمل بها سداً ، كما عمل بركة السوق ، وقام بإنشاء حياض عند باب الصفا بجوار المسجد الحرام [١] .

كذلك أمر الخليفة سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٧هـ بإصلاح بئر عمر [٢] ، وبئر الصلاصل ، وهو بئر قديم كان معروفا منذ الجاهلية ، وكان يقع قرب العقبة بمنى [٣] .

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) جدّد بناء بئر التجار الذي يقع في منى ، وكان هذا البئر معروفا منذ العصر الجاهلي ، وقد أصبح هذا البئر بعد تجديده صالحاً لسقاية الحجاج في منى [٤] .

أما الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) ، فقد قام باتخاذ القنى [٥] والبرك بطريق مكة لتوفير المياه لحجاج بيت الله الحرام [٦] .

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، والمقريزي : الذهب المسبوك ص ٣٣ - ٣٤ ، وابن فهد : إتحاف الورى جـ ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) يقع هذا البئر في منى ، وقد بناه عمر الخزاعي في سنة ٦٥هـ ، فنسب إليه ، وذلك في أثناء استقلال عبد الله بن الزبير بحكم مكة أثناء خروجه على الأمويين . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ١٨٦ .

(٣) النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٧٧ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٨٩ .

(٥) القنى : جمع قناه ، وهي الآبار التي تحفر في الأرض متتابعة ليستخرج ماؤها ويسيح على وجه الأرض . الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، منشورات المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان جـ ٤ ص ٣٨٣ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٢١٧ .

٢ ـ في المدينة المنورة :

تتميز المدينة المنورة بأنها تقع في منطقة كثيرة المياه ، كما أن بيوتها تشتهر بوجود الآبار داخلها ، لذا لا يجد الحجاج أي عناء في سبيل الحصول على المياه أثناء وجودهم فيها (١) .

وقد اهتم الرسول ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدون بتوفير المياه في المدينة المنورة عن طريق حفر الآبار والعيون ، ثم زاد هذا الاهتمام في العصر الأموي من قبل الخلفاء الأمويين ، وأهالي المدينة أنفسهم ، مما أدى إلى زيادة آبار المدينة (٢) وعيونها (٣) .

---

(١) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ٩٤٢ .

(٢) من أهم آبار المدينة : بئر « أنا » ، وبئر « أنس » ، وبئر « أهاب » ، وبئر « حاسوم » وبئر « حمل » ، وبئر « حلوه » ، وبئر « زرع » ، وبئر « العقبة » ، وبئر « ابن أبي عقبة » ، وبئر « العهن » ، وبئر « القريضة » ، وبئر « اليسيرة » ، وبئر « أريس » ، وبئر « رومة » ، وبئر « غرس » ، وبئر « حار » ، وبئر « بضاعة » ، وبئر « السقيا » وبئر « القراض » ، وبئر « عروة » ، وبئر « أبي أيوب » ، وبئر « فاطمة بنت الحسين » ، وبعض هذه الآبار لا تعرف في الوقت الحاضر . عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة ص ٢٤١ ، بيروت ١٩٧٣م ، والعباسي : عمدة الأخبار ص ٢٦٦ ، وإبراهيم العياش : المدينة بين الحاضر والماضي ص ١٧٨ ، المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

(٣) من أهم العيون في المدينة المنورة : عين الخيف ، وتقع في شرق المدينة ، وقد صنع لهذه العين مجاري وقنوات في السنة السابعة للهجرة لري المزارع المحيطة بالمدينة ، وقد قام سكان المدينة بعمل القنوات الخاصة لكل بستان لكي تصب فيها ماء هذه العين ، ولكن لم يستفد منها في السقاية سوى حجاج الركب الشامي ، لأنها تقع في مدخل طريق الحاج الشامي (عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة =

ففي عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠هـ) قدم إلى المدينة ، وشاهد ما يعانيه أهلها من مشقة في الحصول على المياه ، سواء المقيمون أو الحجاج ، فقرر أن يخفف عنهم هذا الجهد والعناء ، فأمر بحفر قناة تجري في وادي حُرُض [(١)] مارة بجبل « أحد » على أربعة أميال من المدينة

= ص ١٠٢) ، ولقد قام خلفاء الدولة الأموية بإجراء إصلاحات لهذه العين ، وذلك في عهد الخليفتين : الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) ، وعمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) حيث زيد عدد قنواتها وأصبحت بعد ذلك تسقي جميع المزارع (المقريزي : الذهب المسبوك ص ٣٠ ، وعبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة ص ١٠٣) ، ومن هذه العيون : عين الشهداء ، وتقع قرب « جبل أحد » شمال المدينة ، وقد اختلف المؤرخون إزاء نشأة هذه العين ، فذكر بعضهم أن الذي أمر بإنشائها معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠هـ (السمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ١٠٠٣ ، وإبراهيم العياش : المدينة بين الحاضر والماضي ص ١٤٤) ، بينما يذكر البعض الآخر - ونحن نميل إلى هذا الرأي - أنها عين قديمة خاصة بالبساتين والمزارع التي تقع شمال المدينة (قطب الدين المكي : تاريخ المدينة ، ورقة ٦٠ ، والمراغي : تحقيق النصرة ص ٣٤) ، وبعد مقتل حمزة عم الرسول ﷺ في غزوة أحد ، اصطلح على تسميتها بـ « عين الشهداء » نسبة إلى شهداء أحد ، أو بـ « عين حمزة » نسبة إلى حمزة بن عبد المطلب (عبد القدوس الأنصاري : اثار المدينة ص ١٠٤ ، وعلي حافظ : فصول في تاريخ المدينة ص ٤٠ ، جدة ١٩٦٩م) ، أما العين التي أمر بإنشائها الخليفة معاوية بن أبي سفيان فتقع جنوب المدينة في منطقة قباء ، وتسمى « عين الزرقاء » ، وسوف يأتي الحديث عنها خلال هذه الصفحات (السمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ١٠٠٦ ، وأحمد الشريف : دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجري ص ٦٥ ، القاهرة ١٩٦٨م) .

(١) حُرُض - بضم أوله وثانيه وضاد معجمة - وادي بالمدينة عند جبل أحد ، وهو كثير النبات . البكري : معجم ما استعجم جـ ٢ ص ٤٣٩ ، وياقوت =

لسقي أهلها ، وجعل لها شعبة أخرى على طريق الحج لسقي الحجاج وذلك في موسم الحج سنة ٤٤هـ [١] ، كما أمر ببناء سد شية بالبركة ، يجتمع فيه الماء على بعد عشرين ميلا من المدينة بمعدن بني سليم ، وذلك لتوفير المياه لسالكي طرق الحج [٢] .

وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت المدينة المنورة في حاجة إلى مصادر مياه أخرى ، نظرا لكثرة أعداد الحجاج ، لذا فقد كلف الخليفة معاوية عامله على المدينة مروان بن الحكم [٣] بحفر عين أخرى بعد أن زوده بالمال والرجال والآلات اللازمة [٤] .

وقد نفذ مروان أوامر الخليفة وبث رجاله في كل مكان لانتقاء (اختيار) المورد المناسب ، فأشاروا عليه بإحدى العيون التي تنبع من جنوبي قباء ، فأمر بحفر الأقنية اللازمة ، واستقدم العمال المتخصصين ، وأوصل الماء إلى موقع مقابل للمسجد ، وجعل لها بيتا يدخل إليه الناس ليتوضأوا ويتزودوا بالماء ، وقد سميت هذه العين بـ « عين الأزرق » نسبة إلى مروان بن الحكم الذي كانت عيناه زرقاوتين [٥] ، ثم حرف الاسم

== الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٤٢ ، والسمهودي : وفاء الوفا جـ ٤ ص ١١٨٥ .

(١) الحربي : المناسك ص ٤٢٢ ، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

(٢) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٤ ص١١٣٢ ، والعباسي : عمدة الأخبار ص٣٤١.

(٣) ولي مروان بن الحكم المدينة لمعاوية بن أبي سفيان في المرة الأولى بين سنتي ٤١ - ٤٩هـ ، وفي المرة الثانية بين سنتي ٥٦ - ٥٧هـ . زامباور : معجم الأسرات الحاكمة ص ٣٥ ، مصر ١٩٥١م .

(٤) عبد القدوس الأنصاري : اثار المدينة ص ٢٦٣ .

(٥) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ٩٨٥ - ٩٨٧ ، وقيل إنه كان يعين أم ==

بعد ذلك وصار « العين الزرقاء » [١] .

وقد ظل هذا الإنجاز المورد الرئيسي لأهل المدينة أربعة عشر قرنا ، شهد خلالها زيادات وإصلاحات كثيرة [٢] .

كذلك اهتم مروان بن الحكم بتوفير المياه للمناطق البعيدة أيضا ، فقد نقل السمهودي روايات تفيد أنه مد أقنية للمياه من منطقة العالية جنوبي المدينة إلى جبل أحد شمال المدينة ، وأن المياه دخلت قبور بعض الشهداء وكشفتها ، فخرج أبناؤهم وأعادوا دفنها [٣] .

كذلك قام مروان بعمل أحواض للمياه في المدينة المنورة تيسيراً لشرب الزوار ، ومن بعده أجرى الخلفاء الأمويون رزقاً في الديوان (راتباً شهريا) لمن يقوم على إصلاح هذه الأحواض [٤] .

كذلك عمل الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) على توفير المياه في المدينة المنورة ، فقد كتب إلى عمر بن عبد العزيز ـ عامله عليها ـ يأمره بحفر الآبار ، وعمل الأحواض والقنوات [٥] ، والفوّاره

= مروان زراق ومان يدعى بـ « ابن الزرقاء » . ابن عبد ربه : العقد الفريد ص ١٢٠ .

(١) ويقال : إنها سميت الزرقاء لأنها كانت تستقي ماءها من بئر الأزرق الذي يقع بجوار عين جعرانة . المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص مقام دار الهجرة ، تحقيق محمد عبد الجواد ص ١٤٨ ، القاهرة ١٩٥٥م .

(٢) د. عبد الباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة جـ ١ ص ٣٢٦ .

(٣) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ٩٣٧ .

(٤) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٣٩ .

(٥) يقال للحوحة والبركة فوّارة ، وكل ما كان غير الماء قيل له فوارة ، ويقال فَوّارة =

عند المسجد النبوي ، فعملها عمر بن عبد العزيز ، وأجرى ماءها من ظاهر المدينة ، فلما حج الخليفة الوليد سنة ٩١هـ ، وزار المدينة المنورة ، وشاهد تلك الفوارة أعجبته ، أمر والي المدينة بترتيب عمال يقومون عليها ، وأن يسقى أهل المسجد النبوي منها ، ففعل والي المدينة ذلك [١] ، وفي هذا دليل على متابعة الخليفة لجهود الولاه .

وعندما حج الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) سنة ١٠٦هـ ، ومرَّ بالمدينة المنورة بسقاية هشام بن إسماعيل المخزومي ، قيل له : يا أمير المؤمنين ، هذه جرار جدك هشام بن إسماعيل المخزومي ، فأمر بإصلاحها والإنفاق عليها وعلى القائمين بأمرها من بيت المال ، فكانت توضع هناك جرار أربع كبار يسقى منهن الحجاج وغيرهم من المسافرين [٢] .

وهكذا ظلت المياه متوفرة في المدينة المنورة خلال العصر الأموي ، ولم تتعرض لأي أزمة في المياه ، كما لم يحدث أي خراب لعيونها أو آبارها ، لبعد موقعها عن مجاري الأودية التي تجري فيها السيول .

= ودَوّارة - بفتح الفاء والدال - لكل ما لم يتحرك ولم يدر ، فإذا تحرك ودار فهي فُوّارة ودُوارة - بضم الفاء والدال - ، وفوارة الماء : منبعه . ابن منظور : لسان العرب جـ ٥ ص ٣٤٨٤ .

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ص ٤٣٧ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ١٠٩ ، وابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ جـ ٩ ص ٨٠ ، والمقريزي : الذهب المسبوك ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ، والسمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ١٠٥ ، والعباسي : عمدة الأخبار ص ٢٩٦ .

٣ ـ توفير المياه للحجاج في الطريق من مكة إلى المدينة :

عقب خروج الحجاج من مكة يتجهون إلى وادي فاطمة حيث يتزودون بالمياه (١) ، ثم يتجهون إلى وادي عُسفان على بعد مرحلتين ، وبها آبار وعيون يتزودون منها بالمياه (٢) ، ومن عُسفان يتجهون إلى خُليص على بعد مرحلتين ، ويوجد بها أسواق وعيون ، فيتزودون من أسواقها بالمآكل ، ومن عيونها بالماء (٣) ، ثم يرحلون إلى قرية رابغ التي تقع في شمال جدة على ساحل البحر الأحمر ، ومنها إلى بدر (٤) ، وهي على بعد خمس مراحل ، وتوجد بها الآبار التي يتزود منها الحجاج بالماء ، ثم يرحلون منها إلى محطات صغيرة لا يمكثون فيها كثيراً (٥) ، وفي طريقهم يمرون ببئر خلص ، ثم منها إلى بئر درويش ، ثم إلى ذي الحليفة (٦) .

ونظرا لحاجة الحجاج إلى المياه في طريق مكة ـ المدينة ـ فقد حرص خلفاء الدولة الأموية على توفيرها ، كما حرصوا على إصلاح الطريق من مكة إلى المدينة .

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٧٩ ، وابن جبير : الرحلة ص ٦٢ ، دار صادر ـ بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، وإبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ٢ ص ١٩٩ .

(٢) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) البتنوني : الرحلة الحجازية ص ١٥٩ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ص ٦٤ .

(٥) ابن جبير : المرجع السابق ص ٦٥ ، والبتنوني : الرحلة ص ١٦٠ .

(٦) البتنوني : المرجع السابق ص ١٦٢ ، وإبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ٢ ص ٢٠٣ .

فبعد أن آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠هـ) سنة ٤٤هـ بإصلاح بعض الآبار التي تعطلت في طريق المدينة ، كما أمر بزيادة عدد آبار بدر والجحفة [١] .

كما قام واليه على المدينة مروان بن الحكم بحفر بئر بمنزل مَلَل [٢] في طريق المدينة ـ مكة المكرمة ، وأخرى على نفس الطريق بمنزل الروحاء [٣] ، كما حفر بئر الصفوة على عشرين ميلا من ضريّة [٤] ، وفي سنة ٧٨هـ أمر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) بإصلاح الآبار التي تعطلت في الطريق من مكة إلى المدينة ، وأمر بحفر آبار

---

(١) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ١٩٤ .

(٢) مَلَل ـ فتح أوله وثانيه بعد لام أخرى ـ : سميت بذلك لتململ الناس بها ، وتقع في الطريق الأعظم ، وقبلها بميل ، وإلى اليسار طريق يخرج إلى السيالة ، ويوجد بملل آبار كثيرة . ابن خردانبة : المسالك والممالك ص ١٣٠ ، وابن رسته : الأعلاق النفسية ص ٧٧٧ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ١٩٤ ، والسمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ١٠٠٨ - ١٠٠٩ .

(٣) السمهودي : المصدر السابق جـ ٤ ص ١٢٢٢ . والروحاء سماها كذلك تبع ملك حمير ، فحينما رجع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل الروحاء ، فأقام بها وأراح ، وسئل كثير لم سميت الروحاء روحاء ؟ قال : لانفتاحها ورواحها . وهي على نحو مرحلتين من المدينة بينهما ٤١ ميلا . البكري : معجم ما استعجم جـ ٢ ص ٦٨١ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٣ ص ٧٦ ، والسمهودي : وفاء الوفا جـ ٤ ص ١٢٢٢ .

(٤) البكري : معجم ما استعجم جـ ٢ ص ٨٦١ ، وضَرِيّة ـ بالفتح ثم الكسر وياء مشددة ـ قرية عامرة في طريق مكة من البصرة ، وسميت ضرية نسبة إلى ضَرِيّة بنت نزار ، وهي أم خلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٣ ص ٤٥٧ - ٤٥٩ .

أخرى [١] .

وفي سنة ٨٧هـ أثناء خلافة الوليد بن عبد الملك أصلحت عين خليص [٢] وزال عنها الخراب الذي تعرضت له بسبب السيول التي داهمت هذه العين وخربتها [٣] .

هذا ، ولم تذكر المصادر أي إصلاحات حدثت في ذلك الطريق بعد ذلك حتى نهاية الدولة الأموية .

٤ ــ توفير المياه والخدمات في أماكن الزيارة :

حرص الخلفاء الأمويون على توفير المياه في كل مكان زاره الرسول ﷺ أو اختط أو بنى فيه مسجداً أو صلى فيه ، وذلك حتى لا يجد الحجاج صعوبة في حصولهم على المياه في هذه الأماكن التي اعتادوا زيارتها للتبرك [٤] ، ومن أهم هذه الأماكن التي قدمت فيها خدمات في العصر الأموي :

مسجد قباء :

الذي بناه الرسول ﷺ عند قدومه إلى المدينة ، ثم جُدد بناؤه في

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٥ ص ٢٣٠

(٢) خُلَيص حصن بين مكة والمدينة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٢ ص ٣٨٧ .

(٣) المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص مقام دار الهجرة ص ٧٠ . تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ، القاهرة ١٩٩٥م .

(٤) قطب الدين المكي : تاريخ المدينة ، ورقة ٦٢

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن تصدع [١] .

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) عملت الأساطين الرخامية بداخله ، وتم توسعته وتجديده ، كما عمل به حوض لجلب المياه التي يشرب منها الزائرون لهذا المسجد [٢] .

هذا ولم تتحدث المصادر عن حدوث تجديد لهذا المسجد ، أو تقديم خدمات له منذ عهد الوليد وحتى نهاية العصر الأموي .

مسجد بني ظفر :

يعرف هذا المسجد باسم مسجد البغلة ، وقد بناه جماعة من الأوس ، وهو يقع شرق البقيع في طرف الحرة القربية [٣] ، ويقال : إن النبي ﷺ صلى فيه ، كما يقال : إن به حجراً فيه أثر الرسول ﷺ ، وعندما حاصر مسلم بن عقبة المري المدينة المنورة سنة ٦٣هـ أراد خلع هذا الحجر ، فجاءه جماعة من بني ظفر وقالوا له : إعلم أن رسول الله ﷺ له أثر في هذا الحجر ، وطلبوا منه رده إلى مكانه ، فاستجاب لمطلبهم [٤] .

ولقد جدد بناء هذا المسجد في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) وعمل له منبر رخامي [٥] .

---

(١) العباسي : عمدة الأخبار ص ٢١٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١١ .

(٣) المراغي : تحقيق النصرة ص ١٨٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٤ ص ١١١ .

(٥) المصدر السابق ص ٥٣٢ .

مسجد القبلتين :

يقع هذا المسجد على هضبة مرتفعة من حرة الوبرة في طرفها الشمالي الغربي بالنسبة للمدينة [١] ، وينقسم هذا المسجد في شكله إلى قسمين : داخلي وخارجي ، فالقسم الداخلي منه به حجرات وواجهته للكعبة ، والقسم الخارجي به محراب واجهته إلى بيت المقدس [٢] .

وقد بني هذا المسجد في عهد الرسول ﷺ ، وفيه صلى مستقبلا بيت المقدس ، وفيه أيضا أمره الله سبحانه بتحويل القبلة إلى الكعبة ، ولهذا السبب سمي « مسجد القبلتين » [٣] .

وقد جدد بناؤه في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠هـ) الذي أمر بإصلاح الخراب الذي حدث فيه [٤] ، وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) أمر بتجديد بنائه ، وأرسل إليه الرخام من الشام لعمل الاسطوانات الداخلية [٥] ، وكان هذا آخر تجديد لهذا المسجد خلال العصر الأموي .

---

(١) عبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة ص ١٢٦ .

(٢) الأنصاري : المرجع السابق ص ١٢٧ ، وإبراهيم العياش : المدينة بين الحاضر والماضي ص ٤١٨ ، وكان ذلك وضع المسجد زمن الرسول ﷺ ، أما المسجد الحالي فلا يوجد به محراب يتجه نحو الكعبة ، وبناؤه الحالي يرجع إلى العصر العثماني .

(٣) إبراهيم : العياش : المدينة بين الحاضر والماضي ص ٤١٩ .

(٤) الأنصاري : آثار للدينة ص ١٢٧ .

(٥) المرجع السابق ص ١٢٨ .

ثالثا : توفير الطعام لأهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم :

١ ـ في مكة المكرمة :

نظراً لوقوع مكة في واد غير ذي زرع ، فقد عمل أهلها منذ العصر الجاهلي بالتجارة من أجل توفير الطعام للحجاج ولسكان مكة المكرمة ، فجلبوا القمح والدقيق والزيت من الشام ، والبلح والوبر والجلود والسمن والبخور من الجنوب ، والقرى المجاورة لهم ، وقاموا بتبادل تجاري كبير مع الفرس والروم [١] .

كما عقدت حول مكة الأسواق المختلفة لتوفير الطعام للحجاج الوافدين إليها ، وذلك في عكاظ ومجنة ، وذي المجاز [٢] .

وبعد أن أصبحت مكة تابعة للدولة الإسلامية استمر القرشيون في الحفاظ على تجارتهم التي أصبحت لها أهمية كبرى في حياتهم وحياة سكان مكة ، فقد ارتبطت مصالحهم بتوفير الأطعمة المختلفة وجلبها إلى مكة عن طريق تجارة القوافل [٣] .

وعندما استقرت السلطة في مكة للدولة الإسلامية الجديدة في العام الثامن للهجرة ، أخذت على عاتقها مسئولية إمداد الحجاج بالأطعمة ، فنجد الرسول ﷺ يرسل المال إلى أبي بكر الصديق ﷺ

---

(١) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٢) المرجع السابق جـ ٥ ص ٦١٤ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٣ ص ٧٨ .

حينما ولاه أميراً على الحج في السنة التاسعة للهجرة ليوزعه على مسلمي هذا الموسم الطعام (١) ، وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج رسول الله ﷺ في إمداد الحجاج بالأطعمة ، واهتموا بتجارة أهل مكة من أجل توفير الأطعمة لسكان هذا البلد الحرام ، وللحجاج الوافدين عليها ، بعد أن أصبحت الشام ومصر تابعة للدولة الإسلامية .

ففي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣ - ٣٥هـ) أصبحت « الشعيبة » (٢) الميناء البحري لمكة ، وأخذت السفن تجلب إليها البضائع والسلع من مصر واليمن وغيرها من البلدان المطلة على البحر الأحمر ، وظل الحال على ذلك حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين (٣) .

وبعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عصر بني أمية ، وامتدت من شرق آسيا إلى شمال أفريقيا ، أصبحت مكة سوقا تجارية كبرى ، وبخاصة في موسم الحج ، وذلك أن معظم الحجاج كانوا يفدون إليها لأداء فريضة الحج ، ولمبادلة ما يحملونه معهم من سلع ومتاجر (٤) .

---

(١) الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ١٩٠ - ١٩١ ، وحسين عبد الله باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة .. عمارتها ، وكسوتها ، وسدانتها ص ٣١٦ .

(٢) الشعيبة : ساحل مكة ومرسى سفنها في العصر الجاهلي قبل جدة ، أما الآن فقد اكتسحتها الحكومة السعودية مرة أخرى ، وأصبحت منتزها للعامة وطريقا غير بعيد . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٣ ص ٣٥١ ، د. فوزية مطر : عمارة الحرم المكي الشريف ص ٥٤ .

(٣) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ١٩ ، وأحمد السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ٧٣ ، وأحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٥م .

(٤) النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٢٣ ، وأحمد الشريف : ==

وقد انتشرت الأسواق في مكة في هذا العصر ، وكان مقرها حول المسجد الحرام ، وتنوعت تلك الأسواق ، فكان لكل فئة سوق خاص بها مثل سوق التمارين ، وسوق الجزارين ، وسوق الحطّابين ، وكانت هذه الأسواق قريبة من الدور التي يسكن فيها الحجاج ، وبها جميع ما يحتاجون إليه من الأطعمة (١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن سكان مكة المكرمة قد اهتموا بالزراعة والرعي في المناطق ذات التربة الخصبة والمياه الوفيرة ، وفي مقدمة هذه المناطق الأودية المجاورة لمكة ومنطقة الطائف (٢) .

وقد زودت هذه المناطق أسواق مكة بالمواد الغذائية مثل القمح والشعير ، والتمر ، والفواكه ، كما زودت المناطق الرعوية مكة بما تحتاج إليه من ماشية في موسم الحج (٣) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن خلفاء بني أمية قد حرصوا على توفير الطعام في مكة ، وخاصة فـي موسم الحـج ، لإطعام حجاج بيت الله الحرام ، وكان معاوية بن أبي سفيان أكثر هؤلاء الخلفاء اهتماماً بذلك ، فقد روي عنه أنه اشترى داراً بمكة وسماها « دار مراجل » ، وجعل فيها قدوراً ، وخصص للإنفاق عليها قدراً من ماله الخاص ، وكانت الجزر والغنم تذبح وتطبخ فيها ، ويطعم الحجيج في موسم الحج ، ثم يفعل

= مكة والمدينة ص ١٦٢ .

(١) ابن فهد : إتحاف الورى بأخبار أم القرى جـ ٢ ص ١٩٧ ، وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٧٣ ، القاهرة ١٩٥١م .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٧٨ .

(٣) البتنوني : الرحلة الحجازية ص ٣٥ .

ذلك في شهر رمضان (١) ، وقد سار الخلفاء الأمويون بعد معاوية على هذا النهج حتى نهاية دولتهم .

ونتيجة لما تقدم فقد ظل الطعام متوفراً في مكة لأهلها ، ولحجاج بيت الله الحرام خلال العصر الأموي ، ولم يتعرض أهلها للأزمات الاقتصادية وخاصة في موسم الحج ، إلا في سنة ثلاث وسبعين للهجرة حين نشبت الحرب بين الأمويين وعبد الله بن الزبير ، وأدت إلى ارتفاع الأسعار في أسواق مكة ، وأصاب الناس بسبب ذلك جوع شديد (٢) حتى يقال : بأن سعر الدجاجة بلغ عشر دراهم ، وأن الذرة اختفت من الأسواق (٣) .

٢ ــ في المدينة المنورة :

كانت الزراعة هي الحرفة الرئيسية لسكان المدينة المنورة ، نظرا لطبيعة تربتها البركانية الخصبة ، كما كانت تسيل بها وديان كثيرة ، وتفيض بمياه السهول في الغرب والشمال (٤) .

وقد اهتم المزارعون في المدينة المنورة بزراعة أشجار النخيل بكثرة وكانت لديهم أنواع كثيرة من التمر الذي كان أكثر طعامهم ، وأساس

---

(١) محب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى ص ٤٩٣ ، تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ـ القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام جـ ٢ ص ٢٥٩ .

(٣) الفاكهي : المنتقى في أخبار أم القرى ص ١٣٨ ، بيروت ١٩٦٧م .

(٤) البتنوني : الرحلة الحجازية ص ٥٣ ، وأحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ ص ٣٥٦ .

التعامل بينهم ، حيث كانت تدفع منه الأجور ، وتُسدِّد الديون ، كما كانوا ينتفعون بكل شيء من النخلة ، حتى لقد شبه النبي ﷺ المؤمن بالنخلة في كل ما فيه خير (١) .

كذلك اهتم المزارعون في المدينة بزراعة الشعير والقمح ، والكروم وأنواع الفاكهة مثل : الرمان ، والموز ، والبطيخ ، وأنواع من الخضر والبقول والليمون (٢) .

وكانت هذه المحاصيل توفر الجزء الأكبر من المواد الغذائية التي تكفي حاجة السكان (٣) ، وحاجة من يفد عليهم من الحجاج والعمار .

وعلى الرغم من أن منطقة المدينة بلاد رعي ؛ لأن أراضيها صالحة للزراعة ، وإنتاج المحاصيل الزراعية ، إلا أنه كانت هناك قبائل بدوية كانت تقوم بالرعي على ما ينبت في منطقة المدينة من أشجار رعوية بالقرب من مجمع السيول (٤) .

وإلى جانب الزراعة والرعي كانت هناك حرفة الصيد الذي كان يعتبر من مصادر الطعام لأهل المدينة أيضا ، وكان يزاول هذه الحرفة سكان المدينة الحضر ، وبعض أهل البادية ، وكان في المدينة أسواق منظمة يباع فيها ما تنتجه من محاصيل (٥) ، وقد بدأت الحركة التجارية فيها

---

(١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٤٢ .

(٢) السمهودي : وفاء الوفا بأخبار مدينة المصطفى جـ ١ ص ١٥٣ .

(٣) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٤٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٤١٥ ، وياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٥ ص ٩٢ .

(٥) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ١٨٧ .

تنشط منذ قيام الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ، ثم زاد نشاطها في عهد الخلفاء الراشدين ، حيث كان يفد عليها الكثيرون من تجار الأمصار الإسلامية ، التي فتحت في عهد هؤلاء الخلفاء .

وفي العصر الأموي ازدادت هذه الحركة نشاطا واسقرارا ، وقامت في المدينة صناعات مختلفة اعتمدت على الإنتاج الزراعي ، كما سكنها تجار متخصصون احترفوا أنواعا من الصناعات وبخاصة صناعة الحلي والأسلحة (١) .

وقد اتضح لنا من دراستنا لهذه الفترة الزمنية التي تناولها البحث أن المصادر لم تذكر لنا أي أزمة اقتصادية واجهت أهل المدينة المنورة وزوّارها من الحجاج والعمار .

رابعا : توفير المسكن للحجاج والعمار في مكة والمدينة :

ا ـ في مكة المكرمة :

كان سكان مكة يهتمون بإسكان حجاج بيت الله الحرام منذ عهد قصي بن كلاب ، وقد استمرت هذه العادة في أبناء قصي بعد موته ، وكان لكل بطن من بطون قريش رباعاً خاصاً مثل رباع بني مخزوم وحلفائهم ، ورباع بني تميم وحلفائهم (٢) .

---

(١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٤٦ ، والبتنوني : الرحلة الحجازية ص ٥٨

(٢) الرباع مشتق من الربع ، وهو المكان المعد لسكن القبيلة : الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ١٨

وكانت مكة موزعة حسب سكانها القريشيين إلى مناطق ، فكان رباع عبد المطلب بن هاشم في منطقة الشعب ، ورباع بني عبد شمس في المدعاة ، وفيها دار أبي سفيان ، ورباع بني عبد مناف بفوهـة شعب بني عامر ، ويقال إن بني بكر سكنوا هذه الشعبة ، كما كان رباعا ابن أبي العيص قرب شعب بني عامر بالمعلا [١][٢] .

وكان على كل أسرة قريشية أن تسكن من يفد إليها من القبائل العربية في رباعها الخاص بها بدون أجر ، أما القبائل العربية التي كانت تفد إلى مكة في موسم الحج ولم يكن لها حلفاء من أهل مكة أو من القبائل التي استوطنت في مكة ، فإنهم كانوا يسكنون في مضارب الخيام التي يقومون بعملها في أعلى مكة في منطقة الأبطح [٣][٤] .

وبعد الفتح الإسلامي لمكة في السنة الثامنة للهجرة زادت مساحتها العمرانية ، وكثر عدد الوافدين إليها من مختلف أنحاء الجزيرة العربية

---

(١) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٤ ص ٤٠٥ .

(٢) المعلا : موضع بالحجاز . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٥ ص ١٥٨ .

(٣) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٦٨ .

(٤) الأبطح ـ بالفتح ثم السكون وفتح الطاء والحاء مهملة ـ ، وكل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح . وقال ابن دريد : الأبطح والبطحاء : الرمل المنبسط على وجه الأرض . وقال أبو زيد : الأبطح أثر المسيل ضيقا كان أو واسعاً . والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى ، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة ، وربما كان إلى منى أقرب وهو للمحصب ، وهو خيف بني كنانة ، وقد قيل : إنه ذو طوى وليس به . وذكر بعضهم أنه إنما سمي الأبطح لأن آدم عليه السلام بطح فيه . ياقوت الحموي معجم البلدان . مجلد ١ ص ٧٤ .

لأداء فريضة الحج ، وكان أهل مكة يستقبلونهم في دورهم [١] .

وفي العصر الأموي اتسعت رقعة الدولة الإسلامية نتيجة للفتوح الإسلامية التي تمت في هذا العصر في بلاد المغرب ، وأصبح يفد إلى مكة حجاج كثيرون من جميع أمصار الدولة الإسلامية ، وكان هؤلاء الحجاج يسكنون في بيوت أهل مكة بدون مقابل [٢] بناء على أوامر الخلفاء الأمويين الذين منعوا المكيين من تأجير بيوتهم للحجاج و اعتبروا ذلك حراما [٣] ، ولذا اعتاد أهل مكة ألا يضعوا على مداخل مساكنهم أبوابا ، وأن يستقبلوا الحجاج في دورهم بدن أجر [٤] ، واستمرت الحال

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ ١ ص ٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٦ ، ومحب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى ص ٩٨ ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .

(٣) لقد استند هؤلاء الخلفاء على رأي الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه الذي كان يجد كراهية في إيجار بيوت مكة للحجاج ، مستنداً في رأيه إلى الحديث الشريف الذي رواه عبد الله بن زياد عن أبي نجيح عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « من اكل من اجور بيوت مكة شيئا فكأنما أكل ناراً » . محمد أبو زهرة : أبو حنيفة ص ٧٣ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٢م . وروي أيضا عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كره إيجار البيوت للحجاج ، لأن لهم ضرورة في النزول والإقامة مستنداً على قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل مكة : « لا تتخذوا دوركم أبوابا لينزل البادي حيث شاء » ، ويؤكد على هذا القول الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حينما كتب إلى عامله على مكة عبد العزيز بن خالد بن أسيد يأمره ألا يدع أهل مكة يأخذون على بيوتهم أجرا من الحجاج ، وألا تغلق أبوابها ، مستندا على أن مكة لم تفتح عنوة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها على ألا تباع ولا تؤجر . الجزيري : درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٤ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ١٣٢ .

على ذلك خلال فترة هذا البحث (١) .

٢ ـ في المدينة المنورة :

أما المدينة المنورة فقد كانت مساحتها العمرانية أقل من مساحة مكة المكرمة ، كما أن أكثر بيوتها أقيمت حول المسجد النبوي ، وكانت تتكون من طابقين أو ثلاثة ، شيدها أهل المدينة من الحجارة (٢) ، ولقد كان أهل المدينة يستقبلون كل من يفد إليهم من الحجاج في بيوتهم الخاصة يحتفون بهم ، ويحسنون ضيافتهم ، ويهيئون لهم ما يستطيعون من سبل الراحة ، ولا يتقاضون على ذلك أجراً (٣) .

والباحث في أحوال المدينة خلال فترة هذا البحث لا يجد أي شكوى من معاملة أهل المدينة لحجاج بيت الله الحرام ، ولعل ذلك يرجع إلى حسن تربية أهل المدينة على يد رسول الله ﷺ ، وعلى أيدي الخلفاء

---

(١) لم يكن الاهتمام بتوفير المسكن في مكة للحجاج والعمار مقصوراً على الخلفاء الأمويين وأمرائهم ، بل تجاوزهم إلى النساء أيضا ، فقد ذكر الأزرقي أن رملة بنت عبد الله بن عبد الملك بن مروان اشترت داراً بالمروة ، وتصدقت بها ليسكنها الحجاج والعمار ، وكان بها دهليز توضع فيه شراب فيه أسوقة محلاة تسقي منها الحجيج في موسم الحج ، ولم تزل تلك الدار يسقى منها شراب « رملة » وأوقفت عليها الأوقاف بالشام ، كما ظل الحجاج والمعتمرون يسكنون هذه الدار حتى نهاية العصر الأموي . الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٤٩ .

(٢) البتنوني : الرحلة ص ٧٠ ، وعبد القدوس الأنصاري : آثار المدينة ص ٢٧٣ ، بيروت ١٩٧٣م ، والعياش : المدينة بين الحاضر والماضي ص ٣٨٨ ، دمشق ١٩٧٣م .

(٣) البتنوني : الرحلة ص ٧٦ ، والعباسي : عمدة الأخبار ص ٣٩٠ .

الراشدين من بعده ، تلك التربية التي جعلتهم يتميزون بالورع والصلاح وحسن الأدب وجميل المعاشرة (١) .

ومنذ خلافة معاوية بن أبي سفيان بدأ الحجاج يفدون إلى المدينة ومعهم الصدقات ، كما قام معاوية بإرسال الأموال إلى أمير المدينة لتوزيعها على أهلها (٢) الذين كانوا يستقبلون حجاج بيت الله الحرام في دورهم ، وعندما زاد عدد سكان المدينة ، وزاد عدد المجاورين والوافدين إليها من الحجاج والتجار وطلبة العلم ، ولما لم تعد مساكنها تكفي لسكنى هؤلاء وأولئك أخذ الخلفاء والأمراء والتجار يقومون بإنشاء دور وأربطة حول المسجد النبوي الشريف وتسكينها للحجاج والعمار (٣) .

ففي خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) قام عمر بن عبد العزيز أمير المدينة المنورة حينئذ بإنشاء دار له بجوار المسجد النبوي الشريف ، ثم تصدق بها على الحجاج والعمار ، وكتب في صدقتها كتابا ، وأشهد عليه شهودا ، ووضع هذا الكتاب في خزانة الكعبة عند الحجبة ، وأمرهم بالقيام عليها ، وإسكانها الحجاج والمعتمرين ، وقد ظلت هذه الدار ملجأ للحجاج والعمار خلال العصر الأموي (٤) .

كما كان يوجد في المدينة دور موقفة لسكنى الحجاج والعمار ، ومن أهمها :

---

(١) البتنوني : الرحلة ص ١١٢ .

(٢) أحمد الشريف : دور الحجاز في الحياة السياسية في القرن الأول الهجري ص ٩٧ القاهرة ١٩٦٨م .

(٣) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٣ ص ١٠٥٠ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

دار أبي أيوب الأنصاري (١) :

تقع هذه الدار في الناحية الجنوبية الشرقية من المسجد النبوي ، وتاريخ بنائها يرجع إلى ما قبل الهجرة ، وحينما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة نزل فيها ، وكانت هذه الدار تستقبل الحجاج في فترة موسم الحج في عهد الخلفاء الراشدين (٢) ، وقد اشتراها شخص يدعى المغيرة بن عبد الرحمن (٣) ، وأوقفها على الفقراء والمغتربين المجاورين في المدينة (٤) ، وقد ظلت في العصر الأموي مزاراً للحجاج يذهبون لزيارتها ، والإقامة فيها في موسم الحج (٥) .

---

(١) أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ، من بني النجار ، صحابي شهد العقبة ، وبدراً ، واحداً ، والخندق ، وسائر المشاهد ، وكان شجاعا صابراً تقيا محبا للغزو والجهاد ، عاش إلى أيام بني أمية ، وكان يسكن بالمدينة ، فرحل إلى الشام ، ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية ، صحبه أبو أيوب غازيا ، فحضر الوقائع ، ومرض فأوصى أن يوغل به في أرض العدو ، فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية ، وله ١٥٥ حديثا . الزركلي : الأعلام ، مجلد ٢ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٢) الأنصاري : آثار المدينة ص ٤٧ .

(٣) المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، من الأجواد والشجعان ، كان في جيش مسلمة بن عبد الملك في غزواته ببلاد الروم ، وأصيبت عينه ، فعرف بالأعور ، ونزل المدينة في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) ، ومات بها ، وقيل مات مرابطا بالشام ، ومن أخباره في الجود أنه كان حيثما نزل ينحر الجزر ويطعم الناس ، وأوقف ضيعة له على طعام يصنع في منى أيام الحج . الزركلي : الأعلام ، مجلد ٧ ص ٢٧٧ .

(٤) إبراهيم العياش : المدينة بين الحاضر والماضي ص ٣٩٤ .

(٥) الأنصاري : آثار المدينة ص ٤٨ .

دار آل عمر بن الخطاب :

وهي دار عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ ، وقد أوقفها على الفقراء والغرباء ، وجعلها سكنا للحجاج في موسم الحج ، وقد ظلت هذه الدار في العصر الأموي مقراً لاستقبال وإقامة الحجاج في فترة الزيارة ، وهي الآن تابعة لأوقاف الحرم النبوي الشريف [١] .

دار خالد بن الوليد [٢] :

بنى هذه الدار خالد بن الوليد في عهد الرسول ﷺ ، وكانت مقراً لسكنه [٣] ، وقد ظلت هذه الدار تستقبل حجاج بيت الله الحرام في

---

(١) الأنصاري : آثار المدينة ص ٤٩ .

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ، سيف الله الفاتح الكبير ، الصحابي كان من أشراف قريش في الجاهلية ، يلي أعنة الخيل ، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية ، وأسلم قبل فتح مكة هو وعمرو بن العاص سنة ٧هـ ، فسرَّ به رسول الله ﷺ وولاه الخيل ، ولما ولي أبو بكر وجَّهه لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد ، ثم سيره إلى العراق سنة ١٢هـ ، ففتح الحيرة وبعض المدن الأخرى ، ثم وجهه أبو بكر إلى الشام ، وجعله أمير من فيها من الأمراء ، ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام ، وولى أبا عبيدة بن الجراح فلم يثن ذلك من عزمه ، واستمر يقاتل بين يدي أبي عبيدة إلى أن تم لهما الفتح (سنة ١٤هـ) ، فرحل إلى المدينة ، فدعاه عمر ليوليه فأبى ، ومات بحمص (في سوريا) ، وقيل بالمدينة . كان مظفرا خطيبا فصيحاً ، يشبه عمر بن الخطاب في خلقه وصفته ، قال أبو بكر : عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ، روى له المحدثون ١٨ حديثا ، وأخباره كثيرة . الزركلي : الأعلام ، مجلد ٢ ص ٣٠٠ ، ط ٢ دار العلم للملايين ١٩٩٧م .

(٣) المراغي : تحقيق النصرة بتلخيص مقام دار الهجرة ص ١٦٩ ، تحقيق محمد ==

فترة الزيارة خلال العصر الأموي ، ثم بيعت بعد ذلك ، وبني رباطا مكانها سمي باسم « خالد بن الوليد » (١) .

دار عثمان بن عفان :

في عهد رسول الله ﷺ بنى عثمان بن عفان دارين أمام باب جبريل ، الدار الصغرى خصصت في فترة خلافته لاستقبال الحجاج ، وقد ظلت كذلك خلال العصر الأموي ، ثم اشتراها مجموعة من التجار المغاربة ، وزادوا في بنائها ، وجعلوها رباطا .

أما الدار الكبرى فكانت سكنا لعثمان بن عفان ، وفيها قتل ، وقد ظلت تستقبل الحجاج خلال عصر الخلفاء الرشدين والأمويين ، ثم أصبحت بعد ذلك رباطا (٢) .

دار جعفر الصادق (٣) :

كانت هذه الدار ملكا لحارثه بن النعمان

== عبد الجواد الأصمعي ، القاهرة ١٩٥٥م .

(١) المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٢) الأنصاري : اثار المدينة ص ٤٢ .

(٣) جعفر الصادق : هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله الملقب بالصادق ، سادس الأئمة الأثنى عشر عند الإمامية ، كان من أجلاء التابعين ، وله منزلة رفيعة في العلم ، أخذ عنه جماعة منهم الإمامان : أبو حنيفة ومالك ، ولقب بالصادق ، لأنه لم يعرف عنه الكذب قط . له أخبار مع الخلفاء من بني العباس ، وكان جريئا عليهم صداعا بالحق ، له رسائل مجموعة في كتاب ، ورد ذكرها في كشف الظنون ، يقال إن جابر ==

الأنصاري [١] ، ثم اشتراها منه جعفر الصادق ، وأوقفها على من يتولى خدمة الحرم النبوي ، وهي الآن من أوقافه [٢]

وهذه الدار ملاصقة للدار أبي أيوب الأنصاري من الناحية الجنوبية لها [٣] .

وإلى جانب هذا بنيت دور كثيرة ، لكن لا يعرف من الذي أوقفها أو شرط وقفيتها أو سنة وقفيتها .

وقد أوقف جزء من هذه الدور على المسجد النبوي الشريف ، وأكثرها لم تعرف في الوقت الحاضر بسبب التوسعة للمسجد النبوي ، حيث أدخل أغلبها في هذه التوسعة .

* * *

= ابن حيان قام بجمعها ، توفي بالمدينة سنة ١٤٨هـ . الزركلي : الأعلام ، مجلد ٢ ص ١٢٦ .

(١) حارثة بن النعمان بن نفع بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم ، وأمه جعدة بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن هلبه ، ويكنى أبا عبد الله ، شهد حارثة بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان له منازل قرب منازل الرسول ﷺ بالمدينة ، فكان كلما أحدث رسول الله ﷺ أهلا ، تحول له حارثة بن النعمان عن منزل بعد منزل حتى قال النبي ﷺ : لقد استحييت من حارثة بن النعمان مما يتحول لنا عن منازله . توفي حارثة في خلافة معاوية بن أبي سفيان . ابن سعد : الطبقات الكبرى ، مجلد ٣ ص ٤٨٧ - ٤٨٨

(٢) الأنصاري : اثار المدينة ص ٤٢ .

(٣) إبراهيم العياش : المدينة بين الحاضر والماضي ص ٣٩٠

خاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهـذا وما كنا لنهتدي لـولا أن هدانا الله ، وبعد

فإن خاتمة القول في هذا العمل ـ الذي أرجو أن يكون خالصاً لوجه الله الكريم ـ أن أبين مجموعة من الحقائق والنتائج تجلت من خلال هذه الدراسة ، التي تناولت جانبا هاماً من تاريخ المسلمين في صدر الإسلام وهو « **مظاهر الاهتمام بالحج والحرمين والشريفين في العصر الأموي** » .

لقد بيّنت هذه الدراسة أن المسلمين قد عرفوا نظام الإمارة على الحج منذ السنة الثانية للهجرة ، وهي السنة التي فتح فيها رسول الله ﷺ مكة واستخلف عليها عتاب بن أسيد الذي حج بالمسلمين في هذا العام .

ثم بينت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان أول من نُصّب أميراً للحج في الإسلام ، حيث فوضه الرسول ﷺ للحج بالناس في السنة التاسعة للهجرة ، وسار معه ركب الحجيج من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة .

كذلك أوضحت هذه الدراسة أن إمارة الحج ارتبطت في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين بمقر حاضرة الدولة الإسلامة ، ففي عهد أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ كان أمير الحج يخرج من المدينة المنورة على رأس قافلة الحج معينا من قبل الخليفة ، وفي عهد علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ كان هذا الأمير يخرج من مدينة الكوفة التي اتخذها عليّ عاصمة لدولته .

أما في العصر الأموي فقد أصبح أمير الحج يخرج من مدينة دمشق التي أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية آنذاك ، معينا من قبل الخليفة الأموي ومعه الكسوة الشريفة ، والهدايا التي يقدمها الخليفة للحرمين الشريفين وأهلهما ، وكانت جموع الحجيج من مختلف أنحاء العالم الإسلامي يجتمعون تحت لواء أمير الحج الأموي ، مما ترتب عليه زيادة الاهتمام بطريق الشام ـ الحرمين الشريفين ، وهو الطريق الذي يربط بين العاصمة السياسية (دمشق) والعاصمة الروحية وهي المدينة المنورة .

ثم أوضحت الدراسة بعد ذلك مدى اهتمام خلفاء بني أمية بشئون الحج ورعايته ، وذلك بقيام عدد منهم بتولي إمارة الحج بنفسه أكثر من مرة في سنوات خلافته ، وقيامهم بعد أداء الفريضة بتقديم خدمات جليلة في الحرمين الشريفين ، لتوفير الراحة والطمأنينة لحجاج بين الله الحرام ، بالإضافة إلى حرصهم الشديد على تعيين أمير الحج في السنوات التي لم يحجوا فيها من أبنائهم أو من أمراء مكة والمدينة ، أو غيرهم من كبار رجال الدولة ، وقد اقتدى هؤلاء الأمراء بالخلفاء الأمويين في توفير سبل الراحة والطمأنينة لحجاج بيت الله الحرام .

وبيَّنت الدراسة فيما يختص بكيفية اختيار أمير الحج وشروطه وواجباته أن هذا الأمير ينبغي أن يكون على علم تام بأمور الحج وجميع مناسكه ، لأنه مسئول عن تأدية الحجيج لمناسكهم على أكمل وجه وأيسر سبيل ، فإن كان يجهل هذه الأمور أو بعضها ، فعليه أن يصحب معه عدداً من العلماء ليعلموه إياها ، وقد حدث ذلك خلال فترة هذا البحث ، حيث كان بعض أمراء الحج يصحبون معهم أثناء خروجهم للحج عدداً من العلماء ، ليقدموا لهم النصيحة والإرشاد .

أما فيما يختص بطرق الحج ومظاهر اهتمام الخلفاء الأمويين بها ، فقد أوضحت هذه الدراسة أن ركبان الحج من سائر الأمصار الإسلامية كانت تسلك في اتجاهها إلى مكة أربعة طرق رئيسية ، تشق شبه الجزيرة العربية من شرقها ، وشمالها ، وجنوبها ، وهذه الطرق هي نفسها ـ على وجه التقريب ـ طرق التجارة القديمة ـ التي كانت معروفة عند العرب في العصر الجاهلي ـ ثم عُرِفت في الإسلام بـ « طرق الحج » ، وقد كشفت هذه الدراسة أن خلفاء بني أمية الأُول لم يهتموا بهذه الطرق ، ولم يقدموا أي خدمات منها ، وأنهم قصروا عنايتهم على طريق الحج الشامي ، الذي يخرج من دمشق ، وذلك لانشغالهم بالفتوح الإسلامية المختلفة ، وتصدّيهم لقمع ما كان يقوم به الخوارج والشيعة من ثورات وفتن داخلية صرفتهم عن العناية بطرق الحج الأخرى ، ثم تغير الحال بعد ذلك منذ خلافة عبد الملك بن مروان حيث أخذ الخلفاء الأمويون يهتمون بتمهيد هذه الطرق وتيسيرها ، وتأمينها ، وتوفير الخدمات للحجاج بها وللقبائل القاطنة عليها .

وأما فيما يختص بعمارة الحرمين الشريفين ، فقد بيّنت هذه الدراسة مدى اهتمام الخلفاء الأمويين وأمرائهم بشكل ملحوظ بعمارة وترميم وتوسعة المسجدين الشريفين ، وكذلك عمارة الكعبة وكسوتها ، وكانت عمارة ابن الزبير للكعبة هي أول عمارة حدثت لها منذ العصر الجاهلي ، وقد راعى في بنائها أن تكون على قواعد إبراهيم مستندا في ذلك على حديث عائشة رضي الله عنها التي روته عن رسول الله ﷺ والذي سبق ذكره ، والتعليق عليه في هذا البحث .

ثم أوضحت هذه الدراسة أن أعمال التعمير التي قام بها الحجاج

ابن يوسف الثقفي للكعبة المشرفة تعتبر من الأعمال التي أجراها الخليفة عبد الملك ، لأنها تمت بأمره وعلى يد قائده الحجاج ، الذي أعاد بناءها على أساس قريش ، وأزال ما زاده ابن الزبير فيها ، وهو الذي أقره الرسول ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها ، ولذا فقد ندم الخليفة عبد الملك عندما تحقق من صدق هذا الحديث ، وأراد أن يرد الكعبة المشرفة على الوضع الذي كانت عليه في زمن عبد الله بن الزبير ، وشاور العلماء في ذلك ، لكنهم رفضوا أن يغير الخليفة من بناء الكعبة مرة أخرى حتى لا تصير ملعبا للملوك والأمراء ، ورهن رغباتهم ، فاستجاب الخليفة لنصيحتهم ، وأبقى الكعبة على بناء الحجاج بن يوسف لم يحدث فيها أي تغيير .

وفيما يختص بكسوة الكعبة المشرفة ، وموعد كسوتها ، ومكان صناعتها ، وتجريدها من كسوتها تجريداً كاملاً ، وتطييبها بصورة منتظمة ، فقد أوضحت هذه الدراسة أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من خصّص للكعبة كسوتين في العام ، حيث كان يكسوها الديباج في شهر عاشوراء ، والقباطي في التاسع والعشرين من شهر رمضان ابتهاجا واستعداداً لعيد الفطر المبارك ، كما أنه رضي الله عنه يعتبر أول من أخدمها العبيد ، ومن بعده سار خلفاء بني أمية على هذا المنهج حتى سقوط دولتهم على أيدي العباسيين .

وقد حظيت مصر بشرف صنع كسوة الكعبة منذ العصر الجاهلي ، وذلك لشهرتها بصنع الثياب الجيدة التي تعرف بالقباطي ، وبعد أن تم فتحها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصبحت كسوة الكعبة ترد منها بصفة رسمية ، حيث يقوم عامل الخليفة على مصر بصنعها وإرسالها إلى الكعبة بأمر الخليفة ، وظل الحال على ذلك في العصر الأموي ، حيث

كان الخلفاء الأمويون يأمرون بصنع الكسوة الشريفة في مصر وإرسالها إلى الكعبة كل عام باستثناء بعض السنوات التي كانت الكسوة تأتي فيها من خارج مصر ، وكان أول من جرد الكعبة من كسوتها تجريداً كاملاً لتنظيفها وتخفيف ثياب الجاهلية عنها وإلباسها كسوة جديدة مع تطييبها بالعطر الغالي هو شيبة بن أبي طلحة الحجبي ، وذلك في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، وكانت قبل ذلك تجرد تجريداً جزئيا بقصد التخفيف عنها بعض الشيء ، ولم يكن تجريداً كاملا ، ثم سار على نهج معاوية الخلفاء من بعده حتى نهاية دولتهم .

وكان الخلفاء الأمويون هم أول من طيبوا الكعبة بصورة منتظمة في الإسلام ، وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان أول من طيبها بالخلوق والمجمر ، وأجرى لها وظيفة الطيب عند كل صلاة ، وكان يبعث لها بالمجمر والخلوق مرتين في العام ، في موسم الحج ، وفي شهر رجب ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الكعبة لم تجرد من كسوتها تجريداً كاملاً إلا في عهده ، وأما قبل ذلك فكانت تخفف من الكسي التي كانت عليها الشيء بعض الشيء دون الكشف عن جدرانها ، وقد ظل خلفاء بني أميـة يهتمون بتطييب الكعبة بصورة منتظمة حتى نهايـة العصر الأموي .

أما فيما يختص بعمارة المسجد الحرام فقد أثبتت هذه الدراسة أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من أدخل المنبر في المسجد الحرام ، وأول من أجرى لهذا المسجد زيتاً وقناديل من بيت المال للإضاءة ، حتى يتمكن الحجاج والمصلون من أداء شعائرهم ليلا في أمن وطمأنينة ، ثم أوضحت بعد ذلك أعمال التعمير التي قام بها عبد الله بن الزبير للمسجد الحرام في

نفس العام الذي جدّد فيه الكعبة ، وذلك بتوسعة المسجد من جهة الشرق بامتداد الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي ، بالإضافة إلى تعمير مطاف المسجد الحرام الذي كان ابن الزبير أول من عمّره .

كذلك أثبتت هذه الدراسة أن الخليفة عبد الملك بن مروان هو أول من قام بتسقيف المسجد الحرام بخشب الساج الذي يُعد من أفخر أنواع الخشب ، وأول من زين رؤوس الأعمدة بالذهب ، وأول من جعل له سرادقات ، وأول من اتخذ المصابيح في هذا المسجد بصفة رسمية .

ثم أوضحت هذه الدراسة بعد ذلك الأعمال المعمارية الكثيرة والمهمة التي قام بها الخليفة الوليد بن عبد الملك في المسجد الحرام ، فأثبتت أنه أول من نقل إليه أساطين الرخام ، وأول من رخّمه وذهّبه في الإسلام ، وفيما يختص بعمارة المسجد النبوي الشريف فقد بينت هذه الدراسة أن أول عملية تجديد وتوسعة قام بها الأمويون لهذا المسجد تمت في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) على يد عامله على المدينة - آنذاك - وهو عمر بن عبد العزيز الذي كلفه الخليفة الوليد بتوسعة هذا المسجد ، وإدخال حجرات أزواج الرسول ﷺ فيه ، وقد ناقشت قضية هدم عمر بن عبد العزيز لهذه الحجرات بأمر الخليفة الوليد ، وخلصت إلى الرأي الذي أرتضيه مدعوما بالدليل .

أما فيما يختص بأعمال البر على أهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم ، فقد بيّنت هذه الدراسة مدى اهتمام الأمويين بتقديم الرعاية والعناية لأهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم من الحجاج والعمار ، وذلك بإغداق الأموال عليهم ، وجلب وتوفير المياه والطعام والمسكن لهم ، وكان معاوية بن أبي سفيان أكثر الخلفاء الأمويين اهتماما بذلك ،

حيث كان يحرص دائما على التوسعة على سكان الحرمين الشريفين ، ويكثر من أعمال البر عليهم ، وخاصة الهاشميين من أهل المدينة ، عملاً على كسب ودهم وتأييدهم له ، ولقد ظهرت آثار هذه العطايا على أهل الحرمين الشريفين وخاصة بني هاشم فقرت نفوسهم ، ولم يظهروا سخطاً أو تبرماً أو نقداً لمعاوية ، وسار الخلفاء الأمويون من بعده على نهجه تجاه أهل الحرمين الشريفين ، فعملوا على رعايتهم ، وكسب ودهم ، وتقديم العطايا لهم مما ثبت نفوذهم السياسي في العالم الإسلامي .

ثم أوضحت هذه الدراسة بعد ذلك اهتمام خلفاء بني أمية وأمرائهم بتوفير المياه في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وفي الطريق إليهما ، وكذلك في مناطق الزيارة ، وذلك بحفر الآبار والعيون ، وإقامة السدود ، وقد نهج أهل هاتين المدينتين نهج الأمويين في ذلك مما أدى إلى زيادة الآبار والعيون في مكة والمدينة .

ثم بينت أن مشاريع المياه التي أقامها الخليفة معاوية بن أبي سفيان للشرب في مكة بإجراء العيون العشرة كان أول عمل من نوعه لإمداد المساكن المجاورة للحرم بالمياه ، كما يعتبر هذا العمل أهم ما قام به معاوية من خدمات في مكة المكرمة ، واستفاد به كل من وفد إليها ، وقد اقتدى بمعاوية الخلفاء الأمويون من بعده في حفر الآبار والعيون في تلك المدينة مما خفّف كثيراً من العناء الذي كان يلاقيه الحجاج المقيمون في حمل الماء ، حيث أصبح يجري بين أيديهم كأنه نهر .

ثم بينت هذه الدراسة أن مشروع العين الزرقاء الذي تم إنجازه في المدينة المنورة في خلافة معاوية بن أبي سفيان وعلى يد عامله على المدينة

مروان بن الحكم يعتبر من أهم مشروعات المياه التي أقيمت فيها خلال العصر الأموي ، فقد ظل هذا الإنجاز المورد الرئيسي لأهل المدينة أربعة عشر قرناً ، شهد خلالها زيادات وإصلاحات كثيرة ، وكان من نتائجه توفير المياه في المدينة المنورة ، وعدم تعرضها لأي أزمة في المياه خلال العصر الأموي .

وأوضحت الدراسة بعد ذلك أن اهتمام الأمويين لم يكن مقصوراً على توفير المياه في مكة والمدينة فقط ، وإنما تعدى ذلك الاهتمام إلى الطريق من مكة إلى المدينة ، وكذلك أماكن الزيارة ، حيث عملوا على توفير المياه في تلك النواحي ، مما جعل الحجاج والعمار يحصلون على ما يريدونه من المياه في سهولة ويسر .

كما بينت أن الخلفاء الأمويين كما عملوا على توفير المياه لأهل الحرمين الشريفين والوافدين عليهم ، عملوا كذلك على توفير الطعام لهم ، فقد ظل الطعام متوفرا في مكة خلال هذا العصر لأهلها ولحجاج بيت الله الحرام ، ولم يتعرضوا للأزمات الاقتصادية وخاصة في موسم الحج إلا في سنة ٧٣هـ ، حين وقعت الحرب بين الأمويين وعبد الله بن الزبير ، وأدت إلى ارتفاع الأسعار في أسواق مكة ، وأصاب الناس بسبب ذلك جوع شديد .

كذلك لم تذكر لنا المصادر أي أزمة اقتصادية واجهت أهل المدينة المنورة وزوارها من الحجاج والعمار خلال فترة هذا البحث .

وبينت كذلك أن الحجاج والعمار في العصر الأموي لم يجدوا أي صعوبة في حصولهم على المسكن خلال إقامتهم في مكة والمدينة ، حيث

كانوا يسكنون في بيوت أهل مكة بدون مقابل ، بناء على أوامر الخلفاء الأمويين الذين منعوا المكيين من تأجير بيوتهم للحجاج ، واعتبروا ذلك حراما ، ولذا اعتاد أهل مكة ألا يضعوا على مداخل مساكنهم أبوابا ، وأن يستقبلوا الحجاج في دورهم بدون أجر ، واستمر الحال على ذلك خلال فترة هذا البحث .

كذلك كان أهل المدينة يستقبلون كل من يفد إليهم من الحجاج والعمار في بيوتهم الخاصة ، يحتفون بهم ويحسنون ضيافتهم ، ويقدمون لهم ما يستطيعون من سبل الراحة ، ولا يتقاضون على ذلك أجراً ، وعندما زاد عدد سكان المدينة في أواخر هذا العصر ، وزاد عدد المجاورين والوافدين إليها من الحجاج والتجار وطلبة العلم ، ولما لم تعد مساكنها تكفي لسكنى هؤلاء وأولئك ، أخذ الخلفاء الأمويون والأمراء والتجار يقومون بإنشاء دور وأربطة حول المسجد النبوي الشريف وتسكينها للحجاج والعمار ، وقد أُوقف جزء من هذه الدور على المسجد النبوي الشريف ، وأكثرها لم تعرف في الوقت الحاضر بسبب التوسعة للمسجد النبوي ، حيث أدخلت أغلبها في هذه التوسعة .

ومن خلال دراستنا لأحوال المدينة خلال فترة هذا البحث لم نجد أي شكوى من معاملة أهل المدينة لحجاج بيت الله الحرام ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى حسن تربية أهل المدينة على يد رسول الله ﷺ ، وعلى أيدي الخلفاء الراشدين من بعده ، تلك التربية التي جعلتهم يتميزون بالورع والصلاح وحُسن الأدب وجميل المعاشرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ملاحق البحث

الملحق الأول

جدول بأسماء الخلفاء الأمويين
حسب تسلسل خلافتهم بالسنين

	هجرية	ميلادية
معاوية بن أبي سفيان	٤١ – ٦٠	٦٦١ – ٦٨٠
يزيد بن معاوية	٦٠ – ٦٤	٦٨٠ – ٦٨٣
معاوية بن يزيد	٦٤	٦٨٣
مروان بن الحكم	٦٤ – ٦٥	٦٨٣ – ٦٨٥
عبد الملك بن مروان	٦٥ – ٨٦	٦٨٥ – ٧٠٥
الوليد بن عبد الملك	٨٦ – ٩٦	٧٠٥ – ٧١٥
سليمان بن عبد الملك	٩٦ – ٩٩	٧١٥ – ٧١٧
عمر بن عبد العزيز	٩٩ – ١٠١	٧١٧ – ٧٢٠
يزيد بن عبد الملك	١٠١ – ١٠٥	٧٢٠ – ٧٢٤
هشام بن عبد الملك	١٠٥ – ١٢٥	٧٢٤ – ٧٤٣
الوليد بن يزيد	١٢٥ – ١٢٦	٧٤٣ – ٧٤٤
يزيد بن الوليد بن عبد الملك	١٢٦	٧٤٤
إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك	١٢٦	٧٤٤
مروان بن محمد	١٢٧ – ١٣٢	٧٤٤ – ٧٥٠

* * *

الملحق الثاني

أمراء مكة في العصر الأموي

(٤١ - ١٣٢هـ)

في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه	**{ ٤١هـ-٦٠هـ }**
عتبة بن أبي سفيان	٤١ - ٤١
عنبسة بن أبي سفيان	٤١ - ٤٢
طارق بن المرقع كنائب لعنبسة	عدة أيام
خالد بن العاص المخزومي	٤٢ - ٤٤
عبد الله بن خالد بن أسيد	٤٤ - ٤٨
مروان بن الحكم	٤٨ - ٥٣
سعيد بن العاص القرشي	٥٣ - ٦٠
عمرو بن سعيد بن العاص القرشي كنائب لوالده	٥٣ - ٦٠
في خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	**{ ٦٠هـ-٦٤هـ }**
عمرو بن سعيد بن العاص القرشي	٦٠ - ٦٢
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان	٦٢ - ٦٢
عثمان بن محمد بن أبي سفيان	٦٢ - ٦٢
يحيى بن حكيم بن صفوان (عدة أيام)	٦٢ - ٦٢
الحارث بن خالد بن العاص	٦٢ - ٦٣
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب	٦٣ - ٦٣
الحارث بن خالد بن العاص	٦٣ - ٦٤
في خلافة مروان بن الحكم	**{ ٦٤هـ-٦٥هـ }**

لا يوجد أمراء من قبل الخليفة لأن عبد الله بن الزبير أعلن نفسه خليفة

في خلافة عبد الله بن الزبير	**{٦٤هـ-٧٣هـ}**
عبد الله بن الزبير	٦٤ - ٧٣
الحارث بن حاطب (استخلفه ابن الزبير مدة قصيرة)	٦٦ - ٦٦
في خلافة عبد الملك بن مروان بن الحكم	**{[illegible]هـ-٨٦هـ}**
الحجاج بن يوسف الثقفي	٧٣ - ٧٤
عبد الرحمن بن نافع الخزاعي (شهراً واحداً)	٧٤ - ٧٤
الحجاج بن يوسف الثقفي	٧٤ - ٧٥
نافع بن علقمة الكناني	... - ...
الحارث بن خالد بن العاص	... - ...
محمد بن عبد الله القرشي	... - ...
عبد الله بن سفيان المخزومي	... - ...
عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد	... - ...
يحيى بن الحكم بن العاص	... - ...
الحارث بن خالد بن العاص	٧٥ - ٧٦
أبان بن عثمان بن عفان	٧٦ - ٨٢
هشام بن إسماعيل المخزومي	٨٢ - ٨٦
في خلافة الوليد بن عبد الملك	**{٨٦هـ-٩٦هـ}**
عمر بن عبد العزيز	٨٦ - ٩٣
عروة بن العياض النوفلي (استخلفه عمر بن عبد العزيز مدة قصيرة)	
مسلمة بن عبد الملك بن مروان	٩٣ - ٩٣
خالد بن عبد الله القسري	٩٣ - ٩٦
في خلافة سليمان بن عبد الملك	**{٩٦هـ-٩٩هـ}**
طلحة بن داود الحضرمي (ستة أشهر)	٩٦ - ٩٧

عبد العزيز بن عبد الله بن خالد	٩٧ – ٩٩
في خلافة عمر بن عبد العزيز	{٩٩-١٠١هـ}
عبد العزيز بن عبد الله بن خالد	٩٩ – ٩٩
محمد بن طلحة بن عبد الله	٩٩ – ٩٩
عبد الله بن قيس بن عبد الله بن مخزمة	٩٩ – ٩٩
عثمان بن عبد الله بن سراقة	٩٩ – ٩٩
عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد	٩٩ – ١٠١
في خلافة يزيد بن عبد الملك	{١٠١-١٠٥هـ}
عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد	١٠١ – ١٠٣
عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس	١٠٣ – ١٠٤
عبد الواحد بن عبد الله النصري	١٠٤ – ١٠٥
في خلافة هشام بن عبد الملك	{١٠٥-١٢٥هـ}
عبد الواحد النصري (٨ أشهر)	١٠٥ – ١٠٦
إبراهيم هشام المخزومي	١٠٦ – ١١٤
محمد بن هشام المخزومي	١١٤ – ١١٧
خالد بن عبد الملك بن الحارث	١١٧ – ١١٧
محمد بن هشام المخزومي	١١٧ – ١٢٥
في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك	{١٢٥-١٢٦هـ}
يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي	١٢٥ – ١٢٦
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز	١٢٦ – ١٢٦
في خلافة يزيد الثالث بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك	{١٢٦-١٢٦هـ}
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز	١٢٦ – ١٢٦

في خلافة إبراهيم بن الوليد بن يزيد	[١٢٦-١٢٧هـ]
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز	١٢٦ - ١٢٧
في خلافة مروان بن محمد	[١٢٧-١٣٢هـ]
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز	١٢٧ - ١٢٩
عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك	١٢٩ - ١٢٩
أبو حمزة الخارجي	١٢٩ - ١٢٩
أبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميري	١٢٩ - ١٣٠
عبد الملك بن عطية السعدي	١٣٠ - ١٣٠
رومي بن ماعز الكلابي	١٣٠ - ١٣٠
محمد بن عبد الملك بن مروان	١٣٠ - ١٣١
الوليد بن عروة بن محمد بن عطية	١٣١ - ١٣٢
يوسف بن عروة بن محمد بن عطية	١٣٢ - ١٣٢

* * *

الملحق الثالث

أمراء المدينة المنورة في العصر الأموي

(٤١ - ١٣٢هـ)

في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه	{٤١ - ٦٠هـ}
مروان بن الحكم	٤٢ - ٤٩
سعيد بن العاص	٤٩ - ٥٤
مروان بن الحكم	٥٤ - ٥٧
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان	٥٧ - ٦٠
في خلافة يزيد بن معاوية	{٦١-٦٤هـ}
عمرو بن سعيد بن العاص	٦٠ - ٦١
الوليد بن عتبة	٦١ - ٦٣
روح بن زنباع	٦٤ - ٦٤
في خلافة مروان بن الحكم	{٦٤ - ٦٥هـ}
لا يوجد أمراء من قبل الخليفة لأن عبد الله بن الزبير أعلن نفسه خليفة.	
في خلافة عبد الله بن الزبير	{٦٤ - ٧٣هـ}
عبيدة بن الزبير	٦٤ - ٦٥
جابر بن أسود بن عوف	٦٥ - ٦٥
مصعب بن الزبير	٦٥ - ٦٦
عبد الرحمن بن الأشعث	٦٦ - ٦٨
جابر بن الأسود بن عوف الزهري	٦٨ - ٧١
طلحة بن عبد الله بن عوف	٧١ - ٧٢

في خلافة عبد الملك بن مروان	**{ ٦٥ - ٨٦هـ }**
طارق بن عمرو	٧٢ - ٧٣
الحجاج بن يوسف الثقفي	٧٣ - ٧٥
يحيى بن الحكم بن أبي العاص	٧٥ - ٧٦
أبان بن عثمان بن عفان	٧٦ - ٨٣
هشام بن إسماعيل المخزومي	٨٣ - ٨٦
في خلافة الوليد بن عبد الملك	**{ ٨٦ - ٩٦هـ }**
هشام بن إسماعيل المخزومي	٨٦ - ٨٧
عمر بن عبد العزيز	٨٧ - ٩٣
عثمان بن حيًّان المُري	٩٣ - ٩٦
في خلافة سليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز	**{ ٩٦-١٠١هـ }**
محمد بن عمرو بن حزم	٩٦ - ١٠١
في خلافة يزيد بن عبد الملك	**{ ١٠١-١٠٥هـ }**
عبد الرحمن بن الضحاك الفهري	١٠١ - ١٠٤
عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النصري	١٠٤ - ١٠٥
في خلافة هشام بن عبد الملك	**{ ١٠٥-١٢٥هـ }**
إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي	١٠٦ - ١١٤
خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم	١١٤ - ١١٨
محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي	١١٨ - ١٢٥
في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك	**{ ١٢٥-١٢٦هـ }**
يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي	١٢٥ - ١٢٦

في خلافة يزيد الثالث بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك	**[١٢٦-١٢٦هـ]**
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز	١٢٦ - ١٢٦
في خلافة إبراهيم بن الوليد بن يزيد	**[١٢٦-١٢٧هـ]**
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز	١٢٦ - ١٢٧
في خلافة مروان بن محمد	**[١٢٧-١٣٢هـ]**
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز	١٢٧ - ١٢٩
عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك	١٢٩ - ١٣٠
محمد بن عبد الملك بن مروان	١٣٠ - ١٣١
الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي	١٣١ - ١٣٢

* * *

المصادر والمراجع *

أولا المصادر :

١ ـ القرآن الكريم .

* الأبشيهي : محمد بن أحمد الخطيب الأبشيهي (ت ٨٥٠هـ) .

٢ ـ المستطرف في كل فن مستظرف ، دار التراث العربي ١٣٧١هـ .

* ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ) .

٣ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق محمد إبراهيم البناء وآخرين ، طبع دار الشعب .

٤ ـ الكامل في التاريخ ، طبعة بيروت ، دار صادر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

* الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ) .

٥ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، دار الأندلس ـ بيروت ١٩٦٩م .

* الأصبهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) .

٦ ـ ذكر أخبار أصبهان ، الطبعة الثانية ، نشر الدار العلمية ، دلهي ـ الهند ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

* الاصطخري : أبو إسحاق إبراهيم محمد الاصطخري (ت ٣٤٦هـ).

٧ ـ مسالك الممالك ، ليدن ١٨٨٩م .

---

* المصادر والمراجع التي لم أضع أمامها دار الطباعة والنشر أو تاريخ الطبع ، لم أجد مدوناً بها ذلك ، وقد رتبت هذه المصادر والمراجع حسب الحروف الهجائية للمؤلف ، وبدأت باللقب .

* الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد (ت ٣٥٦هـ) .

٨ ـ الأغاني ، دار الشعب ، مصر ١٩٧٠م .

* الإمام أحمد : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) .

٩ ـ المسند ، طبع بيروت ـ مصر ١٩٧٠م .

* البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ) .

١٠ ـ الجامع الصحيح ، الطبعة الأولى ، دار العلم ـ بيروت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨١م ، ودار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة .

* ابن بكار : أبو عبد الله بن الزبير (ت ٢٥٦هـ) .

١١ ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ـ القاهرة ١٣٨١هـ .

* البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد بن مصعب (ت ٤٨٧هـ) .

١٢ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، ط مصورة ، نشر عالم الكتب ـ بيروت (د.ت.) .

* البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ) .

١٣ ـ أنساب الأشراف ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، بيروت ١٩٧٤م .

١٤ ـ فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ـ القاهرة ، وطبع دار ابن خلدون ـ الإسكندرية .

* البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ) .

١٥ ـ السنن الكبرى : طبع مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر اباد ـ الهند ١٣٤٤هـ .

* الترمذي : أبو عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) .

١٦ ـ سنن الترمذي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

* التنوخي : أبو علي محسن بن علي التنوخي (ت ٣٢٨هـ) .

١٧ ـ الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشاحلي ، دار صادر ـ بيروت ١٩٣٨هـ - ١٩٧٨م .

* التوحيدي : أبو حيان علي بن محمد التوحيدي (ت ٣٨٠هـ) .

١٨ ـ الامتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت (د.ت.) .

* ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ) .

١٩ ـ رحلة ابن جبير ، دار صادر ـ بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

* الجزيري : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم (ت ق ١٠هـ) .

٢٠ ـ درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، المطبعة السلفية ، الروضة ـ القاهرة .

* الجهشياري : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣١١هـ) .

٢١ ـ الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ١٩٣٨م .

* ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

٢٢ ـ مثير الغرام لساكني الشام ، الطبعة الأولى ، دار الحديث .

* الحاكم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) .

٢٣ ـ المستدرك على الصحيحين في الحديث ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

* ابن حجة الحموي : تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد (ت ٨٣٧هـ) .

٢٤ ـ كتاب ثمرات الأوراق : طبع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٧٩هـ .

* ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) .

٢٥ ـ تهذيب التهذيب ، الطبعة الأولى ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند ١٣٢٥هـ .

٢٦ ـ فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، المكتبة السلفية ، القاهرة .

* الحربي : إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله الحربي (ت ٢٨٥هـ) .

٢٧ ـ كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، مطبعة المثنى ـ بيروت ١٣٨٩هـ ، طبعة ٣ ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

* الحلبي : علي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ) .

٢٨ - إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المسمى بـ « السيرة الحلبية » ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٣٤٩هـ .

* ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ) .

٢٩ - المسالك والممالك ، مكتبة المثنى - بغداد .

* ابن خلكان : شمس الدين أبو العباسي أحمد بن بكر (ت ٦٨١هـ) .

٣٠ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، مطابع دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧٢م .

* ابن خياط : أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ) .

٣١ - تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، منشورات دار طيبة - الرياض ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

* الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود بن وتند (٢٨٢هـ) .

٣٢ - الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦١م .

* الذهبي : أبو عبيد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) .

٣٣ - تاريخ الإسلام ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مطبعة القدس ، شبرا - القاهرة .

٣٤ - سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠١هـ .

* ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر (كان حيا سنة ٢٩٠هـ) .

٣٥ ـ الأعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٩١م .

* الرشيدي : أحمد الرشيدي (ت ق ١٢هـ) .

٣٦ ـ حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج ، تحقيق الدكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٩٨٠م .

* الزبيدي : أبو الفيض محمد بن مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) .

٣٧ ـ تاج العروس ، الطبعة الأولى ، المطبعة الخيرية ، الجمالية ـ القاهرة ، والجزء الثامن ، دار صادر ـ بيروت ١٣٨٦هـ .

* الزبيري : أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ) .

٣٨ ـ نسب قريش ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٣م ، ١٩٧٦م .

* ابن الزبير : القاضي الرشيد بن الزبير (ت ق ٥هـ) .

٣٩ ـ كتاب الذخائر والتحف ، تحقيق محمد حميد الله ، مراجعة صلاح الدين المنجد ، الكويت ١٩٥٩م .

* السجستاني : أبو حاتم سهل بن عثمان (ت ٢٥٠هـ) .

٤٠ ـ المعمرون والوصايا ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٦١م .

* ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ـ كتاب الواقدي ـ (ت ٢٣٠هـ) .

٤١ ـ الطبقات الكبرى ، دار صادر ـ بيروت .

* السمهودي : نور الدين علي بن أحمد المصري (ت ٩١١هـ) .

٤٢ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، دار إحيـاء التراث - بيروت ١٩٧٣م .

* ابن شاهين : خليل بن شاهين (ت ٩٢٠هـ) .

٤٣ - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، باعتناء بولس راويس ، طبع باريس ١٨٩٤م .

* الصنعاني : أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) .

٤٤ - المصنف ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، الطبعة الأولى ، دار العلم - بيروت ١٣٩٠هـ .

* ابن الضياء : أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء (ت ٨٥٤هـ) .

٤٥ - تاريخ مكـة المشرفـة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق علاء إبراهيم الأزهري ، وأيمن نصر الأزهري ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

* الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ) .

٤٦ - تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الرابعة ، مطابع دار المعارف بمصر .

* ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ) .

٤٧ - الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، القاهرة ١٣٢٧هـ.

* ابن ظهيرة : جمال الدين بن ظهيرة المكي .

٤٨ ـ الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، الطبعة الثانية ، مصر ١٩٣٨م .

* العباسي : أحمد بن عبد الحميد (ت ق ١٠هـ) .

٤٩ ـ عمدة الأخبار في مدينة المختار ، الطبعة الخامسة ، نشر أسعد الحسيني (د.ت.) .

* ابن عبد البر : أبو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) .

٥٠ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني الطبعة الأولى ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

* ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي (ت ٣٢٨هـ) .

٥١ ـ العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأنصاري ، دار الكتاب العربي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

* ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ) .

٥٢ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٥١م .

* ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ) .

٥٣ ـ الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق الدكتور قاسم السامرائي ، ليدن ١٩٧٣م .

* الفاسي : أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن الحسين المكي (ت ٨٣٢هـ) .

٥٤ - شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، القاهرة ١٩٥٦م .

٥٥ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد السيد ، القاهرة ١٣٨١هـ .

* الفاكهي : أبو عبد الله محمد بن إسحاق .

٥٦ - تاريخ مكة ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة النهضة - مكة المكرمة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٥٧ - المنتقى في أخبار أم القرى ، باعتناء المستشرق الألماني فرديناند وستيفلد - بيروت ١٩٦٧م .

* الفراء : أبو يعلي محمد بن الحسين الفراء (ت ٤٥٨هـ) .

٥٨ - الأحكام السلطانية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

* ابن فهد : محيي الدين عمر بن الحافظ تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي (ت ٨٨٥هـ) .

٥٩ - إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٤ ، تاريخ تيمور .

* الفيروزآبادي : أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر (ت ٨١٧هـ) .

٦٠ - القاموس المحيط ، منشورات المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

٦١ - المغانم المطابة في معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر ، الطبعة الأولى ، منشورات دار اليمامة ١٣٨٩هـ .

* ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) .

٦٢ - عيون الأخبار ، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي وشركاه ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، طبع دار الكتاب العربي - بيروت .

٦٣ - المعارف ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، القاهرة .

* القطبي : محيي الدين القطبي (ت ٩٩٠هـ) .

٦٤ - إعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٥ تاريخ .

* القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١هـ) .

٦٥ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (د.ت.) .

٦٦ - مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، طبع الكويت ١٩٦٤م ، وعالم الكتب - بيروت .

* ابن القيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ) .

٦٧ - زاد المعاد في هدي خير العباد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٠هـ .

* ابن كثير : أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

٦٨ - البداية والنهاية في التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

* الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ) .

٦٩ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٢م .

* محب الدين الطبري : أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ) .

٧٠ ـ القرى لقاصدي أم القرى ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .

* المراغي : زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر العثماني المراغي (ت ٨١٦هـ) .

٧١ ـ تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ، القاهرة ١٩٩٥م .

* المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) .

٧٢ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، نشر دار الأندلس ـ بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، جـ٣ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٨٥م .

* الإمام مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) .

٧٣ ـ الجامع الصحيح ، طبعة إحياء الكتب العربية .

* المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت ٣٨٧ أو ٣٩٠هـ) .

٧٤ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٠٦م.

* المقريزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ) .

٧٥ - الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٥٥م .

٧٦ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار « الخطط المقريزية » ، دار صادر - بيروت .

* ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم علي الأنصاري (ت ٧١١هـ) .

٧٧ - لسان العرب ، طبع دار المعارف ، القاهرة (د.ت.) .

* ابن النجار : محب الدين ابن النجار (ت ٦٤٣هـ) .

٧٨ - الدرة الثمينة في محاسن المدينة ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية .

* النابلسي : عبد الغني بن إسماعيل .

٧٩ - الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الشام ومصر والحجاز ، إعداد وتقديم الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي ، القاهرة ١٩٨٦م .

* النسائي : أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٦هـ) .

٨٠ - سنن النسائي الكبرى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية .

* ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣ أو ٢١٨هـ) .

٨١ - السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية .

* الورثيلاني : أبو الحسن بن محمد (ت ق ١٢هـ) .

٨٢ ـ نزهة الأبصار في علم التاريخ والأخبار ، المشهور بـ « الرحلة الورثيلاتية » ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

* ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) .

٨٣ ـ معجم البلدان ، دار صادر ـ بيروت ١٩٩٥م .

* يحيى بن الحسين .

٨٤ ـ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، الجزء الأول ، تحقيق الدكتور سعيد عاشور ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

* يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ) .

٨٥ ـ المعرفة والتاريخ ، تحقيق د. أكرم العمري ، نشر مكتبة الدار ، المدينة المنورة ١٤١٠هـ .

* اليعقوبي : أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ) .

٨٦ ـ تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ـ بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٨٧ ـ كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي .

ثانيا : المراجع الحديثة :

* إبراهيم حلمي .

١ ـ كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج ، سلسلة كتاب اليوم ، العدد ٣٢٠ .

* إبراهيم رفعت باشا .

٢ ـ مرآة الحرمين المسمى بـ « الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية » ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م .

* أحمد رجب (دكتور) .

٣ ـ المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه في الفن الإسلامي ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٦م .

* أمينة الصاوي (دكتورة) .

٤ ـ الكعبة المشرفة ، طبع دار عكاظ بجدة .

* الأنصاري : عبد القدوس الأنصاري .

٥ ـ آثار المدينة المنورة ، بيروت ١٩٧٣م .

* باسلامة : حسين عبد الله باسلامة .

٦ ـ تاريخ عمارة المسجد الحرام ، دار مصر للطباعة .

٧ ـ تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها وكسوتها وسدانتها ، سلسلة الكتاب العربي السعودي (رقم ٤٧) ، الطبعة الثانية ، دار تهامة للنشر ـ جدة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

* الباشا : دكتور حسن الباشا .

٨ ـ المدخل للآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، مصر ١٩٧٩م .

* البتنوني : محمد لبيب البتنوني .

٩ ـ الرحلة الحجازية ، الطبعة الثانية ، مطبعة الجمالية ، القاهرة ١٣٢٦هـ - ١٩١٢م .

* بدر : دكتور عبد الباسط بدر .

١٠ ـ التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، المدينة المنورة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

* البلادي : عاتق بن غيث البلادي .

١١ ـ معالم مكة التاريخية والأثرية ، الطبعة الثانية ، دار مكة للنشر ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٢ ـ معجم معالم الحجاز ، الطبعة الأولى ، دار مكة ١٤٠١هـ .

* جواد علي (دكتور) .

١٣ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٩م .

* الخربوطلي : دكتور علي حسن الخربوطلي .

١٤ ـ تاريخ الكعبة ، طبع بيروت ـ لبنان ١٩٧٦م .

* دحلان : أحمد زيني دحلان .

١٥ ـ خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٧م .

* الدقن : دكتور السيد محمد الدقن .

١٦ ـ كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ، الطبعة الأولى ، مطبعة الجبلاوي القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

* زامباور : المستشرق زامباور .

١٧ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، طبع جامعة فؤاد الأول ، مصر ١٩٥١م .

* الزركلي : خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) .

١٨ ـ الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين ، الطبعة الرابعة ، مطابع دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٩م .

* السباعي : دكتور أحمد السباعي .

١٩ ـ تاريخ مكة ، الطبعة الثانية ، مكة المكرمة ١٣٨٥هـ .

* سيد أمير علي .

٢٠ ـ مختصر تاريخ العرب ، ترجمة رياض رأفت ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨م .

* السيد سابق .

٢١ ـ فقه السنة ، المجلد الأول ، مكتبة الدعوة الإسلامية .

* سيد عبد المجيد .

٢٢ ـ الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، سلسلة الكتاب الجامعي ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

* شافعي : دكتور فريد شافعي .

٢٣ ـ العمارة العربية في مصر الإسلامية ـ عصر الولاه ـ ، طبع النهضة المصرية العامة ١٩٧٠م .

الشريف : دكتور أحمد الشريف .

٢٤ ـ دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجري ، القاهرة ١٩٦٨م .

٢٥ ـ مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٥م ـ

* صالح لمعي مصطفى (دكتور) .

٢٦ ـ التراث المعماري الإسلامي في مصر ، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

* عبد الجواد : دكتور أحمد عبد الجواد .

٢٧ ـ تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ، طبع الفنية الحديثة .

* عبد العزيز السلمان .

٢٨ ـ أوضح المائدة إلى أحكام المناسك ، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ .

* العطار : أحمد عبد الغفور العطار .

٢٩ ـ الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، والطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

* علي حافظ .

٣٠ ـ فصول في تاريخ المدينة ، جدة ١٩٦٩م .

* العياش : إبراهيم بن علي العياش .

٣١ ـ المدينة بين الماضي والحاضر ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

* غالي : محمد الأمين الشنقيطي .

٣٢ ـ الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة ، وطبع مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ١٤١١هـ .

* محمد أبو زهرة (الشيخ) .

٣٣ ـ أبو حنيفة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٢م .

* محمد طاهر عبد القادر .

٣٤ ـ التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة (د.ت.) .

* محمد كامل حتة .

٣٥ ـ لبيك اللهم لبيك ، سلسلة كتاب الشعب (عدد ٨١) ، مطابع الشعب ١٩٦٠م .

* مطر : دكتورة فوزية حسين مطر .

٣٦ ـ تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول ، الطبعة الأولى ، طبع دار تهامة ـ جدة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

* النجار : دكتور محمد الطيب النجار .

٣٧ ـ الدولة الأموية في الشرق ، دار العلوم للطباعة ١٩٧٧م .

* * *

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *